الطريق

ⵜⴰⵔⵉⵇ

جريدة أسبوعية شاملة

www.attarik.net

عدد خاص

فيدرالية اليسار على خطى الوحدة

8

أين قبر الشهيد المهدي بنبركة ؟!

113 112 111 110

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - الخميس 29 أكتوبر 2020 م / 12 ربيع الأول 1442 هـ - العدد : 334 - الثمن : 20 درهم

الصحراء المغربية..
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

- حوارات مع فاعلين من قلب الصحراء.
- تاريخ النزاع وسط الصحراء.
- الأطماع الخارجية ومطبات تدبير الدولة.
- مداخل تحصين الوحدة الترابية.
- استشراف مستقبل الديمقراطية والتنمية في الصحراء المغربية.

من ص14 إلى ص82

عدد مزدوج

الطبعة الأولى

منشورات جريدة الطريق

الطريق

ⵜⴰⵔⵉⵇⵜ

جريدة أسبوعية شاملة

www.attarik.net

عدد مزدوج

الطبعة الأولى

منشورات جريدة الطريق

@attarik_journal
fb.com/Attarik.Journal
/attarik.journal
الطريق
#صوت_من_لا_صوت_له
عدد مزدوج
الطبعة الأولى
منشورات جريدة الطريق

الفهـــرس

ملف العدد

الصحراء المغربية..
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

الصفحات من 14 إلى 82

96

جوديث باتلر..
النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء

108

منتج فيلم «حياة مجاورة للموت» في حوار لجريدة الطريق

110

جريمة اختطاف واغتيال «الدينامو» الشهيد المهدي بنبركة

مدير النشر	عبد الواحد المهتاني	التوزيع	سابريس
رئيس التحرير	يزيد البركة	العنوان	رقم 1 زنقة أحمد الكرناوي الطابق الأول ساحة ماريشال، البيضاء.
سكرتير التحرير	عبد الغني عارف	مكتب الطريق بالرباط	شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.
المدير الفني	إسماعيل المتقي	البريد الالكتروني	attarik.journal@gmail.com
المدير الإداري والمالي	لحسن خطار	الهاتف	07 08 80 90 87
الإيداع القانوني	16/2018 ص ح.	رقم الحساب البنكي	BMCE: 011794000045210000323097
المطبعة	Les imprimeries du matin	النسخة الالكترونية	www.attarik.net
عدد السحب	5000 نسخة	دورية الجريدة	أسبوعية / شهرية (مؤقتا)
رقم الايداع	2019PE0068	الرقم الدولي المعياري للدوريات	ISSN 2658 -8161

الفهـــرس

الافتتاحية :

آفاق غامضة ونضالات مستمرة ومتصاعدة..... 7
فيدرالية اليسار الديمقراطي على خطى وحدة مكوناتها / قضية المهدي بنبركة..... 8
ركن بصوت مرتفع : هدنة كورونا.. ماهي طبيعة الصراع الاجتماعي في زمن الوباء؟ / محمد امباركي..... 9
مؤشرات الظرف السياسي.. وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود / عبد الغني القباج..... 10

ملف العدد :

الصحراء المغربية.. بين مطرقة الخارج وسندان الداخل / إعداد : كريمة خورشا بنعثمان ـ منعم وحتي..... 14
الوحدة الترابية للمغرب.. يكاد أن يشبه اليومُ الأمسَ / يزيد البركة..... 15
كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية / عبد المجيد مصدق..... 20
من المقاربة القانونية إلى المقاربة السياسية / كريمة خورشا بنعثمان..... 32
الصحراء الأطلنطية.. بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني / صافي الدين البدالي..... 35
الأبعاد الاقتصادية والاستراتيجية للصراع حول الصحراء المغربية / علي بوطوالة..... 39
موقف حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي من قضية الصحراء المغربية / عبد الرحيم ازبيدة..... 41
قضية الصحراء في مفكرة اليسار الجديد / أحمد حبشي..... 42
حوار مع القيادي المحجوب السالك / «حركة خط الشهيد»..... 44
حوار مع القيادي إسماعيل الليلي / حركة «صحراويون من أجل السلام»..... 46
حوار مع عائشة الدويهي ـ رئيسة مرصد الصحراء للسلم والديمقراطية وحقوق الإنسان / ماذا يقع في مخيمات البوليساريو. بتندوف ؟..... 52
الجنوب المغربي وسؤال التنمية / سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية..... 55
الجامعة بالصحراء.. من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذي جودة / مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية..... 59
نزاع الصحراء ومسلسل المفاوضات / فاطمة الأكحل..... 63
ممر الكركرات الاستراتيجي.. مستجدات الوضع / مصطفى سلمة ولد مولود..... 64
لازالت دار لقمان بقصر المرادية على حالها / لحسن أوسي موح..... 65
من تفاعلات قضية الصحراء بإسبانيا.. مدريد تنزع الغطاء السياسي والدبلوماسي عن جبهة البوليساريو / الحسين فاتش ـ إسبانيا..... 67
محاكمة الطلبة الصحراويين بعد تظاهرة طانطان / شهادة الطيب الساسي، المحامي والنقيب السابق بهيئة المحامين بأكادير..... 69
حصري : شهادة من قلب الاستخبارات الجزائرية.. كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا ؟ / أحمد الطالبي..... 71
الجذور الوسيطية لقضية الصحراء / يوسف رزين..... 77

الدولية :

بوليفيا.. ما خسرناه بالانقلاب سنعيده بالديمقراطية / سفيان جناتي..... 83
حول تطبيع الحكومة السودانية مع الكيان الصهيوني / حوار مع الرفيق علي محجوب، قيادي الحزب الشيوعي السوداني ـ لندن / أجراه : محمد رقي..... 84

فكر وآراء :

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا / رشيد سليم..... 87
الإيدولوجيا كتفسير للواقع.. الوعي والوعي الزائف / محمد بن طاهر..... 91

الملحق الثقافي :

ركن في المرآة : المهدي بنبركة.. شهيد الوعي الثقافي المبكر / عبد الغني عارف..... 94
ترجمة : حوار مع جوديث باتلر.. النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء / محمد بوتنبات..... 96
تغطية : المشاركة السينمائية المغربية في الدورة 24 بمهرجان الشاشات السوداء بالكاميرون / ثلاث عبد العزيز صالح..... 99
أكثر الأيام صمتا في الثمانينيات / سلوى ياسين..... 101
الوشم والكتابة / المسكين خديجة..... 101
قصة : حُمى الحب / محمد بلحميدي..... 102
شعر : فتوى / آمال الرحماوي..... 103
سينما : تتويج مغربي لفيلم «طفل الحب» ببروكسيل للمخرج الهواري غباري..... 103
إصدارات : الزجل كتعبير عن الخوالج والإحساسات / ديوان عبد الرحيم لقلع «السلطانة لهلالية»..... 104
نقد : غدر الزمن في رواية أمجد ناصر «حيث ال تسقط الأمطار» / عبد المجيد الحسيب..... 105
منتج فيلم «حياة مجاورة للموت» في حوار لجريدة الطريق / عبد الواحد المهتاني..... 108

ذاكرة :

جريمة اختطاف واغتيال «الدينامو» الشهيد المهدي بنبركة / يوسف الطاهري ـ فرنسا..... 110

الأخيرة :

تحف فنية: لوحة الرجل الأزرق / لور آن باربيي..... 114
ركن عيطة : الحسا نية.. كمكون مغربي راقٍ / منعم وحتي..... 114

الافتتاحية :

آفاق غامضة ونضالات مستمرة ومتصاعدة

في كل سنة، وفي مثل هاته الفترة بالضبط، يحشر مجلس الأمن أنفه في ملف الوحدة الترابية للمغرب، وهي مناسبة أيضا اعتدنا فيها تجدد مناورات الجارة الشقيقة الجزائر بافتعال مشاكل جديدة بالمنطقة وتحريك أتباعها في البوليساريو لإثارة الانتباه، على سبيل المثال لا الحصر ما يحدث مؤخرا بممر الكركرات. ونتذكر في هذا السياق ما أكده الشهيد عمر بنجلون أكثر من مرة مع بداية اعتزام المغرب استرجاع الصحراء، على أن تحرير الأرض مرتبط ارتباطا وثيقا بتحرير الإنسان، ولو تم أخذ الموضوع بهذا الربط الجدلي، لكنا في غنى عن كثير من المطبات والمزلقات الخارجية والداخلية التي نتخبط فيها، فقط لو ركزنا على استرجاع الأرض دون تهميش وإقصاء الإنسان، وعدم تركيز الثروة في ركينة واحدة.. حالنا الآن لا يسر أحدا، إذ ما تزال الدولة والحكومة تنظران إلى قضايا الإنسان بمنظار متعالي يهمش القدرات البشرية ومطامحها في الديمقراطية والتنمية. فبالرغم من المكاسب الجزئية التي حققها المغرب بعد عودته للاتحاد الإفريقي، فإن المخاطر لازالت تتهدد سيادته الوطنية على الأقاليم الصحراوية، بسبب تصعيد الجزائر التي لم تستسغ فتح دول إفريقية لقنصلياتها بمدينتي العيون والداخلة، والشروع في تنفيذ مخطط تنموي لتلك الأقاليم، يتضمن إقامة ميناء كبير شمال مدينة الداخلة، سيشكل منعطفا في التعاون مع بلدان غرب إفريقيا. إن الصراع حول الحدود والصحراء له أبعاد استراتيجية واقتصادية، والانتصار فيه يتوقف على تعبئة الشعب المغربي بكل مكوناته، لهذا ربط حزب الطليعة بين التحرير والديمقراطية، من جهة لامتصاص المخطط الانفصالي، ومن جهة أخرى لضمان الانخراط القوي للجماهير الصحراوية في الدفاع عن الوحدة الترابية، بشبابها ونسائها وصحوة مكوناتها ونخبها، والتي استوعبت أن النفس الوحدوي المشترك في بناء الديمقراطية والتنمية هو مدخل تحرير الأرض والإنسان.

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فمن المألوف أن يعرف شهر أكتوبر من كل سنة نقاشا عموميا وبرلمانيا حول الدخول السياسي والاجتماعي، وما يميزه من مستجدات هذه السنة، بالإضافة للنقاش حول مشروع قانون المالية، أن هناك أيضا إجراءات حكومية جديدة لتدبير تداعيات الجائحة على الاقتصاد والمجتمع، وأبرزها خطة الإنعاش الاقتصادي والتغطية الاجتماعية، كما أن التحضيرات المتعلقة بالانتخابات القادمة، تجعل دخول هذه السنة دخولا استثنائيا بامتياز.

بالنسبة لمشروع القانون المالي لسنة 2021، يلاحظ أن الحكومة وكعادتها، ورغم خطورة تداعيات الوباء على الأغلبية الساحقة من الشعب المغربي، وخاصة الطبقة العاملة وعموم الكادحين، والذين اكتووا بنار الأزمة، لجأت الحكومة لسن إجراءات تقشفية، وفرض ما سمته ضريبة التضامن الوطني على المأجورين، مما سيؤثر على قدرتهم الشرائية الضعيفة أصلا، وبالتالي التأثير السلبي على الطلب الإجمالي والدورة الاقتصادية بالنتيجة. إن تبرير وزير المالية لهذه الضريبة بالأزمة المالية يتجاهل استمرار الحكومة في إغداق ميزانية ضخمة على أرباب الشركات الكبرى، وإعفاء الثروات الكبرى من المساهمة في واجب التضامن الوطني، في تناقض صارخ مع الاستمرار في تحميل أعباء الأزمة للأجراء والفئات الوسطى، وغض الطرف عن تهرب وتملص أغلبية أرباب المقاولات من أداء الضرائب. إنه انحياز واضح للبورجوازية الريعية التي تستغل جميع الأزمات لمراكمة ثرواتها دون حسيب أو رقيب، ويبقى شعار محاربة الفساد الذي تروج له المؤسسات الرسمية مجرد لافتة للدعاية الخارجية.

في هذا السياق، وأمام تجميد الحكومة للتوظيف، وترقية الموظفين، وانفراد وزراءها بتمرير سياسات قطاعية ذات مضاعفات كارثية على الأوضاع الاجتماعية في تنكر واضح للحوار الاجتماعي، لا بديل أمام النقابات المهنية إلا الاحتجاج وتصعيد النضال للدفاع عن مطالبها المشروعة، والتعبير عما لحقها من أضرار بالغة الخطورة جراء انتشار وباء كورونا المتسارع. أما مبلغ 120 مليار درهم، الذي أعلن عنه لإنعاش الاقتصاد، وإنقاذ المقولات من الإفلاس، فإنه ورغم أهميته، إذا تم تدبيره بنفس الطرق المخزنية المعتادة، في غياب الوضوح والشفافية والحكامة الجيدة، فلن تكون النتائج الاجتماعية أفضل مما جرى سابقا، كما حصل بالنسبة للمبالغ الطائلة التي تم نهبها بطرق ملتوية من ميزانية البرنامج الاستعجالي في قطاع التربية والتعليم، والمبالغ التي رصدت لما سمي بالتنمية البشرية، والتي فضحت الجائحة مردوديتها الاجتماعية الهزيلة والمخجلة.

في سياق موازٍ، ارتفعت حدة النقاش حول التعديلات التي تعمل وزارة الداخلية على إدخالها في القوانين الانتخابية، وخاصة ما يتعلق بالحاصل الانتخابي، والذي صار بين عشية وضحاها تلك الشجرة التي تغطي الغابة، غابة آليات وأساليب صنع الخريطة السياسية على مقاس أهداف الطبقة الحاكمة. وبدل الأخذ بالاقتراحات الوجيهة والموضوعية التي تقدمت بها فيدرالية اليسار الديمقراطي في مذكرتها لوزارة الداخلية، وأهمها تصفية الأجواء بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والصحفيين، وتكوين لجنة وطنية مستقلة للإشراف على الانتخابات كما هو معمول به في أغلب البلدان الديمقراطية، والتسجيل الأوتوماتيكي للبالغين سن التصويت، واقتراحات أخرى عديدة، بدل ذلك، تكشف مناورات الأحزاب الخاضعة لتوجيه الدولة العميقة أن الآفاق غامضة وغير مطمئنة، وبالتالي ما لم يتحقق بالنضال، لن يتحقق إلا بمزيد من النضال، وبالربط الجدلي بين القضية الديمقراطية والمسألة الاجتماعية. إنه قدر اليسار الديمقراطي أن يناضل على جميع الواجهات ويخوض مختلف أشكال النضال لإنجاز التغيير الديمقراطي في أفق تحقيق مشروعه المجتمعي.

الطريق

فيدرالية اليسار الديمقراطي على خطى وحدة مكوناتها

تجدد الفيدرالية التذكير بمسؤولية الدولتين المغربية والفرنسية في كشف الحقائق المرتبطة بجريمة اختطاف الشهيد المهدي بنبركة

عقدت الهيئة التنفيذية لفيدرالية اليسار الديمقراطي اجتماعها الدوري بالدار البيضاء يوم 25 أكتوبر 2020، الذي تزامن مع الذكرى الخامسة والخمسين لاختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة، وبهذه المناسبة تجدد الهيئة التنفيذية التذكير بمسؤولية الدولتين المغربية والفرنسية في كشف الحقائق المرتبطة بتلك الجريمة النكراء، التي ارتكبها أعداء حركتي التحرر الوطني المغربية والعالمية، وانْدرجت في سياق المرحلة السوداء التي ساد فيها الاستبداد المطلق المسؤول عن كل المآسي التي عانت منها الأغلبية الساحقة للشعب المغربي، والتي لا يمكن طي صفحتها دون استجابة الدولة لمتطلبات الحقيقة والإنصاف، وإقرار الديمقراطية الحقيقية وشروط عدم التكرار.

كما نددت الفيدرالية بمحاكمة الصحفيين والمدونين النشطاء والتضييق على الحريات ومنها منع وقفات الجبهة الاجتماعية المغربية في العديد من المدن.

في سياق آخر عبرت الهيئة التنفيذية عن رفضها واستنكارها للإجراءات الحكومية المدرجة في مشروع قانون المالية، والتي تحمّل أعباء الأزمة للفئات الاجتماعية المستنزفة، بفرض ضريبة جديدة سميت ضريبة التضامن الوطني، واللجوء المفرط للاستدانة، وتجميد الترقيات وتقليص التوظيف وهي الإجراءات السهلة التي تلجأ إليها باستمرار، بدل إصلاح ضريبي متكافئ ومتضامن وفرض المساهمة على مراكمي الثروة والقضاء على اقتصاد الريع من خلال إحداث ضريبة على الثروة ومحاربة فعلية للفساد ونهب الأموال العمومية.

وقد أكدت الفيدرالية على مقترحاتها ومطالبها التي تضمنتها مذكرتها لوزارة الداخلية حول الشروط والتدابير اللازمة والكفيلة بتحضير إجراء انتخابات حرة ونزيهة وذات مصداقية، وفي مقدمتها تصفية الأجواء المجتمعية بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين والصحفيين، وإحداث هيئة مستقلة للإشراف على الانتخابات، كما هو الحال في أغلبية البلدان الديمقراطية، وتحفيز الشباب على المشاركة السياسية بالتوعية الإعلامية والتسجيل الأوتوماتيكي للبالغين سن التصويت انطلاقا من بطاقة التعريف الوطنية؛ وفي هذا السياق تستغرب الجدل المصطنع حول القاسم الانتخابي الذي يعكس انحباس الحقل السياسي وأزمة الأحزاب الحكومية.

فيما يتعلق بالقضية الوطنية فقد عبرت الفيدرالية عن انشغالها باستفزاز الجبهة الانفصالية للمغرب دولة وشعبا بما أقدمت عليه في المنطقة الحدودية العازلة (الكركرات)، والهادفة للمس بالسيادة الوطنية ومحاولة فصل المغرب عن عمقه الإفريقي الشيء الذي يتطلب الحزم في التصدي لهذه المناورات والضغط على الأمم المتحدة لوضع حد لها.

على المستويين العربي والدولي، أدانت فيدرالية اليسار الديمقراطي إقدام الحكومة السودانية على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وتعتبر هذه الخطوة طعنة جديدة في ظهر الشعب الفلسطيني ومقاومته المشروعة للاحتلال لاسترجاع حقوقه المغتصبة في التحرير وعودة اللاجئين وبناء دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

وختاما سجلت الهيئة التنفيذية الروح الإيجابية التي طبعت مناقشة أعضائها للوضع الداخلي للفيدرالية وآفاق عملها، والتي تميزت بالوضوح والصراحة، والتأكيد على تشبث الجميع بمشروع بناء الحزب اليساري الكبير، وعلى تنفيذ القرارات التي اتخذتها هيآتها التقريرية، وتحيي الخطوات والجهود المبذولة في هذا الإطار، كما تثمن العمل المشترك بين مكوناتها محليا وقطاعيا ووطنيا، وتدعو جميع مناضلاتها ومناضليها إلى مواصلة العمل الوحدوي بجدية ومسؤولية، وقررت بهذا الصدد استكمال مناقشاتها في اجتماعها المقبل.

فيما يتعلق بالقضية الوطنية فقد عبرت الفيدرالية عن انشغالها باستفزاز الجبهة الانفصالية للمغرب دولة وشعبا بما أقدمت عليه في المنطقة الحدودية العازلة (الكركرات)، والهادفة للمس بالسيادة الوطنية ومحاولة فصل المغرب عن عمقه الإفريقي الشيء الذي يتطلب الحزم في التصدي لهذه المناورات والضغط على الأمم المتحدة لوضع حد لها.

هدنة كورونا.. ماهي طبيعة الصراع الاجتماعي في زمن الوباء؟

بصوت مرتفع

• محمد امباركي

لن نجانب الصواب إذا قلنا أنه في المرحلة الوبائية لم تطرأ تحولات نوعية على طبيعة الصراع الاجتماعي ومعركة النضال من أجل الديمقراطية، اللهم أن ميزان القوى المختل أصلا لصالح التحالف الطبقي المسيطر ازدادا اختلالا، بشكل جعل من هذا التحالف يسعى جاهدا لاستغلال هذه اللحظة للمزيد من تقنين ومأسسة استفراده بالسلطة والثروة على المستويات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك بشكل يتنافى مع الخطاب الذي رافق دخول الجائحة الى بلادنا والحديث عن التعبئة المجتمعية لامتطاء سفينة النجاة الجماعية من الغرق، وبالتالي الحاجة الى تأجيل كل الأولويات أمام قوة الفيروس غير المرئي، بشكل ساد فيه نوع من توازن "الرعب" بين القوى الاجتماعية المتصارعة في المجتمع وكذلك "تفاؤل الإرادة" - بتعبير غرامشي- في التدشين لمقومات تعاقد سياسي واجتماعي ممكن، يعيد الثقة في المؤسسات ويحول دون استمرار حذر وتوجس المغاربة من السلطة وامتداداتها الترابية والمؤسساتية، والخوف من الموت المبكر أمام هشاشة المنظومة الصحية ونخبوية العلاج ... لكن تطور الأحداث والممارسات فرض - بلغة غرامشي دائما -، نوعا من "تشاؤم العقل" من حيث هيمنة سياسة إدخال الطلب الاجتماعي على كرامة العيش إلى "الثلاجة" وتعطيل كل الانتظارات ومواجهة التعابير الاحتجاجية عنها بلغة القمع والتضييق والمحاكمات بتهم جاهزة ومتنوعة، حيث كان المشترك والغريب في هذه التهم أن كل ضحاياها مغضوب عليهم من طرف السلطة وظلوا تحت مراقبة "كاميراتها الخفية" !

ولا شك أن كل هذه الوقائع توحي باستمرار الدعوة الى هدنة غير متكافئة تحكمها سياسة ربح الوقت وتمنيع جيوب الاستبداد والفساد واستبعاد أية إمكانية تأسيسية قائمة على منطق التفاوض والتوافق تنتجه التطورات الموضوعية للصراع الديمقراطي.

لكن، ماهي مظاهر الهدنة "الكورونيالية" - إن صح التعبير- ؟

طالما قلنا أن هيمنة منطق الهدنة والتوافق غير المتكافئ في الحقل السياسي، لا يمنع الحقل الاجتماعي من صناعة مقاوماته المضادة لكل أشكال "الحكرة" والتهميش والإبعاد الاجتماعي.. حقيقة أن التحالف الطبقي السائد يعي هذه الحقيقة ويستعد لها قبليا وبشكل جيد في اتجاه أن يظل كل حراك اجتماعي منفلتا من أي أفق سياسي منظم قادر على المفاوضة وقلب الطاولة.

وفي الواقع، إن كل السياسات ومشاريع القوانين تتجه نحو ضبط الكمون الاحتجاجي المتراكم على ضوء التداعيات الاقتصادية والاجتماعية للجائحة، وأن يظل احتجاجا بالقوة وليس بالفعل، لكن هذه الاستراتيجية غير مضمونة العواقب، فلما يحتج جنود الجبهة الأمامية في مواجهة الجائحة أي أطباء القطاع العام من خلال إطاراتهم النقابية والجمعوية، فهذا معطى يجب الوقوف عنده بكل جدية، ف"عصيان" الجسم الطبي ليس هزيمة أمام قوة الفيروس غير المرئي، بل رفضا للغة الخشب والتسويف لوزارة الصحة التي وعدت بدعم هذه الفئة وتحفيزها، فوجدت هذه الأخيرة نفسها محرومة من الحق في الراحة والتعويض عن مخاطر الجائحة حيث يتساقط الضحايا من الأطباء والممرضين نتيجة الفيروس اللعين كما تتساقط أوراق الخريف. وبالتالي فإن القطاع الاجتماعي الاستراتيجي والمفروض أن يحظى بالدعم والعناية غير المشروطين يشهد تصاعد الاحتجاجات ويجد نفسه مرغما على "خرق" مناخ الهدنة، لما تحول الخطاب الرسمي التنويهي إلى خطاب منته الصلاحية من خلال نكث الوعود.

كما تتقاطع داخل الحقل الاجتماعي والثقافي في زمن كورونا، ثلاث لحظات مهمة لكنها غير قادرة على هدم أسس الهدنة غير المتكافئة، حيث من جهة أولى تقاوم الحركة النقابية المنقسمة، مشاريع قوانين تراجعية وفي ذات الوقت تدبر الصمود من أجل الحفاظ على الحد الأدنى من الحقوق الشغلية في ظل العواقب الوخيمة لآثار الجائحة على العمال والعاملات، ثم ولادة جبهة اجتماعية ظلت عاجزة عن بعث ديناميات نضالية قوية وذلك نظرا لحداثتها وحاجتها الى التراكم الكمي والنوعي أفقيا وعموديا. من جانب آخر فتعطيل كورونا للأنشطة الثقافية المرئية والحضورية لا يمنح للمثقفين أفرادا وجماعات الحق في الارتكان إلى الهدنة وتجميد الزمن الثقافي كزمن نقدي للسلطة ومختلف مظاهر القهر الاجتماعي والتخلف الثقافي.

إن من تجليات التدبير الممركز للحظة الوبائية فرض هدنة شاملة، سواء على مستوى الحقل الحزبي حيث الانشغال بالجدولة والقاسم الانتخابيين خارج الانشغال بجدوى اللحظة الانتخابية وتنافسيتها وتأثيرها في القرارات الاستراتيجية، في انتظار الوصفة التي يحضرها مطبخ لجنة النموذج التنموي الجديد. ربما نجد أنفسنا أمام إعادة إنتاج حقل حزبي بارد وأكثر ميوعة ونفورا خاصة وأن بعض العروض السياسية التي شكلت قبلة تعاطف اجتماعي واسع وخاصة مشروع فيدرالية اليسار الديمقراطي، الذي حاول أن يستلهم الدروس من التجربة الغنية للحركة التقدمية المغربية من خلال الربط الخلاق والمؤثر بين النضال الجماهيري والعمل المؤسساتي، توقف عند عقبة التردد وهدر الزمن السياسي وتباين القراءات والتقديرات، التي ترجمت بشكل واضح استمرار بعض أوجه الأزمة المركبة لليسار المغربي الذي ظل وفيا للبعض من سماته التاريخية، ومنها قدرته الفريدة على الهدم من خلال تصدير خلافاته التنظيمية للإعلام، ظنا منه أن التسويق الخارجي لخلافاته سيصنع منه موضوعا عموميا وتداولا مجتمعيا يحقق له الاكتساح السياسي المأمول، ومن جهة ثانية عجزه التاريخي عن إعادة البناء واستكمال حلقات النضج الفكري والسياسي والتنظيمي لتقاربه بما يمكنه من تحقيق التعبئة المجتمعية الضرورية التي لا تتوقف عند منتصف الطريق، بل تصل الى نهايتها في تفكيك بنيات الاستبداد واستعادة الثقة في العمل الحزبي والسياسي.. أمام هذا العجز في الانتصار على الذات انتصارا موضوعيا يسود منطق الهدنة من طرف واحد، وقد يلجأ هذا الطرف الى مبررات مختلفة في كل مرحلة وحين حسب المتطلبات الداخلية والخارجية وميزان القوى، أو كما قال الشهيد المهدي بن بركة وهو يشخص مشكلة الديمقراطية في المغرب "وكان المبرر الذي يلتجأ إليه (أي الحكم) لتعليل فقدان المقاييس هو أن الجهود يجب أن تتضافر لمواجهة كبريات القضايا الوطنية، وأنه لم يحن بعد موعد الديمقراطية.." (الاختيار الثوري ص 58).. وحقيقة تصر معضلة الديمقراطية في بلادنا على أن تراوح مكانها تاريخيا في ظل توافقات وتسويات لم تتجاوز التسويق لديمقراطية - الجرعات - مع العلم أن الديمقراطية لا يمكن أن تكون يافطة أو واجهة سياحية، بل يجب أن تكون حقيقة تفتح في وجه الجميع حظوظ التقدم والثقافة، وهي تستلزم نظاما للمجتمع يقوم على تغيير جذري لأسس بنائه..." (الاختيار الثوري ص 10).

• عبد الغني القباج

قد يبرر النظام السياسي الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعب المغربي، وخصوصا الطبقات الشعبية الكادحة والمحرومة، بجائحة «كورونا».. مع أن هذه الجائحة مكنت النظام السياسي من تقوية سلطويته، واستبداده، هذا ما يفرض علينا تشريحا دقيقا لتطورات الوضع بالمغرب، لتمثل آليات التغيير.

مؤشرات الظرف السياسي.. وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود

I. إعاقات التغيير الديمقراطي

لكن ما لم يستطيع تبريره النظام السياسي، هو أنه لم ينجح، منذ إسقاط حكومة عبد الله إبراهيم في ماي 1960، بسياسته السلطوية، وبحكوماته المتعاقبة، في تجاوز التخلف الاجتماعي والفقر.. وفي استئصال الفساد.. لذلك استمرت إعاقة ضرورة التغيير الديمقراطي الحقيقي، كأساس جوهري لتجاوز أسباب الأزمة الاجتماعية والتخلف الاجتماعي. وبالتالي تواصلت مؤشرات الفقر والتنمية الاجتماعية (الشغل، التعليم، الصحة، السكن...) تراوح مكانها في ذيل الترتيب العالمي ومحاربة الفساد في مراتب متأخرة.

1 - مؤشرات اقتصادية واجتماعية مقلقة

كشف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD)، فيما يخص التنمية البشرية لعام 2019، أن المغرب يحتل المرتبة 121 من بين 189 دولة. ويؤكد التقرير أن 29 % فقط من النساء البالغات في المغرب يلتحقن بالمدارس الثانوية، في حين أن نسبة الرجال الملتحقين بالمدارس الثانوية يصل فقط إلى 35.6 %. ونسبة مشاركة النساء في البرلمان، لا تتجاوز 18.4 في المائة من المقاعد البرلمانية بالرغم من آلية لائحة الكوطا. في هذا الواقع، استمرت نسبة الفقر مرتفعة في المغرب، تؤكدها إعاقة التنمية الاجتماعية ومؤشراتها:

- الفقر المدقع في المغرب حوالي 25 % وفقا لإحصاء الفقر والأرقام الرسمية، أي أكثر من 8 ملايين و500 ألف مواطن ومواطنة، الذين استفادوا مما يسمى بالتغطية الصحية «راميد». والجميع يعرف المشاكل التي يعاني منها المواطنات والمواطنين الفقراء والمحرومون مع الخدمات الصحية «راميد». إضافة إلى أن 45 % من الشعب المغربي يعيشون في أوضاع الهشاشة الاجتماعية، التي عرتها جائحة كورونا.. إضافة إلى استمرار الفساد والرشوة في واقع الخدمات الصحية

العمومية، وارتفاع أسعار عيادة أطباء القطاع الخاص والدواء.

- نسبة البطالة بلغت 14.8 % هذه السنة، مع استمرار معاناة الشعب المغربي من جائحة «كورونا»، مما أصبحت معه الهشاشة الاجتماعية عالية.

- الناتج الفردي الخام ضعيف واستمر في التقهقر، وبالتالي فالدخل الوطني الإجمالي للفرد في التصنيف الجديد 2021-2020، والمغرب لا يزال في فئة «الدخل المتوسط الأدنى»، إذ لا يتجاوز هذا الدخل حوالي 1200 درهم.. لعموم أفراد الطبقة المتوسطة.. أما الفئات الاجتماعية الفقيرة والمحرومة، فإن أفرادها يعيشون بين الفقر والفقر المدقع.. ولا يستمرون في الحياة، وتوفير السكن، والأكل والدواء وشروط الحياة، سوى بأقل من دولارين (19 درهم) في اليوم...

- عمل الأطفال: يوجد في المغرب، حسب «المندوبية السامية للتخطيط»، 000 200 طفل يقومون بأشغال شاقة من بين 000 271 7 طفل تتراوح أعمارهم بين 7 و17 سنة. ومن بين الأطفال الذين يضطرهم واقع عيشهم للعمل، 119,000 طفل تمارس عليهم أعمال خطرة، وهو رقم يبلغ 1.6% من أطفال المغرب، منهم 74.4 % في مناطق قروية، و84 % من الذكور، و75.6 % تتراوح أعمارهم بين 15 و17 سنة. وتصل نسبة الأطفال المغاربة الذين يعانون من الحرمان الشديد 45.7، وفق تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لسنة 2019. ولا زال المغرب يعاني من مشكل زواج القاصرات، والعنف ضد النساء وعدم مساواة المرأة بالرجل..

ومن المؤشرات التي تعبر، كذلك، عن واقع الفقر، الذي نعاينها ونعيشها في حياة وواقع فئات عريضةمن الطبقات الشعبية:

- مؤشر وفيات الأطفال والنساء الحوامل (تقرير المندوبية السامية للتخطيط، مؤسسة رسمية، لسنة 2019، أقر بأن معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة وصل إلى نسبة 22.2 في الألف سنة 2018، وأن المغرب «لا يزال متأخرا في هذا المجال مقارنة مع بعض الدول العربية مثل لبنان وتونس، ووفيات الأمهات، سنة 2018 بلغت نسبة 72.6 وفاة للأمهات لكل 100 ألف ولادة حية.).

- مؤشر وضع البيئة (مشاكل تدبير النفايات والأزبال، وتدهور المجال الغابوي والفضاءات الخضراء والبيئية...)، غابة الفلين معمورة تصل مساحتها إلى 133 ألف هكتار، تتعرض إلى التلف والتدهور. وحسب الخبير المغربي، الدكتور محمد الرجدالي، فقد فقدت بين عامي 1951 و1992، ألف

مؤشرات الظرف السياسي.. وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود

• عبد الغني القباج

هكتار، وتقلصت الغابات في شمال المغرب بنسبة 45% في الأربعين سنة الماضية بسبب زراعات القنب الهندي والحرائق.
أما في الجنوب فزحف الرمال الصحراوية أتى على 280 ألف هكتار من المساحات الخضراء، و30 ألف هكتار من غابات شجر الأركان، التي لا توجد إلا في المغرب، تم إتلافها بسبب جشع أصحاب الضيعات الكبيرة.
وأتلف الزحف العمراني فضاءات خضراء كبيرة بسبب توسع المدن عشوائيا وجشع مصالح برجوازية العقار وبناء العمارات والقصور والفيلات.
وحسب دراسات المندوبية السامية للمياه والغابات، فإن أسباب هذا الوضع متعددة، ويقف على رأسها أن الغابة بالمغرب هي المصدر الرئيسي للطاقة لدى سكان القرى، ويستهلك المغاربة سنويا حوالي 10 ملايين متر مكعب من الحطب، إضافة إلى الرعي، مما يسبب تدهور الغابة بالمغرب، إذ إن 40% من مساحة المغرب مخصص للرعي. وتُدَمِّر الحرائق مساحات الغابة، إذ قضت على 2700 هكتار بين عامي 1990 و2007.
- مؤشر مقلق للسكن غير اللائق (logement insalubre) دور الصفيح.. فتقرير المجلس الأعلى للحسابات، يونيو 2020، انتقد هذا الواقع وبرنامج الحكومة، «مدن بدون صفيح» منذ 2008 إلى 2018، لعدم التزاماتها بالقضاء على دور الصفيح (البراريك) في المغرب. وحسب هذا التقرير، فقد ارتفع عدد الأسر القاطنة في دور الصفيح»، لـ»عدم التزام الدولة والحكومة بالقضاء على السكن غير اللائق، وعلى دور الصفيح قبل 2010، وقد مرت اليوم 10 سنوات ولازال متوسط ازدياد عدد الأسر القاطنة بالبراريك، سنويا، يصل إلى 10 آلاف أسرة، أدى، ذلك، إلى زيادة 202 ألف أسرة قاطنة في دور الصفيح. من جهة ثانية، أكد التقرير أن 26 مدينة من ضمن 85 مدينة لا زالت تضم أحياء أو دور الصفيح، وخصوصا الدار البيضاء وسلا، مثلا، اللتين لا زالتا تحتويان أحياء الصفيح.
- مؤشر مشكل الحصول على الماء الصالح للشرب: من الضروري أن يتوفر الفرد عن 1000 متر مكعب سنويا. في حين في المغرب لا يتوفر الفرد سوى على أقل من 650 متر مكعب سنويا. لذلك حذر المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، من أن الاستهلاك الفردي للماء سيصل فقط إلى 500 متر مكعب بحلول سنة 2020.

وسيفقد المغرب، حسب دراسات دولية، 80 في المائة من الموارد المائية المتوفرة في بلادنا خلال السنوات الـ25 المقبلة. مما يهدد الأمن المائي للمغرب، ويعمق اعتماد المغرب على أمنه الغذائي على الخارج.
وهذا الواقع لن يؤدي بفئات عريضة من الشعب المغربي إلا إلى تعميق سوء ونقص التغذية، بل وإلى المجاعة.
هذا إضافة إلى تأخر المغرب فيما يخص جودة التعليم، الذي يعاني أزمة بنيوية، سواء في المقررات والبرامج أو الخصاص الكبير في الأطر التعليمية.
- مؤشر الانقطاع عن الدراسة، فإن إحصائيات رسمية، تسجل انقطاع 431 ألفا و876 تلميذا وتلميذة من سلكي الثانوي الإعدادي، عن الدراسة، قبل حصولهم على شهادة، وفق مؤشر ما بين 2014 و2018، وكما يؤكد المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.
وضع التعليم الذي يعاني أزمة، مركبة، بسبب تحويل مقررات وبرامج التعليم إلى بضاعة لـ»صناعة» يد عاملة وأطر المقاولات الرأسمالية، وخصاص في الأطر التربوية.. كان طبيعيا أن ينتج عنه ارتفاع مؤشر الأمية الابجدية والثقافية، وضعف المستوى المعرفي. وبالتالي، كان طبيعيا أن يتعمق الفقر والهشاشة الاجتماعية، وانهيار القيم الإنسانية النبيلة في العلاقات الاجتماعية..
أمام تدهور الوضع الاجتماعي للطبقات الشعبية، وعلى إثر نضال الحراكات، الذي فضح جانبا من الأزمة الاجتماعية، اضطر الملك، لاحتواء الغضب الشعبي، في أكتوبر 2017، بالإقرار بفشل ما سُمِّيَ بـ»النموذج التنموي» الاقتصادي والاجتماعي، الذي أطلقه الملك نفسه قبل 18 سنة.
وجاءت جائحة كورونا لتعري استمرار استفحال الأزمة الاجتماعية والاقتصادية، وتؤكد فشل وأزمة نظام سياسي واجتماعي.

2 - تعاقب الحكومات وتراكم الأزمات

جرب النظام السياسي، منذ مارس 1998، حكومة سيرها الراحل عبد الرحمان اليوسفي زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي. ثم تخلى النظام السياسي عن هذا الحزب.. وجرب التكنوقراطي ادريس جطو، كتعبير عن مد الجسر مع الطبقة الرأسمالية والاستجابة لمطالبها، خصوصا فيما يخص مرونة الشغل، وأصبح الرأسمالي وزيرا أولا مع إدريس جطو ووزراءه. وفي هاته الفترة نصت مدونة الشغل، في المادة 3 من مدونة الشغل، على أن الأنظمة الأساسية للمقاولات هي، قانونيا، أعلى مرتبة من مدونة الشغل نفسها، وعن عقود الشغل.
وجرب حكومة بقيادة حزب الاستقلال.. أسقطتها نضالات «حركة 20 فبراير». وجرب حكومة يسيرها حزب الإسلام السياسي «العدالة والتنمية»، الذي انفجرت في عهدها تفجر الحراكات الاجتماعية، التي تم قمعها وتعرض عشرات من نشطائها للاعتقال.. واعتقال صحفيين جريئين تعرضوا لتلفيق تهم عبثية ولأحكام قاسية بالسجن..

3 - مركزة السلطة لا تدع مجالا لتطور العمل الحزبي

مؤشرات الظرف السياسي.. وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود

• عبد الغني القباج

نظام سياسي واجتماعي يحتل فيه الملك مركز «إمارة المؤمنين»، ويسيطر على القرار السياسي، وجميع السلط الأمنية والقضائية. وبالتالي فإن المؤسسة الملكية هي الفاعل السياسي المركزي، وبالتالي، فإنه من الطبيعي أن تحتل جميع مؤسسات النظام السياسي هامش السياسة.

ما سلف يوضح أن الحكومة تشتغل كإدارة متخلفة عن ممارسة السياسة. وبالتالي فاقدة لرؤية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية..

يوضح أن الحكومة، في المغرب، ترتق وترتجل سياستها، كما يرتق متشرد دربالته برُقع مختلفة، يلتقطها من الزبالة. وبالتالي، أغلب الأحزاب السياسية المخزنية تائهة، لا تعرف ما العمل؟ تدور في حقل السياسة والانتخابات، كبغل طاحونة الزيت، على عينيه «غماضتين»، لا ترى سوى مصالح وامتيازات صفوتها.

4 - خيار التكنوقراط تدمير للحياة السياسية بالمغرب

لقد اتضح أن السياسة في المغرب لا زالت رهينة ردهات القصر، حيث تُصْنَعُ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وزكت هذا النهج السلطوي جائحة «كورونا».

ولم يَبْقَ أي معنى للسياسة، مع تعيين التكنوقراط في الحكومة الحالية. التكنوقراط الذي يأتمر بأوامر القصر.. ورغم إجراء الانتخابات، وتباري الأحزاب المشاركة فيها، وتنصيص الدستور على أن رئيس الحكومة يُخْتارُ من الحزب الأول وتوكل له تشكيل الحكومة، فإن الحكومة الحالية تتضمن 9 وزراء لا انتماء حزبي أو سياسي لهم، أو لنقل أنهم ينتمون لسياسة مؤسسة المخزن.

وبالتالي تصبح الحكومة، بالنسبة للأحزاب السياسية المنخرطة في النسق السياسي، هي مجرد مؤسسة لتقاسم الغنائم والحصول على امتيازات اجتماعية واقتصادية.

إضافة لذلك، ففي المغرب، التكنوقراط يتولون أهم المؤسسات في جهاز الدولة، ويعينون بظهائر ملكية. أي غير خاضعين لمساءلة البرلمان والحكومة، لأن السلطة السياسية تعتقد أن السياسيين لا يتوفرون على كفاءات يمكنها أن تتخذ القرار السياسي في مجالات اقتصادية واجتماعية وقضائية وغيرها.. بالتالي، فالسلطة السياسة هي التي تصنع القرار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

والواقع أن التكنوقراط ليست لديهم رؤية سياسية. ويفضلون الاقتصاد والقضايا الاجتماعية عن السياسة..

هذا هو تاريخ الحياة السياسية في المغرب، منذ أن تم إسقاط حكومة عبد الله إبراهيم التقدمية في ماي 1960..

وإذا حللنا علميا أداء التكنوقراط، كمسؤولين حكوميين، فإننا نلاحظ أنهم لم يُنتجوا سوى الكوارث في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لذلك، فإن تجربة أحزاب الاتحاد الاشتراكي والاستقلال والتقدم والاشتراكية، في المسئولية الحكومية، لم تغير من طبيعة النظام السياسي، ومن احتكاره للسلطة السياسية والقرار الاقتصادي والاجتماعي. وعندما يتعلق الأمر بانتهاكات حقوق الإنسان وحرية التعبير، فإن هذه الأحزاب تصمت، رغم أنها، نظريا، تتحمل المسئولية.. ولنا في مثال اتهام الجماهير الشعبية في منطقة الريف، التي احتجت وانتفضت ضد الإقصاء الاجتماعي الذي تعانيه، اتهمت هذه الأحزاب الحكومية في بيانها الشهير، جماهير الريف بخدمة أجندة خارجية، وبتلقي نشطائها أموالا من الخارج.

هذا الوضع السياسي يفسر أزمة النظام السياسي التي لا يزال المغرب يعانيها، كما يفسر عدم اهتمام المواطنين بالسياسة السائدة ومؤسساتها وأحزابها.

ذلك يجعلنا نتساءل: ماذا تستطيع «لجنة النموذج التنموي الجديد للمغرب» أن تبلوره من رؤية جديدة وبرنامج اقتصادي واجتماعي لتجاوز فشل السياسة الاقتصادية والاجتماعية؟ ألم تتشكل لجنة موسعة صاغت «تقرير الخمسينية» للبحث في الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، وتم نسيان عملها.. وتمت إحالة هذا التقرير على غرفة الأرشيف؟

5 - أزمة بنيوية تعرقل المسار الديمقراطي

ما سلف يوضح أزمة النظام السياسي والاجتماعي والثقافي في المغرب. وتتلخص هذه الازمة في أزمة "الديمقراطية"، وليس فشل ما يسمى "نموذج تنموي" سوى مظهر من مظاهر هذه الأزمة.

إن أزمة "الديمقراطية" تتجلى في فشل محاولات بلورة نظام سياسي بتركيب مؤسسات سياسية وإيديولوجية متناقضة تتمثل في مؤسسة تقليدية (مؤسسة دينية ومؤسسة مخزنية ومؤسسات حديثة (برلمان، حكومة، قضاء، جماعات محلية... الخ.

ومن الواضح أن من بين عوامل أزمة الديمقراطية في المغرب، وبالتالي أزمة النظام السياسي والاجتماعي و الثقافي، عامل تضخم واقع اجتماعي شعبوي، ساهمت في تضخمه وسائل التواصل الاجتماعي، وتوسع نزعات التطرف الديني والثقافي، بسبب ما تروجه خطابات حركات الإسلام السياسي و"فقهاء" التطرف الديني وثقافة الانغلاق الهوياتي.

ولا يخفى علينا، من جهة ثانية، عامل السياسة الدينية الرسمية السائدة التي لا تفصل بين السياسة والدين، لشرعنة النظام السياسي.

ولمواجهة أزمة الديمقراطية التي هي أزمة نظام سياسي، والتي أنتجت الإرهاب الإسلاموي، بلور النظام السياسي "قانون الإرهاب" وسياسة أمنية جديدة. لكن سيتم تعميم هذه السياسة الأمنية في المغرب لمواجهة الاحتجاجات الشعبية في عدة مناطق، مما يجعل الشعب المغربي وحركاته الاجتماعية والسياسية اليسارية والديمقراطية الراديكالية المناضلة تعيش حالة استثناء فعلية، عمقها استشراء جائحة كورونا.

مع أن الشرط الموضوعي للتغيير الديمقراطي الحقيقي لا زال متوفرا بنسبة كبيرة، وقد عبرت عن ذلك الاحتجاجات الاجتماعية العفوية والمنظمة التي ترفض السياسة السائدة، وحركات اجتماعية ديمقراطية مناضلة، ترفض التصور المختزل والمزيف للديمقراطية (ما جرى في منطقة الريف وجرادة وزاكورة وتندرارة والرشيدية وطانطان... ومناطق أخرى بحدة أقل).

لكن الشرط السياسي الذاتي للتغيير الديمقراطي، المتمثل في القوى اليسارية والديمقراطية الحقيقية السياسية والنقابية والاجتماعية والثقافية، الذي من المفترض فيها قيادة النضال الديمقراطي الجماهيري، لازال ضعيفا بفعل التناقضات الفكرية والسياسية والتنظيمية التي تخترق القوى اليسارية والديمقراطية الحقيقية.

ولم تستطع هذه القوى أن تتوحد حول تصور

مؤشرات الظرف السياسي.. وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود

• عبد الفني القباج

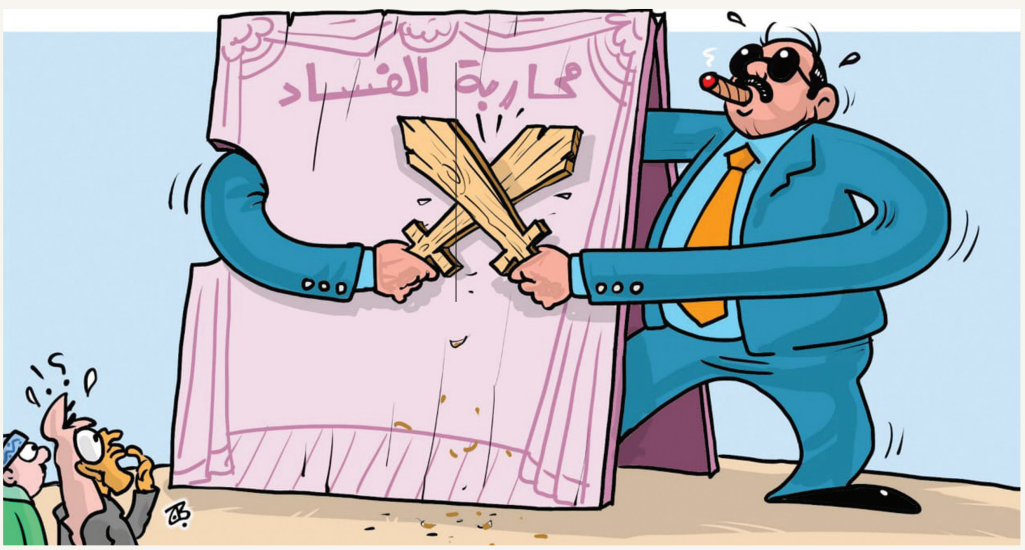

وبرنامج سياسي مرحلي لمواجهة التراجعات الكبيرة التي تمس بعض المكتسبات السياسية وفي مجال حقوق الإنسان، على هزالها في الواقع، والنضال من أجل دستور ديمقراطي صياغة وإقرارا، ونظام سياسي ديمقراطي ومجتمع ديمقراطي، مؤطرين بثقافة وممارسة سياسية واجتماعية ومدنية ديمقراطية تحترم حقوق الانسان، لعزل سلطوية النظام السياسي وعزل الإرهاب الإسلاموي، والقضاء، سياسيا وثقافيا، على أسبابه وعلى كل نزعات الإجرام والفوضي.

وأزمة الواقع السياسي الاجتماعي أصبحت أكبر وأضخم من برامج وإجراءات النظام السياسي والحكومة وقوانينها المالية. ويتجلى ذلك في كون الأحداث السياسية والاجتماعية والاحتجاجات الاجتماعية تجاوزت الحكومة وسياستها. ونعتقد أن سياسة الترقيع لم تعد تنفع مع أن أعلى سلطة سياسية في البلد أقرت بفشل ما يسمى "النموذج التنموي" الذي صاغته وأقرته هذه السلطة السياسية نفسها.

II. هل يمكن أن يتحول نظام مخزني تبعي إلى ديمقراطية حقيقية؟

نعتقد أن الديمقراطية، وفقا لرؤية شاملة بعمق اجتماعي واقتصادي والثقافي، بقدر ما يجب أن تتجسد في الطبيعة الديمقراطية للنظام السياسي وممارسات إداراته ومؤسساته السياسية والاجتماعية والثقافية، بقدر ما من المفروض أن تتأسس على/ ويتم بناؤها في البنيات والممارسات المجتمعية والمصالح الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المجتمعية أي في العلاقات الاجتماعية برمتها. الديمقراطية الحقيقية تحقق للمواطن وللمواطنة الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية والثقافية كاملة والمساواة بين المرأة والرجل، وفي العلاقات الاجتماعية وفي علاقة الدولة بالمواطن وبالمواطنة.. وهو ما لم يتحقق، حتى اليوم، في أنظمة الرأسمالية المتقدمة. هذه الأنظمة الرأسمالية المتقدمة فشلت في تحقيق ديمقراطية حقيقية.. إذ ظلت «الديمقراطية الليبرالية» في هذه الأنظمة، منذ استفراد البرجوازية الكبرى بالحكم، ديمقراطية/ ديكتاتورية الطبقة الرأسمالية.

كما بينت تجربة ما سمي بـ«التناوب التوافقي» فشل بناء ديمقراطية «ليبرالية»، في ظرف أزمة ما سُمِّيَ «السكتة القلبية» الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي وصلها الواقع في المغرب، في منتصف تسعينات القرن الماضي، رغم أن عبد الرحمان اليوسفي، زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، اعتقد أن «الْكَلْمَة» و «الْقَسَم» على القرآن، ستمكن ما سمي «التناوب التوافقي»من تغيير النظام السياسي المخزني التبعي إلى نظام سياسي ديمقراطي. وهذا ما لم يتحقق، بالنظر لأن الأوهام السياسية تتناقض مع تغير واقع وطبيعة نظام سياسي سلطوي استبدادي.

ولذلك، تعلمنا دروس التاريخ والواقع وصيرورة نضال «حركة 20 فبراير»، أن الديمقراطية صيرورة تاريخية لبناء قوة اجتماعية جماهيرية ديمقراطية، وتشكل قيادة ديمقراطية حقيقية مرتبطة بالأغلبية الساحقة من الطبقات الشعبية الكادحة (عمالا وفلاحين الفقراء وعموم الأجراء محدودي الدخل والمثقفين والمثقفات الديمقراطيين الثوريين وفئات اجتماعية شعبية)، التي لها مصلحة مرحلية واستراتيجية لتحقيق نظام سياسي ديمقراطي حقيقي، ومجتمع ديمقراطي حقيقي.

وهذا لا يعني أن أفرادا من قلة قليلة من البرجوازية الكبرى الذين يحملون وعيا وطنيا ديمقراطيا، مناهضة لاقتصاد الريع، وللسيطرة الرأسمالية الامبريالية، لا يمكن أن يصبحوا، في صيرورة صراع الطبقات الشعبية الديمقراطي، فئة برجوازية وطنية ديمقراطية، مناهضة للرأسمالية العالمية، منخرطة مع جماهير الشعب، بأشكال مختلفة في النضال الديمقراطي العام، شرط أن تحدث هذه الفئة من البرجوازية قطيعة مع المؤسسة المخزنية وتناضل ضد النسق المخزني وضد اقتصاد الريع وبالتالي تتحرر من سيطرة الرأسمالية التبعية والرأسمالية الامبريالية المعولمة.

لكن اليوم في الواقع السياسي الملموس، هذه الفئة القليلة من البرجوازية الكبرى في المغرب، لا زالت مصالحها مرتبطة بمصالح نظام المخزن والتبعية الاقتصادية والسياسية، وتتفادى مواجهته، كما أن مصالحها لا زالت مرتبطة بمصالح الشركات الرأسمالية الإمبريالية المُسْتَوْطِنَة في المغرب.

ملف العدد:

الصحراء المغربية.. بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• إعداد : كريمة خورشا بنعثمان - منعم وحتي

نزاع الصحراء هو امتداد لنضال المغرب في سبيل استكمال وحدته الترابية، وهو أيضا تجل من تجليات السياسة الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت شمال إفريقيا، وقلصت حدود المغرب الطبيعية والتاريخية إلى حدوده الحالية. وبالإضافة إلى كونه نتيجة مباشرة من نتائج السياسة الاستعمارية التجزيئية على المغرب وعلى وحدته الترابية، فإن نزاع الصحراء عرف تطورات مستمرة غذتها الطموحات التوسعية ورغبات الهيمنة على المستوى الإقليمي، والرغبات المصلحية الدولية التي غذتها بدورها ظروف دولية دائمة التبدل والتغير.

إن تدبير ملف استكمال الوحدة الترابية ونزاع الصحراء شابته تعثرات كثيرة منذ بدايته، أهمها سياسة استرجاع المناطق المحتلة بالتدريج وبطرق "مهادنة"، وفقا للسياسة التي نهجها القصر والقيادة السياسية الأولى لمغرب ما بعد الاستقلال الشكلي، حيث تم التآمر بالإجهاز على جيش التحرير في الشمال والجنوب، في إطار تفادي الدولة المركزية لخطر معارضة داخلية محتملة، لكن أيضا في إطار تقديم التنازل تلو الأخر للدول الأجنبية، وهو ما طبع تاريخ التدبير المخزني لاستكمال الوحدة الترابية لفائدة فرنسا وإسبانيا.

في الضفة الأخرى للجارة الشقيقة، فقد ورث العسكر في الجزائر أغلب تركة الجيش الفرنسي في ميدان الأهداف الاستراتيجية التي كان قد وضعها لتفتيت المنطقة، وبالتالي فإحكام سيطرة جنرالات قصر المرادية على البوليساريو، كان في اتجاه إذكاء النزاعات واستدامة القلاقل وافتعال الأزمات بدون أية جدوى، وهو ما دفع بالشباب والنخب الصحراوية المتنورة لمواجهة استبداد وتبعية جبهة البوليساريو، والبحث عن بدائل ديمقراطية وحدوية تهدف إلى التنمية والعدالة الاجتماعية مع إرساء الأسس الديمقراطية، وهو ما يتقاطع مع طروحاتنا التقدمية، بالربط الجدلي بين قضية تحرير التراب وتحرير الإنسان المغربي من شمال المغرب إلى صحراءه، وباعتبار قضية السيادة الوطنية في عمق قضية السيادة الشعبية.. وهو المدخل الأساسي لصحراء مغربية يتكامل فيها الشمال مع الجنوب على قاعدة التنمية والديمقراطية الحقة.

الوحدة الترابية للمغرب..
يكاد أن يشبه اليومُ الأمسَ!

• يزيد البركة

ورث العسكر في الجزائر أغلب تركة الجيش الفرنسي في ميدان الأهداف الاستراتيجية التي كان قد وضعها للمنطقة، وبالتالي نكاد أن نعود في المغرب إلى المربع الأول. في المقابل ما كانت تبحث عنه نخبة المخزن نفسها وبتشجيع من هذا الأخير من وسائل للإصلاح لم يعط شيئا، وفضل المخزن الأخذ بالقشور، اليوم وبعد أكثر من قرن ونصف من الدعوة إلى إصلاح جوهر الحكم نجد أنفسنا ما نزال في نفس زوبعة البحث عن المخرج. محوران كبيران نتناولهما في هذا المقال في علاقة مع الوحدة الترابية للمغرب.

القسم الأول –

رحل الجيش الفرنسي وترك خططه

ظهر عجز الدولة جليا من القرن الخامس عشر الميلادي وما تزال لحد الآن غير قادرة على أن تنهض من كبوتها وأن تملك عوامل وأسباب القوة للوقوف. حيث تعرض المغرب في ذلك التاريخ لموجتين كبيرتين من الاستعمار، الأولى حصلت في كنف النهضة التجارية الأوروبية وما يسمى بعصر الاستكشافات في القرنين 15 و 16، والموجة الاستعمارية الثانية كانت في القرن 19 وبداية العشرين، وحصلت في كنف الفترة الصناعية والبحث عن الأسواق ومصادر المواد الخام (أنظر الصورتين رقم 1 و 2).

ما يقصد في المقال بالوحدة الترابية ليس الإحالة على التاريخ القديم، أي على فترات الإمبراطورية المغربية وحدودها، بل فقط الفترة التي حصن فيها المغرب حدوده في وجه الدولة العثمانية التي سيطرت على الجزائر لمدة تفوق بكثير ثلاثة قرون. فإذا كانت الموجة الأولى تضم عددا قليلا من الدول، التي كانت لها أطماع واضحة في المغرب مثل البرتغال وإسبانيا، وكان يسهل بالتالي استرجاع أجزاء هامة منهما، فإن الموجة الثانية كانت تشمل عددا كبيرا من الدول تعتبر فرنسا رأس الحربة فيها، واستطاعت حتى أن تستوعب ضمن استراتيجيتها ما كان قد بقي من الاستعمار الاسباني.

1 المرحلة الأولى من الاستراتيجية

بنت فرنسا استراتيجيتها لاحتلال المغرب على غلق كل المنافذ قبل تدشين خطة الغزو، وكان هذا الأخير قد سهل المهمة، بأن فكك الأسطول العسكري وقدم أغلب قطعه للأتراك في الجزائر وليبيا وأغرق الباقي طواعية، وأقفل مصانع الأسلحة، وأغلق المراسي ومنع التجارة الخارجية؛ لذا فإن فرنسا عندما احتلت الجزائر كانت مطمئنة من إغلاق البحر الأبيض المتوسط والمحيط، ولم يبق لعزله عزلا تاما، إلا الشرق والجنوب للبدء في تنفيذ الحلقة الأخيرة.

لم يكن الأمر سهلا على فرنسا، حيث واجهتها صعوبات كثيرة، منها أولا مقاومة شعوب وقبائل الدول والمناطق التي تدخلها، ثانيا إرضاء الدول الرأسمالية الصاعدة صناعيا والتي تبحث هي الأخرى، عن المواد الخام والأسواق، ولهذا كانت 82 سنة الفاصلة بين احتلال الجزائر وبين فرض الحماية على المغرب، فترة مد وتوقف لتوطيد التواجد والمفاوضات والتنازلات للقوى المنافسة وانفجارات داخلية مثل ثورة 1848.

بعد الجزائر، لم تتمكن فرنسا من احتلال السنغال إلا في 1858، وكانت موجودة من قبل ولكن في إطار علاقات تجارية فقط، كما هو الأمر في شنقيط. لكن ظهر لها بعد 28 سنة من احتلال الجزائر، واحتلال السنغال أنها لم تتمكن من قطع العلاقات التجارية للمغرب مع دول جنوبه لأربعة أسباب أساسية: الأول، يعود إلى عدم القدرة على السيطرة على كامل التراب الجزائري وخاصة الصحراء وبقاء الطريق التجاري من المغرب إلى مالي عبر تندوف سالكا، الثاني أن الحاجز الجمركي في السنغال لا نفع له لقطع الطريق التجاري المار عبر الساحل، لكون سكان موريطانيا الحالية ينتمون إلى فرعين الأول الفرع الصنهاجي والثاني الفرع الحساني وهما معا موجودان كقبائل أو بطون أو فخذات في مجموع التراب المغربي شمال الصحراء، وما دام الفرعان يتاجران مع السنغال ومالي فإن التبادل التجاري سيبقى مع المغرب. الثالث أن بريطانيا وألمانيا وبلجيكا وعددا

التغلغل الأوروبي بالمغرب (1884 - 1911)

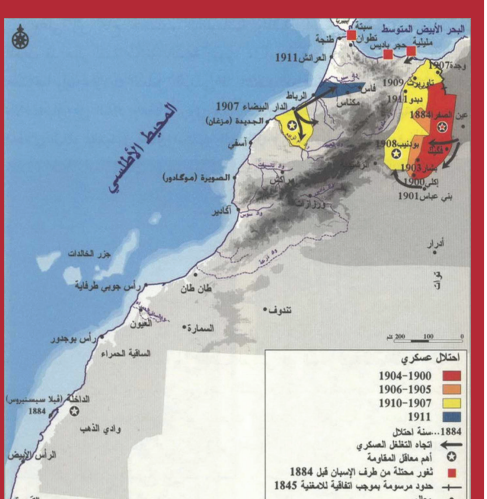

عن دانيال نوردمان، جيش الجزائر والمغرب دينامية الغزو أواخر القرن التاسع عشر - بداية القرن العشرين (بالفرنسية)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996، ص51. عن كتاب "تاريخ المغرب تحيين وتركيب لمجموعة من المؤرخين والباحثين".

الوحدة الترابية للمغرب.. يكاد أن يشبه اليومُ الأمسَ!

• يزيد البركة

آخر من الدول تتنافس على المواد الخام هي الأخرى وكانت قد خاضت قبل هذا التاريخ حربا فيما بينها سميت بحرب الصمغ أو العلك. ورغم اتفاقها على حلول توافقية حوله، إلا أن الصراع بقي ثابتا، لذا رأت فرنسا أن عليها أن تدفع حاجزها الجمركي إلى الشمال وتحتل موريطانيا وأن تقضي على المقاومة الجزائرية وتحتل الصحراء الجزائرية بالكامل وتتوغل في الصحراء من تندوف شمالا وجنوبا وتذهب بعيدا غربا إلى الصحراء الموريطانية حتى يسهل عليها ربط الجيش الفرنسي المحتل للجزائر بموريطانيا وبالتالي من هناك بنظيره في السنغال. الرابع راجع إلى العامل الفكري والسياسي، إذ كانت كل الاتجاهات الفكرية في ذلك الوقت تنهل من الصوفية التي نشرتها زوايا منذ العصر المريني مثل الجزولية والقادرية والتيجانية وظهرت زوايا محلية كجذور للأولى مثل الزاوية الفاضلية في شنقيط وزاوية احمد الركيبي وزاوية ماء العينين في السمارة وزاوية أحمد أوموسى التي يوجد مركزها في إذا أسملال ثم إليغ قرب تزنيت، ومن هذه الزوايا خرج كل المجاهدين الذين حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني، خاصة بعد أن كشف المستعمر عن نواياه بأنها تتعدى التبادل التجاري.

وجد الجيش الفرنسي صعوبة كبيرة في نشر قواته على طول البلاد وعرضها في الجزائر، نظرا لقوة المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر، الشيء الذي دفع فرنسا لعقد هدنتين معه حتى تراجع خططها للقضاء عليه، وكان الأمير يلتجئ إلى قبائل وزوايا غرب الجزائر وشرق المغرب لمده بالرجال والعتاد والمؤونة، وفي الأخير فهمت فرنسا أنه لا بد من تحييد المغرب مؤقتا، ومن استعمال كل وسائل العنف ضد القبائل حيث تم اعتماد الأرض المحروقة وهكذا تم وضع حد للثورة الأولى ضد فرنسا في 1847 بعد معركة إيسلي مع المغرب في 1844، وعقد اتفاقية للامغنية في 1845 لرسم الحدود والتي استغلت من طرف فرنسا للتوغل في الصحراء الشرقية للمغرب بتأويل لصالحها بدعوى أن ما تحت الخط المتفق علية جنوبا هو أرض خلاء. لذا فإن حرب إيسلي واتفاقية للامغنية مرتبطان بتوطيد الاستعمار في الجزائر وليس بالهجوم على المغرب لاحتلاله.

وفي 1854 احتلت منطقة ورقلة شرق الصحراء الشرقية للجزائر، وفي 1900 احتلت توات وتيديكلت وكورارة وهي مناطق بغرب الجزائر يتداخل فيها ما هو للمغرب مع ما هو للجزائر، بناء على الحدود التي وقف عندها الزحف العثماني. وبذلك نشر الجيش الفرنسي قواته في مجموع التراب الجزائري وقضم بعض الأجزاء من المغرب، بناء على تفسيره.

لكن قبل احتلال أجزاء من الصحراء الشرقية للمغرب، عقد مؤتمر برلين الثاني في 1884 بدعوة من البرتغال تلقفها بسمارك وجمع فيه 14 دولة رأسمالية كبرى وصاعدة، وحضرت أمريكا كمراقب وكذلك إسبانيا التي كان يحسب لها حساب قبل أن تخسر مستعمراتها في حربها مع الولايات المتحدة، الشيء الذي دفعها إلى اتخاذ خطوات لبيع نقاط تواجدها التجاري في الصحراء الغربية للإمبراطورية النمساوية المجرية. دام الاجتماع 100 يوم وهو أغرب مؤتمر ليس فقط في مدته بل في مضمونه أيضا، حيث كان عبارة عن أكبر جلسة لصوصية حضرها رأسماليون جشعون ليقرروا أن يوزعوا فيما بينهم بلدانا وأراضي في غيبة عن أصحابها المالكين، وخرج بعدة قرارات منها إقرار كل دولة على ما كان ما تحت يدها قبل المؤتمر. إقرار وضع اليد على أي مكان فيه نفوذ شركة تجارية. إطلاق اليد في مناطق جديدة خلاء أو فيها سكان شريطة إعلام مسبق للدول الموقعة على وثيقة المؤتمر. تبادل الأماكن بين الدول الحاضرة بشكل ثنائي مثل اعتراف فرنسا لبريطانيا بأحقيتها في مصر واعتراف الأخيرة لفرنسا بأحقيتها في شمال إفريقيا

مراحل الاحتلال الاستعماري وأهم معاقل المقاومة (1907 - 1934)

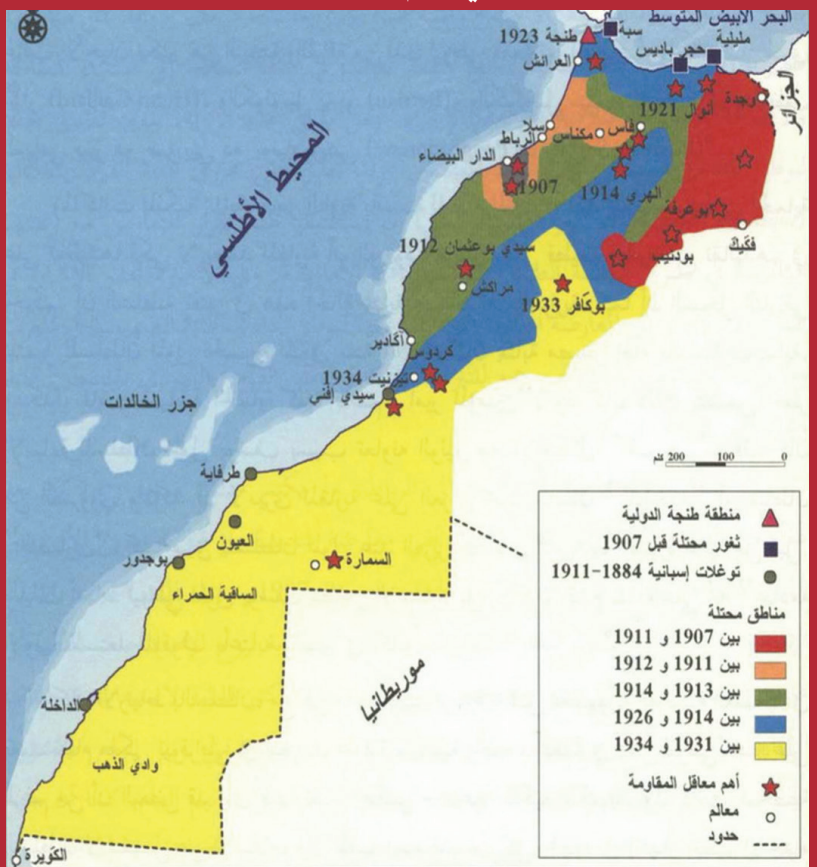

عن الاستعلامات الكولونيالية، (بالفرنسية)، منشورات لجنة إفريقيا الفرنسية ولجنة المغرب بباريس، 1936، والمقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904 - 1955، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 1991. عن كتاب "تاريخ المغرب تحيين وتركيب لمجموعة من المؤرخين والباحثين".

الوحدة الترابية للمغرب..
يكاد أن يشبه اليومُ الأمسَ!

• يزيد البركة

وذلك في 1898، لذا احتلت فرنسا منطقة الترارزة عام 1903م والبراكنة عام 1904م، وتكانت عام 1905م. وبذلك تم ربط الجيش الفرنسي المرابط في الجزائر وفي صحراءها بالجيش المرابط في موريطانيا والمدعوم بالجيش الفرنسي في السودان والمشكل من رديف له سنغالي.

2 المرحلة الثانية من الاستراتيجية

نتج عن احتلال موريطانيا، أولا دفع عدد من قبائل الشمال إلى الصحراء الغربية أساسا، ثانيا اشتداد المقاومة التي أججها البدء في غزو المغرب، ولربما يكون هذا العامل الأخير هو الذي جعل إسبانيا تتردد في احتلال كامل الصحراء، واستمرارها في مراقبة الوضع واكتفاءها بنقاط التواجد التجاري وبعض القوات القليلة على الساحل في نقطتين، حيث لم تتشجع إلا بعد احتلال المغرب نهائيا والقضاء على المقاومة الأولى في أواسط ثلاثينات القرن العشرين (انظر الخريطة 2)، ثالثا لم تستطع فرنسا أن تشل الطريق التجاري الساحلي إلا جزئيا، رغم احتلال موريطانيا ونقل المراقبة الجمركية/ العسكرية إلى الخط الحدودي الحالي مع إقليم وادي الذهب، وهو جنوب ما تريد أن يفرضه العسكر الجزائري في الكركرات، والسبب في فشل فرنسا راجع إلى تغيير الطريق الساحلي القديم بعد تقدم وحدات الجيش الإسباني من نقاط الساحل إلى الداخل بعشرات الكيلومترات قرب العيون الحالية وعند بوجدور والداخلة التي بناها المستعمر مكان مدن قديمة، لهذا بنى ماء العينين السمارة سنة 1896.1898 على طريق كانت مختصرة إلى شنقيط للتبادل التجاري مع القبائل الموريطانية وسط البلاد بعيدا عن المراقبة الفرنسية، وكان الوضع صعبا ولكن الرئة التجارية للمغرب وللقبائل السوسية ما تزال تتنفس وإن بالكاد في ذلك الظرف، وقد أصبح الطريق قادما من كلميم تحت إشراف قبائل تكنة وفي مقدمتها آيت موسى وآيت أوسي والركيبات وآل ماء العينين، ومارا بوسط الصحراء الغربية وقريبا من تندوف، الطريق الثاني الذي أفلح الجيش الفرنسي في إغلاقه بعد تعاون الزاوية الوزانية التي كان لها نفوذ في الصحراء الشرقية للمغرب، وذلك بعد الحماية التي حظي بها شريف وزان، وبعد تعاون عشيرة أوفقير في احتلال منطقة كولومب بشار وتوات...، وقبل أن تباشر فرنسا غزو المغرب وإذ لاحظت تردد إسبانيا في احتلال كل الأراضي الصحراوية، تقدمت هي بنفسها من الأراضي الموريطانية بقصف الطيران للقرى والخيام التي يمر منها الطريق التجاري وفي كثير من الأحيان بدون موافقة إسبانيا، وكانت أكبر ضربة هي احتلال مدينة أطار عاصمة منطقة أدرار في شمال موريطانيا التي كانت محطة هامة للتجارة مع السمارة، وذلك في 1909 وتزامن هذا التطور الأخير مع بداية غزو المغرب مباشرة، حيث تقدم الجيش الفرنسي من الجزائر واحتل عين بني مطهر ليخنق وجدة وقبائل بني يزناسن اقتصاديا وهي بوابة نحو الصحراء، تتحكم في الطريق التجاري المار عبر تافيلالت ليتفرع واحد نحو النيجر، والثاني إلى مالي عبر تندوف أو موريطانيا والسنغال عبر واد درعة ثم الاتجاه جنوبا، وهذا الخنق التجاري لشباب بني زناسن هو نفسه ما حصل لشباب قبائل سوس المترامية الأطراف وهو الخنق الذي جعله يحتل مكانا هاما في المقاومة بعد الغزو. وفي مارس 1907 سيحتل الجيش وجدة، ومدينة الدار البيضاء في غشت من نفس السنة، ومدينة فاس في 1911 ، وقبل هذا بسنة غادر الشيخ ماء العينين السمارة إلى تزينت أمام عزم القوات الفرنسية على قنبلتها وتوفي في نفس السنة، وتولى بعده ابنه احمد الهيبة مواصلة المقاومة. وفيما بعد قنبلت فرنسا السمارة لمرتين واحتلتها في 1913.

رغم المقاومة في كل مناطق المغرب من شماله حتى صحراءه بل حتى في موريطانيا، أصبح المخزن المغربي مهيئا أمام هذا الوضع الجديد لتوقيع معاهدة الحماية في 1912. وقد عرفت المعاهدة تجاذبات مع مولاي حفيظ، وأهم شيء فيها يتعلق بالاستعمار الإسباني هو ما جاء في آخر الفصل الأول منها، يبين أن الصحراء جزء من المغرب وأن فرنسا مسؤولة أيضا عن ضياع الحقوق المغربية في الشمال والجنوب حيث جاء فيه: «دولة الجمهورية تتفاوض مع الدولة الاصبنيولية في شأن المصالح الناشئة لهذه الدولة من حالتها الجغرافية ومستعمراتها الأرضية الكائنة بالساحل المغربي»، وكانت إسبانيا في هذا الوقت لم تحتل كل الصحراء ولكن سيتغير الوضع بعد 1934 ويتعدى الاستعمار الساحل، ولما استقل المغرب من فرنسا، رأت هذه الأخيرة تأخير انسحاب إسبانيا من الصحراء، وأقنعت بذلك المطبخ المغربي المتمثل في الأقلية المرتبطة بمصالح فرنسا.

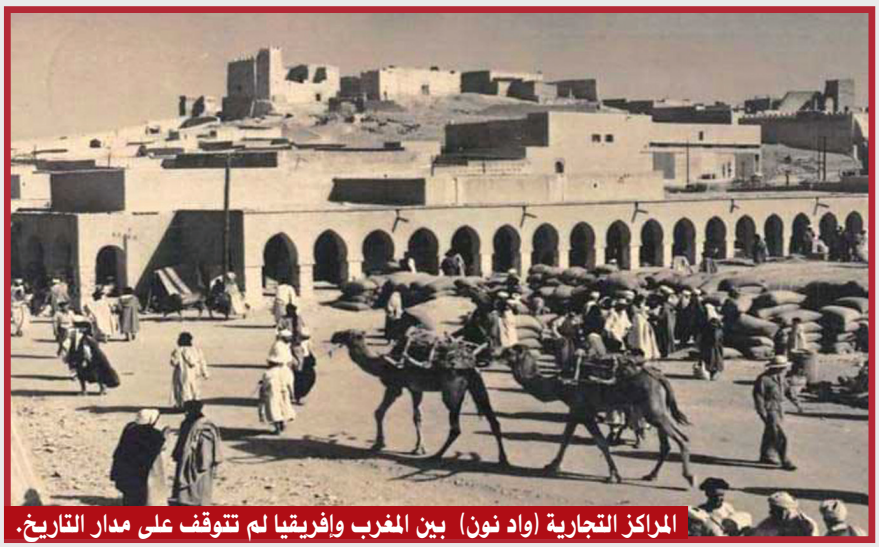
المراكز التجارية (واد نون) بين المغرب وإفريقيا لم تتوقف على مدار التاريخ.

القسم الثاني-

عود على بدء

لم تستطع فرنسا إخماد الثورة الأولى في أواسط الثلاثينات، إلا بصعوبة وكانت تمني

الوحدة الترابية للمغرب..
يكاد أن يشبه اليومُ الأمسَ!

• يزيد البركة

نفسها أنه في الأخير ستغطي فوائد الاستعمار كل تكاليف الحرب وحتى تكاليف الحرب العالمية الأولى، ولكن بعد أقل من 15 سنة من إخماد نار المقاومة بدأت تعرف المصالح الفرنسية حرائق وتخريب، ثم بسرعة اشتعلت نيران المقاومة الثانية والتي أدت إلى تأسيس جيش التحرير. وقد اندلعت المقاومة أيضا في الجزائر وفي الصحراء وأصبحت تكلفة الحرب مكلفة ولا تسمح المقاومة بالاستغلال الكامل نظرا لعدم الاستقرار.

1 التفكير في شكل استعماري جديد

كان اكتشاف البترول والغاز في 1955/1956 والثروات المعدنية قبل ذلك في صحراء الجزائر، ومنها الحديد والفحم في الصحراء الشرقية للمغرب، عاملا أساسيا، دفع فرنسا إلى التفكير في بلورة شكل جديد للاستعمار يكون أقل تكلفة اقتصاديا وبشريا، وكانت قد خرجت من الاستعمار الألماني منهكة وضعيفة اقتصاديا وصناعيا، لذا تحتاج إلى الأمن والاستقرار في البلدان المستعمرة لنهب المواد الخام التي تحتاجها آلات المصانع.

فكرت في بداية الأمر أن تعزل الصحراء الجزائرية ومعها تندوف والصحراء الشرقية للمغرب عن شمال الجزائر، وحضرت قوانين وخطط لذلك منها إنشاء المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية OCRS، ثم تخلت عن الأمر خصوصا بعد أن أعلن فرحات عباس في 8 فبراير 1958 عن تشكيل حكومة مؤقتة للجزائر وإعلان مواقفها في الأمم المتحدة ضد بتر الصحراء وضد الاستثمارات فيها، وإعلان المغرب رفضه فصل الصحراء الجزائرية عن شماله، وتأكيد القيادات الجزائرية للمغرب استعدادها لمراجعة الحدود التي أقرتها فرنسا بصفة جائرة عندما تستقل الجزائر، وفيما بعد تم إبرام اتفاقية رسمية بهذا الخصوص في 6 يوليو1961، تنكرت لها الحكومة الجزائرية فيما بعد، واستمر العسكر في المناورة، ففي ديسمبر عام 1966 جندت كل قوتها الدبلوماسية مع اسبانيا لاستصدار توصية تفصل فيها بين قضيتي إفني والصحراء ، التي بقيت تنتظر استفتاءً لتقرير المصير، بعد أن تم ربط عودتها إلى المغرب بإجراء مثل هذا الاستفتاء، بل وضد استكماله لوحدة أراضيه التي ما يزال جزء منها تحت نير الاحتلال الإسباني في الشمال.

لكي ينجح الشكل الجديد للاستعمار، حرصت فرنسا ومعها في هذا كل الدول الرأسمالية، أولا على استمالة أقليات في البلدان المستعمرة لها مصالح متناقضة مع مصالح أغلب الطبقات الشعبية وتقوية حضورها الأمني والعسكري اتجاه الشعوب وضد يقظتها، ثانيا الذهاب بعيدا في تنفيذ عمليات اغتيال ضد الرؤوس السياسية المفكرة أو الدفع باغتيالها بالوكالة : فرحات حشاد من طرف فرنسا، عبان رمضان بالوكالة، المهدي بنبركة من طرف عدة أطراف: المغرب، فرنسا، أمريكا، «إسرائيل»، إبراهيم بصيري من طرف اسبانيا (أختطاف في البداية مثل المهدي)، ثالثا الحيلولة دون الانتقال الديمقراطي حتى يسهل تمرير القرارات الكبرى المصنوعة مع الأقليات، رابعا عرقلة أي توجه يسعى إلى التصنيع حتى تبقى تلك البلدان مصادر للمواد الأولية وأسواق للاستهلاك.

2 الحارس الجديد للماضي

استقلت الجزائر في 1962 وقد سبق ذلك مفاوضات دامت سنة دون احتساب مدة اللقاءات السرية، وتوقفت مرتين بسبب محاولة فرنسا إشراك أطراف أخرى فيها مثلما وقع في إيكس ليبان، ومرة عندما طرحت فرنسا فصل الصحراء بادعاءها أنها بحر واسع يخص كل الدول المجاورة لها، غير أنها تمكنت من ضمان مصالحها في البترول والغاز وفي التنقيب والاستثمار وتفضيل شركاتها، وتمخضت تلك المفاوضات عما سمي اتفاقيات ايفيان.

إذا استرجعنا موضوع سد كل النوافذ على المغرب وخاصة الشرق والجنوب، والذي كانت فرنسا مخلبا متقدما لتحقيقه نجد أن الجزائر منذ ما بعد اتفاقية مدريد على الأقل، أصبحت مخلبا لتنفيذ ذلك المخطط من جديد لفائدتها وفائدة إسبانيا وفرنسا، ولا ننسى هنا أن فرانكو هو أول من أطلق مفهوم «الشعب الصحراوي» على الجزء الصحراوي للمغرب فقط، دون الصحراء الشاملة التي تشكل وحدة تاريخيا وسكانيا وجغرافيا، وهو أول من طرح «تقرير المصير» وعمل على فصل موضوع إفني عن جنوبه وهذا كله تبنته الجزائر، وقامت بحملات قوية على المستوى الإفريقي وفي الأمم المتحدة، وغازلت اسبانيا وعقدت معها اتفاقات تتمحور حول نفس الرؤية. وقبل ذلك كانت تختبئ وراء الدولة «المعنية» للمساهمة في إجلاء اسبانيا، لكن بعد اتفاقية مدريد أصبحت معنية في تطويق المغرب، الشيء الذي لخبط المنطقة وحتى العالم بحيث لا يعرف أحد هل هي معنية لإيجاد حل، أو معنية لتعقيده، أو معنية لأن لها أطماعا في الصحراء، أو المبادلة بالصحراء الشرقية للمغرب التي لم توضع لحد الآن لدى الأمم المتحدة، وبالتالي غير معترف بها على أنها من الأراضي الجزائر.

ممارسة العسكر الجزائري الحديث، أي بعد القضاء على الجيش الشعبي بفرض جنرالات فرنسا في قيادته، لا هم لهم إلا خلق الأزمات للمغرب، والذين يؤدون نفس الدور الذي تم تأديته إبان أزمات القرن التاسع عشر بتسهيل الضغوط للوصول إلى الأهداف الرأسمالية بتطويق المغرب.

وفي موضوع الصحراء الجزائرية اليوم، نجد أنها لم تحرر لفائدة الشعب الجزائري، بل كما أرادتها فرنسا منطقة شاسعة تستفيد من ثرواتها، فالعسكر حولها إلى حديقة خلفية له تؤدي مصالح الرأسمال الأجنبي ومصالحه، ومصاريف معاداة المغرب.

وفي موضوع الديمقراطية والتصنيع فلا شيء تحقق لفائدة الشعب الجزائري، وكما كان الاستعمار القديم يغتال الشخصيات التي تمثل آمال الشعب نجد نفس الأسلوب مستعملا الآن، ولم ينج منه حتى من ليس جزائريا، إذا ما اعترض على خطط العسكر. إننا نعرف جيدا أن مصطفى السيد كان ثوريا ووطنيا ولما أسس الجبهة الصحراوية أسسها على هذا الأساس، فقبل اغتياله بشهرين وفي زيارة لبومدين لتندوف قال الأخير للوالي وهما يتمشيان: «عليك أن تعلن دولة بقيادة، في المنفى»، رد الوالي ضاحكا: «إذا سلمتمونا تندوف ومناطق بشار (ويقصد الصحراء الشرقية) نفعل ذلك»، نظر إليه بومدين مندهشا وسكت ولم يرد عليه بشيء، وقد أبلغ الوالي رفاقه وأصدقاءه من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية اللاجئين بالخارج بالحادثة. ومن كلامه البليغ لرفاقه حول أوامر بومدين والعسكر التي كان يرفضها الوالي هو: «لقد ارتكبنا جريمة في حق شعبنا»، وكأنه أحس بالمؤامرات التي ستتم في حق الحركة، منها اغتياله ومنها فرض قيادة جديدة طيعة للعسكر. وهذا ليس جديدا

الوحدة الترابية للمغرب..
يكاد أن يشبه اليومُ الأمسَ!

• يزيد البركة

بالنسبة للجيش الجزائري، إذ تم أيضا حتى مع حركة الفقيه البصري التي خلفت التواجد العسكري في الصحراء من أيام جيش التحرير بعد الكولونيل بنحمو، الذي كانت له قاعدة عسكرية في منطقة بشار، إذ لما طلب الفقيه قاعدة وسلاحا كان الرد الجزائري هو أن تختار الاستخبارات من يتولى القيادة العسكرية ومن يتولى الإعلام، الشرط الذي رفضه الفقيه وجعله ينقل كل التنظيم إلى سوريا، التي احترمت الاستقلالية التامة للحركة المسلحة التي شرعت في التدريبات هناك منذ 1968. ومن التدخلات السافرة بعد خروج الفقيه من الجزائر، محاولة بومدين خلق منظمة صحراوية ثانية بقيادة لها تاريخ نضالي، ونسجل هنا الضغط الذي تعرض له المرحوم محمد باهي ليقبل ذلك، وكما هو معروف كان باهي أمين جيش التحرير في الجنوب وصحافي بالعلم ثم التحرير، وكان مع إبراهيم بصيري في صحيفة الشموع التي أصدرها في الدار البيضاء.

3 الوطن والمخزن

هناك من يخلط بين الوطن والمخزن، ليس فقط في موضوع الصحراء، بل في عدد من المواضيع، وعند كل نوبة غضب.. هذا يمزق جواز السفر وهذا يعلن التخلي عن جنسيته في محاكاة لاعتقاده بأن المخزن في ثقافته بأنه يملك البلاد، وذاك يذهب بعيدا إلى درجة البحث عن حماية خارجية جديدة مثل الحمايات التي كانت موضوع مؤتمر الجزيرة الخضراء ويستعد مثل هؤلاء إلى التخلي عن أراضي مغربية نكاية في المخزن، وكأن هذا الأخير يملك حقيقة الوطن ولد معه أو ولد قبله.

الوطن شيء والمخزن شيء آخر، ومهما فعل هذا الأخير فإن مناضل الشعب يظل يقاتل من أجل الشعب ومن أجل الوطن، وهذه العبارة استعرتها من صديق لي قالها لموظف بالإدارة المغربية يماطل ويسوف في مده بوثيقة إدارية حتى ظهر لصديقي أن الموظف له مأرب فقال له: «تريدون منا أن نكره هذا الوطن ونغادره ولكننا سنبقى هنا ونتقاتل معكم من أجله» *.

لقد مررنا في الصحراء المغربية بحركة جهادية ضد الاستعمار، وضد كل الأطماع الأجنبية، قامت على أساس قبلي وعلى أساس فكر صوفي، وكان الشباب آنذاك لا يتجاوز فكره هذا الأفق، ثم بدأت تظهر موجة إيديولوجية ثورية، حسب ما كان يعم العالم، من الأكيد أن المخزن لم يتعامل بكل ما يمكن من عقلانية مع تلك المرحلة، لكن الشعب المغربي وحتى أطرافا من اليسار كانوا في خضم ما يجري، بل ساهموا بفعالية في النضال ضد الاستعمار حتى قبل إنشاء الجبهة.

صحيح أن المغرب سهل تنفيذ المخططات التآمرية ضد الوطن، خاصة منذ انقلاب 1961، حيث كان ملجأ لحركات التحرر في إفريقيا قبل هذا التاريخ، حتى أصبح يمثل مصالح الدول الرأسمالية ويلعب أدوارا داعمة لها، وفقد المغرب بذلك مكانته لديها وانتقلت إلى الجزائر التي استغلتها بعد ذلك لفائدة مخططات ضد المغرب.

وبعد المسيرة يمكن القول أن السلوك الذي سهر على تثبيته أحمد بنسودة في الصحراء من نزعات الزبونية والعطاءات والولاءات، خلقت حالة شاذة أبعدت الشباب عن الوطن، وحتى لقاء طنجة الذي نظمه المغرب للشباب الصحراوي في 1976 لم يخرج عن نفس ثقافة الولاءات والعطاءات وإفساد الروح والضمير، الشيء الذي جعل عددا من هؤلاء الشباب يعود مباشرة إلى اسبانيا في اليوم الثاني من أشغال اللقاء.

الشباب في الصحراء اليوم، وفي تندوف، وفي عدد من البلدان تجاوز بكثير القبلية والصوفية والإيديولوجية المبنية على الأحلام، وهو يتوجه نحو فكر قائم على العلم في شتى الميادين ويحلم بوطن واسع للجميع لكل واحد حقوقه فيه، وعليه واجبات، ولا فرق بين هذا وذاك، وكل الشباب الصاعد يحلم بالديمقراطية والتنمية الحقيقية بوقف الأطماع، فبالديمقراطية والتنمية يمكن استرجاع ما ضاع وتحقيق ما يرى السكان في جزر الكناري وغيرهامن نهضة حقيقية وديمقراطية نموذجية تحلم بها شعوب المنطقة، مادون ذلك سنبقى نجر أذيال الهزيمة والسقوط، ولحد الآن ما يزال المغرب حبيس الثقافة القديمة وما لم يتم التجاوب مع ما يمثل المستقبل في الصحراء فإن الأطماع سيبقى لها نفس كريه يتجدد.

(*) القولة للأستاذ الجامعي محمد العودي، متخصص في الجغرافيا الاجتماعية والمجالية. مؤلف كتاب "فقراء زمن العولمة"، وكذا :

"Casablanca à travers ses petits entrepreneurs de la pauvreté."

مما جاء في اتفاقية الحكومة المؤقتة الجزائرية مع الحكومة المغربية في 6 - 7 - 1961

«وفاء لروح مؤتمر طنجة المنعقد في شهر أبريل 1958.. تؤكد حكومة صاحب الجلالة ملك المغرب، مساندتها غير المشروطة للشعب الجزائري في كفاحه من أجل الاستقلال والوحدة الوطنية، وتعلن عن دعمها بدون تحفظ للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في مفاوضاتها مع فرنسا على أساس احترام وحدة التراب الجزائري، وستعارض حكومة صاحب الجلالة ملك المغرب بكل الوسائل المحاولات الرامية إلى تقسيم أو تفتيت التراب الجزائري. وتعترف الحكومة المؤقتة من جانبها، بأن المشكل الترابي الناشئ عن تخطيط الحدود المفروضة تعسفا فيما بين القطرين، سيجد حلا له في المفاوضات بين الحكومة المغربية وحكومة الجزائر المستقلة».

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

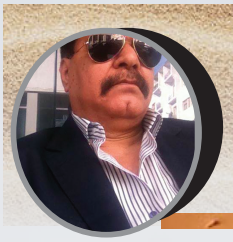

• عبد المجيد مصدق

في القرنين الثاني والثالث أحدث الاجتياح الروماني لمناطق شمال إفريقيا تخلخلا في التركيبة الديمغرافية لسكان الصحراء المغربية، حيث قدمت من صحراء ليبيا ومناطق الشمال قبائل صنهاجة وزناتة، واستقرت بين الكثبان الرملية قرب الواحات، وفي مطلع القرن الثامن الميلادي وصلت هجرات عربية من شبه الجزيرة العربية إلى أرض الصحراء، وقد سادت في بلاد الصحراء أسس نظام اجتماعي متطور، وانتعشت الحياة الاقتصادية هناك، وخاصة تجارة الذهب من مالي التي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم السودان. وتوالت الهجرات العربية إلى الصحراء خلال الفترة ما بين القرنين 11 و15، فوصلت إليها قبائل من بني حسان وبني هلال عن طريق مصر، وتغلغلت بواسطة سيطرتها في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب ومجمل أراضي شنكيط، وبفضل شدتها تزايد نفوذها وطبعت المنطقة بطابعها العربي الإسلامي.

والثابت أن الصحراء ظلت معروفة بالتبعية الفعلية للمغرب، فالحجج التاريخية والجغرافية تؤكد، على نحو لا شك فيه، أن كل أشكال السيادة المغربية واضحة، سواء من ناحية الأصول الجنسية بين سكان الصحراء وسكان شمال المغرب، أو من الناحية الجغرافية، انطلاقا من طبيعة الأراضي الصحراوية في طبقات أرضها وجغرافيتها ومناخها وحيواناتها ونباتاتها، هذا الامتداد الطبيعي والبشري كانت توازيه تبعية سياسية تمارس السلطة، على الرغم من البعد الجغرافي لهذه المناطق عن مركز السلطة المغربية، وحتى من حيث أصول الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، انطلاقا من دولة الملثمين أي الدولة المرابطية إلى قيام الدولة العلوية وما قبلهما، حيث ظلت كل الروابط السياسية والثقافية والاقتصادية والتجارية والدينية والجهادية تمارس داخل إطار دولة السلطان الحاكم. بيد أنه مباشرة بعد انتصار فرنسا على المغرب في معركة إيسلي سنة 1844، اتخذت إجراءات عسكرية لتغيير معالم الحدود المغربية بدعوى القضاء على التمرد المنطلق من الأراضي المغربية، ولفائدة مقاطعة الجزائر الفرنسية إذاك والتي تم احتلالها سنة 1830م، حيث اقتطعت من شرق المغرب مدن وقرى ومناطق، كتلمسان، وڤوارارة، وسيدي كلت، وبشار، وتندوف، وتوات، والتي تعتبر في جميع الوثائق التاريخية والانثروبولوجية امتدادا جغرافيا وسياسيا و قبليا للمغرب مثلها مثل الصحراء الجنوبية إلى حدود نهر السينغال، لقد فتحت معركة إيسلي شهية الاستعمار الفرنسي لضم المغرب إلى ممتلكاته،غير أن باقي القوى الأوروبية الاستعمارية كان لها نفس الهدف، مما حتم عقد عدة اتفاقيات فيما بينها، ليكون المغرب بعد تقسيمه، من نصيب كل من فرنسا واسبانيا، هاته الأخيرة كانت تحتل الصحراء منذ عدة عقود مما سهل مأمورية توطيد أركانها وفقا لقانون الأقوى الاستعماري، وبعد فترة الخضوع تحركت المقاومة في أوقات متقطعة نظرا لطبيعة الأرض والمناخ والترحال، لكن في العقد الخامس من القرن الماضي تجددت المقاومة بقيادة جيش تحرير الجنوب، وكان قاب قوسين أو أدنى من تحرير كافة الأقاليم الصحراوية الجنوبية، لولا تكالب الاستعمارين، ومؤامرة الدولة المركزية لحل جيش التحرير، خوفا وخدمة للاستعمار وحماية لعرشه، وحفاظا على السلطة المسلمة له من المستعمرين، وظل الاستعمار الاسباني جاثما على رمال الصحراء رغم مطالبة الدولة بها في عقد الستينات تحت ضغط الأحزاب الوطنية، ولسحب البساط من تحت الأرجل، اضطرت إسبانيا إلى إشراك بعض سكان الصحراء في تدبير الجماعات المحلية لذر الرماد في العيون، مما دفع الدولة المغربية إلى وضع ملف النزاع على أنظار المنظمة الأممية التي أحالته على محكمة العدل الدولية، هذه الأخيرة أقرت "بوجود روابط البيعة بين السكان والسلطة المركزية المغربية، وأنها لم تكن ارض خلاء"، ولأن العصر كان زمن الحرب الباردة بين المعسكرين، ومن خلال المنافسة الإقليمية وبسط النفوذ على المنطقة بين الجارين، استغلت الجزائر ومعها من بعد ليبيا، سوء تقدير الدولة في احتضان بعض أبناء الصحراء المطالبين بتحرير الصحراء تحت السيادة المغربية، مما اضطر هؤلاء إلى السقوط بين براثين الطغمة العسكرية الجزائرية بقيادة الراحل هواري بومدين وطموحات نظام معمر القذافي في إطار الصراع الإقليمي، ومن أجل مصالح ضيقة لا تراعي أخلاق أصول الجوار والتاريخ المشترك، وأدى ذلك إلى نشوء حركة انفصالية في أحضان الجزائر تدريبا وتمويلا، وانطلاق شرارة سفك الدماء بحرب الصحراء التي دامت حوالي 15 سنة، وبعد وقف إطلاق النار سينتقل بعدها الملف إلى ردهات منظمة الأمم المتحدة من جديد والذي لا زال يراوح مكانه بين مكاتبها إلى الآن.

إن معاكسة حق الشعب المغربي في وحدته الترابية بدعوى حق تقرير مصير الشعوب، كلام حق أريد به باطل، فتأويل المصطلحات القانونية وغموضها في القانون الدولي عمل جاري به العمل، فالذين شرعوا تلك المصطلحات لم يكن هدفهم توطيد حق الشعوب في تقرير مصيرها بقدر ما كانت الخلفيات هدفها خدمة مصلحة الاستعمار من خلال تفكيك الدول والشعوب ونسيجها الاجتماعي وهدم ذاكرتها الجماعية، وإيقاظ النعرات الإثنية والطائفية والقبلية والمذهبية والعقائدية، لتسهيل مأمورية الاستعمار بكل أصنافه في أي مكان وفي القادم من الزمان، وفقا لقاعدة المركز يظل مركزا أقوى بفضل ضعف المحيط/الهامش، وهو الترجمة الفعلية لقانون الأقوى السائد في العلاقات الدولية، وكذلك لمحو آثار الشعوب الأصلية وحضارتها لسيادة الحضارة الغربية الكولونيالية ذات النزعة الإقصائية والاستعلائية والعنصرية، فالأساس الشرعي هو وحدة الشعوب والدول لمواجهة قساوة الطبيعة والفقر والجهل، واستمرار نزاع الصحراء المغربية ينم عن حقد أولا وجهل حكام الجزائر بأنهم ينفذون بوعي أو بدون وعي أجندة تخدم مصالح الدول الكبرى وشركاتها الصناعية والتجارية العبر وطنية، والضحية شعوب المنطقة.

ملحوظة: سيتم نشر
هوامش المقالة في النسخة
الالكترونية www.attarik.net

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

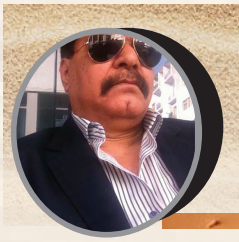

• عبد المجيد مصدق

الجذور التاريخية والخلفية السياسية لنزاع الصحراء المغربية

الشيخ أحمد الهيبة يدخل مراكش في 18 غشت سنة 1912

كل الوثائق المتعلقة بقضية الصحراء المغربية تشير إلى أن الاستعمار الإسباني هو سبب نشأة مشكلة الصحراء، وتعود هذه الجذور إلى سبعينيات القرن 15م، حين أبرمت إسبانيا معاهدة "الكوسوماس" مع البرتغال سنة 1479م، والتي تخول لها احتلال جزر الكناري "الخالدات"، والتواجد بسبتة ومليلية والصحراء المغربية، مقابل أن تحتل البرتغال مدينة فاس، بيد أن الاحتلال العسكري الفعلي الإسباني للصحراء، بدأ سنة 1844م، حين تهاوت القوات المغربية أمام الجيش الفرنسي في معركة إيسلي، فاغتنمت إسبانيا الفرصة واحتلت وادي الذهب "ريو دي أورو"، إذ أقامت تحصينات عسكرية وميناء تجاريا وأنشأت مدينة "فيلا سيسنيروز" الداخلة حاليا، لكن فرنسا التي كانت تطمع في استعمار المغرب دون أن ينازعها احد، اشتد نزاعها مع إسبانيا حوله فوقعتا معاهدة باريس، في 28 يونيو 1900 التي حددت الممتلكات الفرنسية والاسبانية على ساحل الصحراء.

و لعل أخطر المؤتمرات التي كان المغرب محورا لها، هو مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906، بين بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا، فقد تمكنت من خلاله هذه الدول من إيجاد أرضية للتفاهم؛ إذ تم اقتسام المغرب بين فرنسا وإسبانيا مقابل تخلي فرنسا عن بعض مستعمراتها في إفريقيا لفائدة ألمانيا، وهذا التقسيم الذي خضع له المغرب، كان من بين الأسباب التي دفعته حاليا إلى عدم قبول مبدأ احترام الحدود الموروثة عن الاستعمار، وهو عكس الموقف الجزائري الذي يهدف إلى قطع الطريق على المغرب حتى لا يطالب بالمناطق الشرقية التي لا زالت تخضع للهيمنة الجزائرية.

وهذه الحقائق ليست حقائق مجانية كما أنها ليست منة، لأن التاريخ والوقائع هي التي فرقت بين المغرب الحالي والصحراء وموريطانيا، مما يبين العلاقات المتينة بين الدولة المغربية والقبائل التي تقطن المحيط الإفريقي حتى نهر السينغال، على الأقل مدة 1200 سنة، فحكم المغرب امتد حتى شمال مالي تحت راية الدولة المغربية.

مقاومة الاستعمار

في 1906م قاد الشيخ ماء العينين وفودا من الصحراء وموريطانيا، للقاء السلطان المغربي عبد العزيز بن الحسن الأول من أجل دعمهم في مقاومة المستعمرين (فرنسا وإسبانيا)، فأرسل السلطان معهم ابن عمه مولاي إدريس لتنظيم جهود المقاومة ضد المستعمرين، وكللت هذه الجهود في 1908م بالنجاح، حيث حققت المقاومة الصحراوية انتصارات في عدة معارك ضد المستعمرين في مناطق، تكانت، وأكجوجت وتالمنست، وبسبب نفاذ الذخيرة والمؤونة سقطت مدينة أطار عاصمة منطقة أدرار في الشمال الموريطاني بأيدي الفرنسيين بقيادة العقيد غورو. وفي سنة 1909 انتقل الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة بالصحراء متجها شمالا نحو تيزنيت في المغرب، حيث توفي بها في نونبر 1910م، وظل الوضع على ما هو عليه إلى سنة 1912م، حين اتفقت فرنسا وإسبانيا يوم 27 فبراير على رسم حدود الصحراء المغربية واقتسام المغرب.

وفي 30 مارس وُقعت معاهدة فاس بين السلطان المغربي عبد الحفيظ والفرنسيين التي دخل المغرب بموجبها تحت الحماية الفرنسية، مما جعل الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين يعلن رفضه لاتفاقية الحماية، ويدخل مراكش في جيش كبير معلنا نفسه سلطانا على البلاد حتى حدود بداية مارس 1913م، حين دخلت القوات الفرنسية بقيادة المقدم الفرنسي «موراي» مدينة السمارة من أجل القضاء على معقل المقاومة في الصحراء. وظلت المناوشات بين المقاومة الصحراوية وقوات الاحتلال إلى عام 1932، حيث وقعت معركة أم التونسي قرب نواكشوط بموريطانيا، وهي من آخر معارك المقاومة في منطقة الصحراء. مما أعطى الفرصة لإسبانيا لإقامة أول ثكنة عسكرية لها في مدينة العيون الصحراوية سنة 1934.

لكن جذوة المقاومة ستشتعل في فبراير 1956 تحت لواء عناصر جيش التحرير الذي كان يضم في صفوفه بعض العناصر الصحراوية والموريطانية ضد الإسبان والفرنسيين داخل الصحراء. وفي نفس الوقت اجتمعت قبائل الصحراء في أم الشكاك بين العيون والسمارة لتحديد الموقف الواجب اتخاذه اتجاه الإسبان، وكان بدعوة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وحضره حوالي 500 شخصية من أعيان القبائل. ولم تمر إلا أقل من سنة حتى نجحت قوات جيش التحرير في تحرير السمارة، وبير أنزران، وأوسرد بالصحراء، ووصلت إلى آدرار في الشمال الموريطاني، مما دفع كل من فرنسا وإسبانيا الى وضع اتفاق دفاعي لمواجهة نشاط جيش التحرير الذي استطاع التوغل في العديد من المناطق الصحراوية، فشنت فرنسا وإسبانيا عملية عسكرية سُميت «المكنسة» (إيكوفيون) لتصفية وجود جيش التحرير في الصحراء المغربية وضرب القواعد الخلفية للثورة الجزائرية في فبراير 1958م. وفي نفس الشهر والسنة تم توقيع اتفاقية «سينترا بالبرتغال، وهي الاتفاقية التي اعتبرت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب وحدة ترابية واحدة خاضعة لسلطة الإسبان، وانتظرت هذه الأخيرة إلى حدود 1961م لتعلن رسميا أن الصحراء المغربية محافظة إسبانية.

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

جيش التحرير المغربي في مواجهة مؤامرة الداخل وعواصف الخارج

بعد حصول المغرب على الاستقلال الشكلي، وتصاعد الصراع بين القصر والحركة الوطنية والمؤامرة على جيش تحرير بالشمال، وفي سياق هذه الرهانات المتناقضة، تحرك جيش تحرير الجنوب انطلاقا من كلميم بقيادة محمد بنحمو المسفيوي وعضوية محمد بنسعيد أيت يدر وعمر المسفيوي وكاتب القيادة العليا محمد باهي، وانضم إليه المتطوعون من مختلف القبائل الصحراوية فواجهوا الفرنسيين في موريطانيا، تم الإسبان في آيت باعمران، والمناطق الصحراوية التي كانوا يحتلونها، دامت المقاومة المسلحة من يناير 1957م إلى غاية حل جيش التحرير في فبراير 1960م.

حرب الرمال في 8 من أكتوبر عام 1963 بين الجزائر والمغرب

ففي نونبر 1957 كان جيش التحرير قد تمكن من طرد الجيش الإسباني من طانطان، والسمارة، وأوسرد، إلى طرفاية، والعيون، والداخلة، وتم قصف مدينة العيون، وشن هجمات أخرى عديدة، فأضحت عاصمة المستعمرة مدينة العيون، معزولة عن الشاطئ الذي كان منفذها الوحيد على جزر الكناري، وأضحى الجنود والمدنيون الإسبان محاصرين في طرفاية والعيون والداخلة، وتشير تطورات المعارك إلى أن جيش التحرير كان قريبا من تحرير هذه المدن الثلاثة، وطرد الإسبان منها تماما، كما كان قريبا من تحرير مدينة إيفني عاصمة آيت باعمران، لكن عملية إيكوفيون في فبراير 1958، مكنت القوات الإسبانية من إعادة احتلال الصحراء، واسترجاع مواقعها العسكرية في السمارة والكلتة وبئر أنزران وأوسرد وتشلة، رغم أن هذه المواقع ظلت دفاعية، فالجنود لا يغادرون مراكزهم إلا نادرا. كان وقع المجزرة الرهيبة كبيرا، نتيجة العملية العسكرية وخصوصا الهجمة الجوية الإجرامية للتحالف الاستعماري الاسباني الفرنسي والتي استهدفت المدنيين، وليس فقط عناصر جيش التحرير، مع ذلك، استطاع المقاومون فرض التفاوض على الإسبان من أجل تسليم طرفاية وطانطان إلى المغرب مقابل وقف إطلاق النار. استرجعت المدينتان في أبريل 1958، كما حررت أجزاء واسعة من منطقة أيت باعمران، باستثناء مدينة إيفني، التي لم تسترجع سوى سنة 1969.

توقيع اتفاق وقف إطلاق النار في 20 فبراير 1964 بين المغرب والجزائر

توقفت مسيرة التحرير، ليس فقط بسبب اتفاق وقف إطلاق النار مع إسبانيا، لكن أيضا بسبب تآمر الدولة عليها، والصراعات السياسية التي هزت جيش التحرير من الداخل وانتهت بحله، فهناك شبه إجماع على أن عملية إيكوفيون هي التي أوقفت مسلسل تحرير الصحراء في هذه الفترة التاريخية، ولكن المرجح أن الرؤية الضبابية لقادة جيش التحرير، والصراعات بين مجموعاته والتي استغلتها الدولة عبر أدواته مثل الدكتور الخطيب والمحجوبي أحرضان لتفكيكه، كانت عاملا مساعدا لذلك، ففي تاريخ حركات التحرر لم تكن أبدا الهزيمة في معركة ما، مهما بلغت خسائرها هي العامل الحاسم في إيقاف عجلة الكفاح المسلح، فقد كان بإمكان جيش التحرير إعادة ترتيب أوراقه واستعادة المبادرة، خاصة أن المقاتلين المنسحبين كانوا لا يزالون متحمسين لمواصلة حمل السلاح والعودة إلى ساحة المعركة، لو كانت توفرت الإرادة والشروط الذاتية والموضوعية، ولم ينزع منهم السلاح، ولم يقحم بهم في صراعات جانبية. لقد توقفت مسيرة التحرير عند حل جيش التحرير، إلى غاية انتفاضة حي الزملة التي قادها محمد بصيري سنة 1970.

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

قضية الصحراء المغربية.. الإرهاصات الأولى للنزاع

كرونولوجيا الأحداث قبل اتفاقية مدريد

الصحراء منطقة شاسعة تقع جنوب المغرب ومساحتها حوالي 266 ألف كيلومتر مربع، ويدير المغرب نحو 80 بالمائة منها، والباقي خارج الجدار الأمني منطقة منزوعة السلاح، تخرقها في غالب الأحيان جبهة البوليساريو وطول شواطئها 1400 كم.

- في 1963 صنفت الأمم المتحدة الصحراء المغربية ضمن الأراضي التي لا تخضع لحكم ذاتي، والتي ينطبق عليها ما يعرف ب «تصفية الاستعمار». وفي أكتوبر من نفس العام اندلعت حرب الرمال بين المغرب والجزائر، والتي يعتبرها البعض السبب الرئيسي في عداء النظام الجزائري للمغرب.

الذي يطالب إسبانيا بإنهاء استعمارها للصحراء المغربية.

2072 - في 1965 اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم

- في 1966 ناقشت الأمم المتحدة في دورتها الـ 22 قضية الصحراء المغربية، وقد قدمت كل من إسبانيا والمغرب وموريطانيا عريضة تدعي فيها كل دولة أن الصحراء جزء منها، وفيه أيضا اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 2229، القاضي بتنظيم استفتاء في الصحراء لتقرير مصير المنطقة.

- في 1967 بدأت إسبانيا استغلال مناجم الفوسفاط في الصحراء المغربية. وفي الوقت الذي أنشأت فيه «الجمعية الصحراوية» لتمثل الإقليم الصحراوي وقبائله في البرلمان الإسباني، عرضت فرنسا على الجزائر تقاسم منطقة الصحراء مع المغرب، وهو ما رفضته الجزائر، وكان المغرب لا ينفك يُطالب بالصحراء المغربية كجزء لا يتجزأ من أراضيه التاريخية، وكان تمسكه بها قد اشتدَّ بعد تخليه عن المطالبة بموريطانيا عام 1969.

ميلاد لقيطة الجزائر.. جبهة البوليساريو

كانت الصحراء المغربية بدأت تشهد منذ الستينيات، حركات سياسية محلية مناهضة للاستعمار الإسباني، بعضها مقرب للمغرب مثل «حركة الطليعة» بقيادة محمد سيد إبراهيم بصيري والمجموعات القريبة منها، وبعضها لموريطانيا مثل صيلهْ ولد أعبيده الذي كان عضوا بالكورتيس الإسباني ممثلا للإقليم الصحراوي، ثم أسس جبهة تحرير الصحراء وضمها لموريطانيا، كان هناك أيضا تيار ثالث يرفع شعار الاستقلال

الاتفاقية الثلاثية بين: إسبانيا والمغرب وموريطانيا في 14 نونبر 1975

الأسرى الجزائريين في حرب الرمال في 8 اكتوبر 1963

وينادي بقيام دولة صحراوية مستقلة، وشكلت جبهة البوليساريو التي تأسست في مايو 1973 أهم فصيل في هذا التيار، وكانت مشكلة أساسا من طلبة صحراويين كانوا يدرسون بالجامعات المغربية، وكان الولي مصطفى السيد أبرز قيادات هذا التنظيم ذي النزعة اليسارية، في البداية قرر هؤلاء الطلبة المتمردون العمل على تكوين مجموعات مسلحة لمحاربة الاستعمار الاسباني، ولم يجدوا أي صدى لدعوتهم من قبل المسؤولين المغاربة ولم تهتم الأحزاب المغربية بطلبهم، وهو ما سهل مأمورية السقوط في أحضان المخابرات الجزائرية، التي قدمتهم إلى الطغمة العسكرية الحاكمة على طبق من ذهب، كي يكونوا أداة صراع إقليمي للهيمنة على المنطقة، ومن تم سيجدون كل الرعاية السياسية والمادية والعسكرية والإعلامية إبان الحرب الباردة، وصراع المعسكرين حول النفوذ في المنطقة، ودفعت الجزائر بالنفس الانفصالي إلى إعلان قيام جمهوريتهم الوهمية سنة 1976 وسط بضعة آلاف من رحل الصحراء ومنطقة الساحل الذين تم تجميعها لخلق مخيمات ومعتقلات تندوف، وطلب المساعدات الدولية على ظهورهم، والدفع بكل قوة لاعتبارهم لاجئين ،ومن تم وضع العصا في عجلة الوحدة المغاربية، في مقابل شعار النظام الجزائري «مغرب الشعوب». في حين كانت أغلب التيارات الأخرى ذات نزعة تقليدية وتتشكل من وجهاء قبليين.

لقد شكلت «انتفاضة الزملة» (وهو حي سكني بمدينة العيون) عام 1970، وما رافقها من قمع للصحراويين من قبل الاستعمار الإسباني، مفصلا هاما أجج حراكا تحرريا لم يعرفه الإقليم

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

اتفاقية 5 غشت 1979 برعاية الجزائر التي دعمت تمدد البوليساريو في الأراضي المغربية على حدود موريطانيا

من قبل، وأسهم احتضار فرانكو وما كان يعنيه من خروج وشيك لإسبانيا من الصحراء، في مضاعفة الفاعلين المعنيين بالقضية جهودهم أملا في الاستفادة بأنجع الطرق من مرحلة ما بعد فرانكو.

تأسست الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب المعروفة اختصارا باسم البوليساريو.: في 20 ماي سنة 1973

وليس لأحد أن ينكر المآسي التي تعرض لها مؤسسو البوليساريو، خاصة من كان قد عايشها عن كثب. ونتذكر دائما أنهم كانوا ثلة من ثلاثين شابا جامعيا من أقاليم المغرب الجنوبية، قرروا ذات يوم أن يحملوا مصيرهم بأيديهم، بعد أن أغلق المسؤولون المغاربة أذانهم حين طلبوا منهم الدعم والمساعدة كمغاربة أرادوا حمل السلاح لمواجهة المستعمر، هذه حقيقة للتاريخ ويعترف بها الجميع، وخطأ قاتل ارتكب في حق هذا الشباب الطموح مما أدى بهم إلى التمرد والانسلاخ عن وطنهم المغرب، وما عودة البعض منهم إلا دليل على هذه الحقيقة المرة..

كانت بداية التمرد عندما استغلوا احتفالات موسم طانطان للسير في مظاهرة في الأزقة الضيقة لهذه المدينة، التي لم تكن حينئذ مدينة بالمعنى الدقيق للكلمة وكانت تابعة إداريا لعمالة طرفاية، بل إن إحدى عوامل النشأة ترجع إلى هذه اللحظة التي قمعت فيها السلطات المغربية بقسوة هذه المظاهرة، فقد أمر قائد المنطقة باعتقال هؤلاء «العابثين» بالنظام، وعندما لم يجد سجنا ليضعهم فيه، قرر على عجل أن يلقي بهم في قبو من الطين المقوى مساحته عشرة أمتار مربعة، له باب واحد منخفض ومسطح، بدون نافذة، في حرارة تخنق الأنفاس هنا كان الطريق إلى قرار الانفصال..

حيث رفعت البوليساريو شعار الاستقلال والنضال المسلح، ففي 20 يوليوز من عام 1973 نفذت الجبهة أول عملية عسكرية لها ضد الإسبان بقيادة رئيسها الراحل الولي مصطفى السيد، وسميت العملية «الخنكة».

وفي 20 أكتوبر 1974 قام عناصر من جبهة البوليساريو بتعطيل الحزام الناقل للفوسفاط من خلال حرق وتدمير بعض محطاته، وفي نفس السنة نظمت إسبانيا إحصاء لسكان إقليم الصحراء أصبح فيما بعد مرجعية أساسية بالنسبة للأمم المتحدة وأطراف النزاع في مساعي حل قضية الصراع على الصحراء، كما أصدرت مدريد قانون الجنسية الصحراوية الذي وافق عليه «مجلس الجماعة الصحراوي». وفي 20 غشت من العام نفسه أعلنت إسبانيا عزمها إجراء استفتاء لتقرير مصير الصحراء خلال الأشهر الستة الأولى من العام التالي.

في حين اختار المغرب وموريطانيا تنسيق جهودهما فتوجها إلى الأمم المتحدة في 17 شتنبر من نفس السنة مطالبين بعرض القضية على أنظار محكمة العدل الدولية لتقديم رأي استشاري حول صلات الإقليم بالبلدين من الناحية السياسية والاجتماعية، وفي ذات السنة 1974، شرعت المحكمة في الاستماع لمرافعات البلدين.

وفي يوم 16 أكتوبر 1975، أصدرت محكمة العدل الدولية رأيها الاستشاري، الذي أقر «بوجود صلات اجتماعية وروحية وسياسية بين الإقليم وسكانه وبين المغرب وموريطانيا، كما نصّ على أن «الصحراء لم تكن أرضا خلاء قبل الاحتلال الإسباني، وأن العلاقات القائمة لم ترق يوما إلى مستوى السيادة ولا يُمكن أنْ تُؤثر على حق سكان الإقليم في تقرير مصيرهم السياسي». وقبل يومين من صدور الحكم، طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتنظيم استفتاء لتقرير المصير في الإقليم.

بعد هذه الاستشارة القانونية الدولية قرر المغرب القيام بمسيرة سلمية إلى الصحراء شارك فيها حوالي 350 ألف متطوعا ومتطوعة، وحين دخلوا يوم 6 نونبر ببضعة كيلومترات إلى الصحراء محطمين الحدود الاستعمارية، قررت إسبانيا الانسحاب من الصحراء عبر توقيع اتفاقية ثلاثية بينها وبين المغرب وموريطانيا.

سيصبح لبوليساريو جناحها العسكري «جيش التحرير الشعبي الصحراوي» الذي سيصبح أداة في يد الجيش الجزائري ومخابراته العسكرية والمدنية.

ثم أعلنت الجبهة عن إنشاء «الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية» الوهمية في 27 فبراير 1976، أبرز القادة المؤسسين: الولي مصطفى السيد، ومحمد عبد العزيز، وولد الشيخ بيد الله، وكانوا يتبنون الفكر «اليساري الاشتراكي». وبدأت الجبهة تحت رعاية المخابرات العسكرية الجزائرية بشن حرب عصابات ضد كل من المغرب وموريطانيا. والمجموعة التي أسست الجبهة تتكون من شباب مغاربة ينحدرون من أصول صحراوية، كانوا يتابعون دراستهم في المدارس المغربية وجامعة محمد الخامس بالرباط.

اتفاقية مدريد الثلاثية
14 نونبر 1975

دخل المغرب وموريطانيا في مفاوضات سرية مع إسبانيا، انتهت باتفاقية مدريد التي سارعت البوليساريو والجزائر إلى رفضها واعتبارها «مؤامرة» على سكان الإقليم، وقد سبق للجزائر أن أعلنت حيادها في الملف وأكدت دعمها لأي جهد مغربي موريطاني لإنهاء الاستعمار الإسباني في الإقليم، وذلك خلال مؤتمر نواذيبو الذي عقد عام 1970 وحضره قادة الدول الثلاث ملك المغرب الحسن الثاني والرئيسان الجزائري هواري بومدين والموريطاني المختار ولد داداه.

نص اتفاق مدريد على منح موريطانيا منطقة وادي الذهب (الجزء الجنوبي من الإقليم) والمغرب منطقة وادي الساقية الحمراء (الجزء الشمالي) ومقابل ذلك احتفظت إسبانيا باستغلال الفوسفاط في مناجم بوكراع كما

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

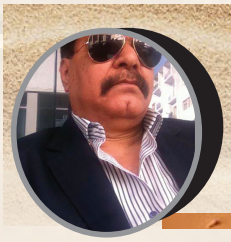

• عبد المجيد مصدق

احتفظت بقواعد عسكرية قبالة جزر الكناري.

وفي 26 فبراير عام 1976، أبلغ الممثل الدائم لإسبانيا لدى الأمم المتحدة الأمين العام بأن «الحكومة الإسبانية تنهي بصورة حاسمة، ابتداء من اليوم وجودها في إقليم الصحراء وترى من الضروري أن تسجل ما يلي: أن إسبانيا تعتبر نفسها من الآن فصاعدا في حل من كل مسؤولية ذات طبيعة دولية تتعلق بإدارة الإقليم المذكور، نظرا لتوقف اشتراكها في الإدارة المؤقتة للإقليم..».

وقد كان من نتائج الاتفاق فتح الطريق أمام المغرب لبسط سيطرته على الجزء الشمالي من الصحراء المغربية، وفي 26 فبراير غادر آخر جندي إسباني الصحراء المغربية، وفي نفس اليوم أعلن عن قيام «الجمهورية العربية الصحراوية» من الجزائر، إنها مفارقة المؤامرة الانفصالية لعسكر الجزائر، والتي استمرت إلى الآن.

وتجدر الإشارة إلى أن من وقع على الاتفاقية هم رئيس الحكومة الإسبانية كارلوس اریاس نافارو، وعن الجانب المغربي الوزير الأول احمد عصمان، وعن موريطانيا حمدي ولد مكناس وزير الخارجية.

وفي أبريل 1976، وقع المغرب وموريطانيا رسميا اتفاقية لتقسيم الصحراء، فانطلقت شرارة المواجهة العسكرية الدامية بينهما وبين جبهة البوليساريو المدعومة عسكريا من قبل الجزائر وتسليحا من ليبيا وبعض الأنظمة الموالية لتقاطب الحرب الباردة عبر العالم.

أمغالا 1

في نهاية شهر يناير 1976 قام اللواء الأول للمشاة بالجيش الجزائري بالهجوم على بلدة أمغالا، في حين قام لواء آخر بالهجوم على منطقة تفاريتي، وتمركز لواء آخر للمدرعات بالمحبس. وبعد ورود هذه المعلومات، توجه الجيش المغربي لصد هذا الهجوم في قوة تضم وحدة لجبهة التحرير والوحدة تحت قيادة الراحل النقيب حبوها لحبيب، وفيلقين للمشاة يقودهما العقيد بن عثمان والعقيد بن كيران، مدعومين بقوة للمدرعات تتكون من 36 دبابة.

قام الجيش الجزائري بمركزة مدفعيته الثقيلة على الأراضي الموريطانية وبالتحديد بمنطقة: «كارة فوق كارة»، والتي تبعد مسافة 6 كيلومترات عن أمغالا.

سحقت القوات المغربية العناصر المهاجمة والحصيلة 40 شهيد و14 جريح من الجانب المغربي و200 قتيل و103 أسير من الجانب الجزائري مات منهم عنصر واحد من بعد، ودامت هذه المعركة 48 ساعة متواصلة، وقد غنمت القوات المغربية 35 سيارة جيب عسكرية والعديد من العتاد الحربي والذخيرة والمواد الغذائية.

وتم التوصل إلى هدنة بين المغرب والجزائر ولم يفرج عن الأسرى الجزائريين إلا بعد وساطة قامت بها كل من مصر وتونس والعراق والجامعة العربية وطلب الراحل صدام حسين من المغرب بإلحاح حفظ ماء وجه الهواري بومدين بإطلاق سراح الأسرى من الجنود الجزائريين.

أمغالا 2

ومع ذلك لم يهضم الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين الهزيمة وقرر الانتقام بأي وسيلة ولو غدرا ودوسا على الوساطات العربية التي كانت سبب الإفراج عن جنوده المهاجمين على سيادة الأرضي المغربية، ففي 15 فبراير 1976 أرسلت الجزائر وحدات من القوات الخاصة الجزائرية (كوموندوس) للهجوم ليلا على كتيبة مغربية صغيرة متمركزة في ضواحي أمغالا وتم تدميرها بالكامل وأسر 250 فردا، وهو ما سمي بمعركة أمغالا الثانية، وهلل الإعلام الجزائري لهذا الغدر/النصر المبين. كانت هاته الهجومات العسكرية الجزائرية الغادرة، الدليل القاطع أمام العالم على أن الصراع حول الصحراء هو مغربي جزائري، وأن ما يسمى بجبهة البوليساريو ليست حركة تحرير بل أداة في يد الجزائر، وأن خطاب بومدين حول حق تقرير المصير ليس إلا شعارا لذر الرماد في العيون، فقد خط عسكر الجزائر خطوة نحو الحرب المباشرة بين الجيشين، وعندما وجدوا من تصدى لهم وأذل جنودهم أمام كاميرات العالم، وبأن أصحاب الأرض قادرين على حمايتها والتضحية من أجلها، رجعت خطوتين إلى الخلف، واختارت اللعب بالأداة الانفصالية وتسليحها وتمويلها واحتضانها، لعل وعسى تنجح في تحقيق وهم «مغرب الشعوب» نيابة عنها.

مسار حرب الاستنزاف على رمال الصحراء

انفردت معارك الصحراء بطابع حرب العصابات، بين الكر والفر، وهو ما صعب الأمر في البداية على الجيش المغربي باعتباره قوة نظامية تواجه جماعات مسلحة اغلب أفرادها يعرفون تضاريس الصحراء ومتمرسون على كثبانها وشعبها، مدججين بأحدث أسلحة المعسكر الشرقي الممولة من خزائن النظامين الليبي والجزائري، إضافة إلى الدعم اللوجستيكي والتقني، بل وصل الأمر إلى مشاركة وحدات الجيش الجزائري في المعارك.

صعوبات الجيش النظامي المغربي ليست فقط في مواجهة عصابات تحسن لغة الكر والفر فقط، بل تعدتها إلى صعوبة الحصول على الأسلحة لأسباب سياسية ومالية، وهو ما سبب في الانتكاسات العسكرية في النصف الثاني من عقد سبعينات القرن الماضي، لكن بمجرد الحصول على الأسلحة في بداية الثمانينات تغيرت الأوضاع العسكرية لصالح الجيش المغربي، وأحكم زمام المبادرة وشرع في بناء الجدار الأمني، وحرر عددا من المدن والقرى والمناطق، وارتباطا بهذه التطورات لا بد من الإشارة إلى أنه في 9 يونيو 1976 وقع هجوم البوليساريو على نواكشوط عاصمة موريطانيا وقتل قائد الحملة الولي مصطفى السيد رئيس جبهة البوليساريو. ليُنتخب محمد عبد العزيز أمينا عاما لجبهة البوليساريو ورئيساً لمجلس «قيادة الثورة» في 5 غشت، وللإشارة ففي هاته الفترة قبل اغتيال الولي مصطفى السيد كانت له نزعة وحدوية لفك النزاع مع المغرب والاستقلال بالقرار عن هيمنة الجزائر، وهو ما عجل بتصفيته من طرف عسكر الجزائر وإحلال تابع للجزائر بتندوف : محمد عبد العزيز.

وفي صيف 1979 خرجت موريطانيا من الصراع بعد انقلاب عسكري يوم 10 يوليوز أطاح بنظام الرئيس المختار ولد داداه، ووقعت مع جبهة البوليساريو اتفاق سلام بالجزائر يوم 5 غشت 1979 بعد مفاوضات مكثفة استضافتها فريتاون. ويوم 14 من نفس الشهر دخل الجيش المغربي إلى وادي الذهب بعد انسحاب الجيش الموريطاني وبذلك يكون المغرب قد استرد سيادته على كامل صحرائه الجنوبية.

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

طريق التسوية السلمية والمطبات الإفريقية والمغاربية

في 26 يونيو 1981 أعلن ملك المغرب في مؤتمر قمة الوحدة الإفريقية بنيروبي عن قبوله تنظيم استفتاء تقرير المصير في الصحراء. القرار اتخذ بصفة انفرادية وبدون استشارة شعبية، لأن السيادة للشعب وهو الوحيد صاحب الحق الذي يخول له قبول أو رفض الاستفتاء على جزء من أراضيه، ومع ذلك وقبل نهاية هذه السنة شرع المغرب ببناء الأحزمة الدفاعية أو الجدار الأمني لحماية «المثلث النافع» من الصحراء والذي يضم العيون والسمارة وبوكراع، حيث يتركز معدن الفوسفاط وغالبية السكان.

في 12 نوفمبر 1982 تم إقحام ما يسمى ب «الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية» في منظمة الوحدة الإفريقية، وكان رد الفعل المغربي هو الانسحاب من هذا التنظيم القاري الذي ساهم في تأسيسه، لإغلاق قوس المناورة الجزائرية التي تشتري أصوات البلدان الإفريقية الفقيرة للاعتراف بمولودها اللقيط، ومن تم إغلاق طريق أي دور للمنظمة في ملف الصحراء.

وفي 27 شتنبر عام 1983 سيعلن المغرب رسميا قبول إجراء الاستفتاء مهما كانت نتائجه، هذه الخطوات والمساعي ستدفع الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إصدار قرارها رقم 40/ 50 في 31 أكتوبر 1986 حول الصحراء المغربية المطالب بإجراء مفاوضات مباشرة بين طرفي النزاع في هذا الموضوع المتشابك. وتفرض منهجية التسلسل الزمني الوقوف عند حدثين هامين كادا يعتبران بشكل من الأشكال لبنتين في طريق التسوية السلمية، لولا تصميم النظام الجزائري على منازعة المغرب في وحدته الترابية، ويتعلق الأمر بالوحدة بين المغرب وليبيا تم الوحدة المغاربية.

وللإشارة فقد سبق أن عرض الراحل معمر القذافي سنة 1986 الوحدة على المغرب، قبلها هذا الأخير فورا فلم يكن هذا الاستعداد اعتباطيا، وإنما هو تصيد للفرصة السانحة، في سياق كانت فيه الجزائر قد أقنعت جارتيها، تونس وموريتانيا بالتوقيع على اتفاقية ثلاثية للتعاون أقصي منها المغرب وليبيا، ومن ثم جاء المقترح الليبي في اللحظة المناسبة، فاقتنصه المغرب ليضرب عصفورين بحجر واحد، فمن جهة عطل الاتفاق الثلاثي في المهد، لأنه أصبح غير عملي، ومن جهة أخرى أوقف الدعم السياسي والعسكري والمالي الليبي لعناصر البوليساريو.

والإطار الذي تم الاتفاق عليه بين المغرب وليبيا سمي «الاتحاد العربي الإفريقي»، من أجل ترك الباب مفتوحا، لقد كانت أبرز مراحل الدفء التي عاشتها علاقات البلدين، هي الفترة الممتدة بين 1984 و1986، حيث تم توقيع اتفاقية تعاون بين المغرب وليبيا، والقطع مع مرحلة كانت تدعم فيها هذه الأخيرة جبهة البوليساريو في حربها ضد المغرب في صحرائه، غير أن القشة التي قصمت ظهر هذا الاتفاق، كانت استقبال المغرب لرئيس حكومة الكيان الصهيوني «شمعون بيريز» في يوليوز 1986 والذي اعتبره القذافي «خيانة عظمى للقضية العربية وتصرفا لا يطاق»، على حد تعبيره.

ظلت الأوضاع في المنطقة غير آمنة، فتحركت الآلة الدبلوماسية لإزالة الضباب من سماء المنطقة، فكان إنشاء «اتحاد المغرب العربي» ثمرة هذا التحرك، وهو اتحاد إقليمي تأسس بتاريخ 17 فبراير 1989 بمدينة مراكش بالمغرب، وتألف من خمس دول تمثل في مجملها الجزء الغربي من العالم العربي وهي: موريطانيا، المغرب، الجزائر، تونس و ليبيا. وذلك من خلال إنشاء والتوقيع على ما سُمّي بمعاهدة «اتحاد المغرب العربي».

فشل الاتحاد المغاربي منذ تأسيسه في تحقيق الأهداف التي أنشئ لأجلها، حيث تسببت خلافات سياسية بالأساس في جعله كيانا إداريا ليس إلا، وفي مقدمة تلك العراقيل مشكل الصحراء المغربية المتنازع عليها مع الجزائر ومع أداتها جبهة البوليساريو التي تطالب بانفصال الصحراء، فالمغرب ما فتئ ينتقد جارته الشرقية الجزائر ويتهمها بدعم البوليساريو سياسيا وماليا وعسكريا، فيما تؤكد الجزائر أنها تدعم الشعب الصحراوي في سعيه لإقرار حقه في تقرير مصيره بالصحراء بناء على أن القضية ما تزال تناقش بأروقة الأمم المتحدة للفصل فيها.

وقف إطلاق النار وخطط التسوية الأممية

في صيف سنة 1988م سيوافق المغرب وجبهة البوليساريو على خطة السلام المقترحة من طرف الأمين العام للأمم المتحدة، وهو ما سيؤدي في 20 شتنبر إلى مصادقة مجلس الأمن على القرار رقم 621 بتعيين ممثل خاص للأمين العام المتحدة مكلف بقضية الصحراء. وكانت بداية عمله في يونيو 1990م بالإشراف على أول اجتماع للشيوخ الصحراويين بجنيف، وفي 18 يونيو تقدم الأمين العام للأمم المتحدة لمجلس الأمن بتقريره الكامل وفيه مقترحاته الخاصة بحل مشكلة الصحراء المغربية، وتمت المصادقة عليه من قبل المجلس في نهاية الشهر.

وسعى المغرب لتكون له اليد العليا سياسيا وعسكريا خلال الفترة الممتدة بين سنة 1989 إلى سنة 1991. لقد

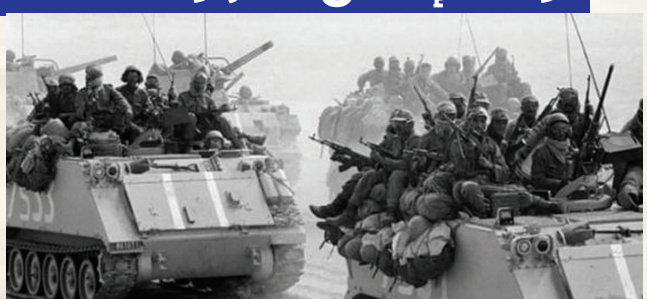

السادس من شهر شتنبر اتفاق وقف إطلاق النار بين المغرب وجبهة البوليساريو سنة 1991

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

أنهى اتفاق وقف إطلاق النار النزاع المسلح بين جبهة البوليساريو والجزائر من خلفها مع المغرب في شتنبر 1991. ولا يعرف بالضبط الخسائر البشرية والمادية بيد أن بعض المصادر تقول بأن العدد الإجمالي للضحايا يتراوح ما بين 10,000 و20,000 قتيلا بين الطرفين، وبضعة آلاف من الأسرى وتأثير واضح على اقتصاد كل من المغرب والجزائر والمنطقة.

ففي 29 إبريل 1991 تمت مصادقة مجلس الأمن على القرار رقم 690 لتشكيل بعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء المغربية: المينورسو، لتتوج هذه المجهودات في 6 شتنبر بالاتفاق على وقف إطلاق النار بين طرفي النزاع.

وظلت تتسارع الأحداث واللقاءات والقرارات بعد لقاء العيون تحت رعاية الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة المكلف بملف الصحراء، حيث ثم تعيين لجنة تحديد الهوية التابعة للمينورسو، وبدأت الأعمال التحضيرية لتسجيل المصوتين الفعليين، وقد شرعت لجنة تحديد الهوية في عملية تسجيل الصحراويين المسموح لهم بالتصويت بفتح مكتبين في مدينة لعيون، بيد أنه في شهر دجنبر عام 1995 تم تجميد عملية تحديد الهوية بعد خلافات كبيرة بين الطرفين المتنازعين على تفسير الشروط المطلوب توفرها في الناخبين. وبعد وساطات متعددة تم في عام 1997 التوقيع على اتفاقية هيوستن من طرف المغرب وجبهة البوليساريو، لتبدأ المرحلة الثانية من تحديد الهوية وتنتهي في شتنبر 1998م ليصبح مجموع من حُددت هويتهم في المرحلتين 147348 شخص. لكن عادت خطة الاستفتاء الأممية بالصحراء للتوقف بسبب الخلافات الحادة بين الطرفين حول من يحق له التصويت. وفي 17 يناير عام 2000م تم نشر لوائح المؤهلين للتصويت من القبائل التي هي محل الخلاف بين طرفي النزاع، لتأتي بعد ذلك المبادرة الفرنسية الأميركية المقدمة لمجلس الأمن لصياغة حل سياسي، وتنص أساسا على إعطاء حكم ذاتي للصحراويين ضمن سيادة المغرب. فبدأت الجولة الأولى بلندن بين المغرب والبوليساريو بإشراف الأمم المتحدة في 28 يونيو، والجولة الثانية بجنيف بين 20 و21 يوليوز، توجت بصدور قرار مجلس الأمن رقم 1309 المبني على المبادرة الفرنسية الأميركية التي تقترح حلا سياسيا لمشكلة الصحراء، ودعوة جيمس بيكر ممثل الأمين العام للأمم المتحدة المكلف بنزاع الصحراء إلى حل تفاوضي بين الطرفين مما يعني تخلي الأمم المتحدة عن خطة الاستفتاء.

كان الاستعمار الإسباني، يعتقد أن الصحراء المغربية إسبانية بوضعها في طوابعه

وبعد جولات بين المغرب والبوليساريو بإشراف الأمم المتحدة، أعلن المغرب في ختامها عن استعداده لحل سياسي تفاوضي. وفي بداية السنة 2001 قدم المبعوث الأممي جيمس بيكر الاتفاق الإطار لحل مشكلة الصحراء، وينص على استقلال موسع مع ارتباط بالمغرب في المجال الخارجي والعملة والعلم. فرفض البوليساريو الاتفاق الإطار المقدم من طرف الأمم المتحدة، وأرسل رئيس الجزائر عبد العزيز بوتفليقة رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، تتناول موقف الجزائر الرافض لاتفاق الإطار.

هدد جيمس بيكر بالاستقالة إن لم يؤيد مجلس الأمن خطته لحل النزاع في إقليم الصحراء، وتقترح تلك الخطة أن تكون الصحراء جزءا من المغرب ولكن مع التمتع بحكم ذاتي تحتفظ بموجبه بقدر كبير من السلطات، وقد حظيت هذه الخطة بتأييد المغرب، لكن كلا من جبهة البوليساريو والجزائر رفضاها.

في 20 فبراير 2002 قدم الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان تقريرا أمام مجلس الأمن الدولي من أربعة خيارات لحل مشكلة الصحراء:

- تنظيم استفتاء في المنطقة دون اشتراط اتفاق الطرفين.
- إعطاء حكم ذاتي للصحراويين ضمن سيادة المغرب.
- تقسيم الصحراء بين المغرب والبوليساريو.
- سحب الأمم المتحدة للمراقبين الدوليين العاملين في الصحراء منذ 11 عاما وترك الأطراف المعنية وشأنها.

وكان رد الجزائر أرعن كالعادة بزيارة عبد العزيز بوتفليقة مخيمات الصحراويين بتندوف بمناسبة الذكرى الـ 26 لإعلان «الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية» الوهمية، وهو أول رئيس جزائري يزور المخيمات منذ إنشائها سنة 1976.

تجدر الإشارة إلى أن بعثة الأمم المتحدة كانت مؤلفة من 612 مراقبا عسكريا وجنديا و62 ضابط شرطة.

في عام 2003، تم اقتراح نسخة جديدة من الخطة الرسمية (خطة بيكر) مع بعض الإضافات والتعديلات؛ إلا أن السلطات المغربية رفضتها مجددا مؤكدة على أن التعديلات في مشروع القرار تقلص من صلاحياتها. وكانت الخطة المعدلة قد قدمت مزيدا من التفاصيل حول عملية الاستفتاء من أجل جعل الأمر أكثر صعوبة في حالة الرغبة في المماطلة أو المقاطعة، وقد عُرف المشروع الثاني باسم «بيكر الثاني» الذي وافقت عليه جبهة البوليساريو في لحظة شكّلت مفاجئة للعديد من الأطراف المفاوضة والمشاركة في النزاع.

خطة بيكر الثانية كانت ملغومة إذ جمعت بين ما لا يجمع في القانون الدولي حول وحدة الدول وسيادة الشعوب وتأويل حق تقرير المصير بشكل تعسفي، والتي كان من شأنها حسب واضع الخطة، أن تُعطي للصحراء سلطة الحكم الذاتي باعتبارها سلطة مستقلة خاصة بعد القيام باستفتاء عام ثم المرور للفترة الانتقالية بعد مضي خمس سنوات. الخطة وضعت سكان الإقليم بين خيارين؛ إما التصويت لصالح الاستقلال أو البقاء تحت جناح الدولة المغربية ومن ثم الاندماج الكامل معها. بشكل عام قبلت جماعة البوليساريو الخطة إلا أن المغرب رفض ذلك. وكان بيكر من خلال خطته رقم واحد قد وضع معطيات حُذفت من الخطة الثانية إلا أن الجزائر وجبهة البوليساريو رفضتا ذلك واقترحتا تقسيم الإقليم وهذا ما لا يرغب فيه المغرب.

استقال بيكر من منصبه في الأمم المتحدة عام 2004؛ وقد صرح عقب تقديم الاستقالة قائلا: «إنني لا أظن أن هناك حلا لهذه الأزمة»، وقد جاءت استقالته بعد عدة أشهر من المحاولات الفاشلة لاستمالة المغرب من أجل الدخول في مفاوضات رسمية بشأن خطته لكن السلطات المغربية قابلته

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

بالرفض، خاصة بعدما عارض المغرب إجراء أي استفتاء على الاستقلال.

حاول المغرب والجزائر مرارا وتكرارا من خلال مفاوضات ثنائية الوصول لحل لكن هذا لم ينجح، خاصة وأن المغرب يتهم الجزائر بدعم جبهة البوليساريو ويعتبرها مخلب قط تابع للجيش الجزائري، في حين تنفي الجزائر في معظم الأحيان هذه التهم وتؤكد هي بدورها أن المغرب حصل على دعم صريح من قبل كل من فرنسا والولايات المتحدة قصد السيطرة على تلك الأقاليم. وكانت المفاوضات التي عقدها «الجارين» من شأنها أن تحدد بالضبط مسار الحل.

في شهر يناير 2005 عين الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان الدبلوماسي الهولندي بيتر فان فالسوم مبعوثا شخصيا جديدا للصحراء المغربية خلفا لجيمس بيكر.

وفي 26 مارس 2006 اقترح المغرب منح المنطقة حكما ذاتيا في إطار السيادة المغربية، وهو ما رفضته البوليساريو والجزائر.

في11 أبريل 2007 قدم المغرب للأمين العام للأمم المتحدة المبادرة المغربية للتفاوض بشأن نظام للحكم الذاتي في الصحراء، وبالتدقيق اقترح المغرب أن تصبح الصحراء المغربية كيانا يتمتع بالحكم الذاتي وذلك عن طريق المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية «الكوركاس»، الذي ينبغي أن يحكم الإقليم؛ وقد تم عرض المشروع على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في منتصف أبريل 2007.

وبالموازاة مع ذلك في 18 يونيو نجح المبعوث الأممي فالسوم بتنظيم جولات محادثات لأول مرة بين طرفي النزاع نظمت لا حقا في نيويورك تحت إشراف الأمم المتحدة، لكنها لم تفضي إلى نتائج واقعية، وفي أبريل 2008 أعلن المبعوث الأممي فالسوم بأن خيار الاستقلال الذي تطالب به جبهة البوليساريو «خيار غير واقعي»، بينما انتقدت الجبهة فالسوم واعتبرته «منحازا للمغرب». وفي شهر غشت صرح فالسوم بأن «الشرعية الدولية» في جانب جبهة البوليساريو، لكن الواقع على الأرض مع المغرب، موقعا على نهاية وساطته، مما اضطر معه الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون تعيين الدبلوماسي الأميركي كريستوفر روس في يناير 2009 مبعوثا خاصا له إلى الصحراء المغربية خلفا للهولندي فالسوم.

بعد أن فشلت عدة جولات من المفاوضات غير المباشرة بين المغرب وجبهة البوليساريو عقدت منذ 2007 برعاية الأمم المتحدة في الولايات المتحدة، واجتماعات رسمية بينهما في العاصمة النمساوية فيينا، في حلحلة الملف، وفشل روس في إيجاد حل، أعلنت السلطات المغربية في مايو 2012 أنها فقدت ثقتها في روس، الذي تعرض لانتقادات حادة من المغرب الذي اتهمه بالانحياز لصالح جبهة البوليساريو، أما هذه الأخيرة فقد أدانت موقف المغرب، وظلت الأوضاع على ما هي عليه الى يوم 6 مارس2017، حيث كشف مصدر في الأمم المتحدة أن روس قدم استقالته من منصبه في رسالة بعثها إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش.

قبل ذلك وفي 15 نوفمبر 2010، اتهم المغرب المخابرات الجزائرية بتدبير تمويل مخيم «إكديم يزيك» ضواحي مدينة العيون وذلك بهدف زعزعة الاستقرار في المنطقة. أما الصحافة الإسبانية فقد اتهمت السلطات في المغرب بشن حملة تضليل ضد الصحراويين وذلك بعدما قامت بمنع جميع الصحفيين الأجانب من دخول المنطقة، وطردت آخرين بينما منعت الباقي من السفر، وقد تزامنت الاحتجاجات مع جولة جديدة من المفاوضات تحت رعاية الأمم المتحدة.

كما رفض المغرب مطالبة الاتحاد الأفريقي بتوسيع مهام بعثة «المينورسو» لتشمل مراقبة حقوق الإنسان في الصحراء المغربية، معلنا رفضه القاطع لأي دور أو تدخل من الاتحاد الأفريقي في هذا الملف، ومتهما إياه بالانحياز.

في عام 2016، أعلن الاتحاد الأوروبي أن «الصحراء الغربية ليست جزءا من الأراضي المغربية.» وفي مارس من نفس السنة طرد المغرب أكثر من 70 عاملا في الأمم المتحدة أو في بعثتها وذلك بسبب توتر العلاقات بعد أن صرح بان كي مون في مؤتمر مدعيا أن ضم المغرب للصحراء المغربية هو بمثابة «احتلال لدولة ذات سيادة».

خلال كل مرحلة من هذه المراحل هددت جبهة البوليساريو بشكل متقطع باستئناف القتال،

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

مشيرة إلى أن المغرب رفض الاستفتاء كما خرق وقف إطلاق النار، ولكن معظم المراقبين يرون أن احتمال اندلاع نزاع مسلح حول المنطقة غير وارد، خاصة وأن البوليساريو لا يمكنها التحرك إلا بالحصول على الضوء الأخضر من الجزائر التي لا ترغب على الأقل في الفترة الحالية في ترك الجبهة تفعل ما تشاء.

لقد طالب المغرب مرارا وتكرارا من المنتظم الأممي زيارة مخيمات تندوف وإحصاء ذوي الأصول الصحراوية، ووضع مخيمات الاحتجاز تحت وصاية القبعات الزرق، حتى يتسنى تحرير هؤلاء الرهائن، لأن كل الانتفاضات التي يقومون بها ضد المخابرات العسكرية الجزائرية يتم قطع أنفاسها في المهد، باعتبار أن الجيش الجزائري صاحب الولاية والحل والعقد في شؤونهم، إن هدف هذه التمردات والاحتجاجات هو إطلاق سراحهم كي يعودوا إلى أوطانهم في المغرب وموريطانيا ومالي وغيرها من دول الساحل.

ولا بد من التذكير بآخر قرار لمجلس الأمن يهم قضية الصحراء تحت رقم 2494 صدر في 30 أكتوبر 2019 ويتعلق الأمر ب :

- تمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة لتنظيم استفتاء في الصحراء الغربية حتى 31 أكتوبر 2020.
- رحب القرار بالتزام جبهة البوليساريو والمغرب والجزائر وموريتانيا.
- تشجيع الدول الأعضاء على تقديم التبرعات الجديدة لتمويل البرامج الغذائية تلبية لاحتياجات اللاجئين الإنسانية.
- كما نص القرار على وجوب الاحترام التام بشأن وقف إطلاق النار، والامتناع عن أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى زيادة زعزعة استقرار الحالة في الصحراء المغربية.

تضحيات أبناء الشعب من جنود وضباط من أجل الوحدة الترابية

طيلة مراحل حرب الصحراء وقعت عدة معارك ضارية بين الجيش المغربي والبوليساريو ومن ورائهم الجيش الجزائري والسلاح الليبي. وهناك العديد من الجنود والضباط الذين بصموا بمداد الفخر والاعتزاز أسماءهم فوق الكثبان الرملية وبين الشعاب، ومنهم على سبيل المثال العقيد محمد الغجدامي، ومن أحسن الخصال التي جعلت الرجل قريبا إلى الجنود المحاربين هو قربه إليهم في جميع اللحظات، في ساعة الراحة وهدوء الصحراء وفي ساعة النار والبارود والموت والمواجهة والقتال، كان مقاتلا من الطراز الرفيع، لذلك لقب ب»أسد الصحراء»،

فقد كان أكبر عدو للبوليساريو في معارك الصحراء، لكن الخصم كان يهابه ويخافه ويحترمه، وحين يسأل أهل الصحراء عن أقرب وأعز الناس إليهم من الجنود والقادة العسكريين، فإنهم يجيبون بلا تردد: إنه الكولونيل محمد الغجدامي. أهل الصحراء يقولون إنه صحراوي من أبناء قبيلتهم، والريفيون من قبيلة تمسمان يقولون إنه أمازيغي ريفي عاش معهم، ولد الراحل بأصيلة عام 1936 ودرس بالعرائش، حيث كان والده ضابطا عسكريا، أكمل الغجدامي دراسته بإسبانيا بأكاديمية بورغوس العسكرية، ثم تلقى تكوينا عسكريا بسان سير بفرنسا، قبل أن يعود إلى المغرب بلده الذي ربطه به حبل سرة لم ينقطع إلا بوفاته التي انتهت في صمت ودفن في صمت، ودفنت معه أسراره وإلى الأبد بعد إبعاده عن الجيش في ظروف غامضة على إثر وفاة الجنرال الدليمي قائد المنطقة الجنوبية، ودون رد الاعتبار لتضحياته.

وهذا الظلم والغبن يسري كذلك على أغلب الجنود وصغار الضباط الذين ترك لهم الفتات في صندوق التقاعد لا يكفي حتى لسد الرمق.

بعد خسارات البدايات الأولى للحرب التي لحقت بالقوات المغربية بسبب صعوبة الحصول على الأسلحة، تم تشكيل فيالق متنقلة للنجدات، كل فيلق يغطي مساحة عملياتية محددة. أصبح العقيد الغجدامي قائدا للفيلق المتحرك السادس للمشاة الميكانيكية الذي يقاتل وينجد في نفس الوقت، حين اندلعت نار الحرب كان الضابط الغجدامي والطوبجي والعقيد بن عثمان قائد الفيلق الثاني وبعض الضباط المساعدين لهم، على رأس اللائحة التي وضعها الملك والد ليمي، والتي كانت حطب المعارك الأولى في الصحراء بدون تسليح مناسب للمعركة، فقد الجيش المغربي الكثير من الضباط مثل عمر العيساوي الذي استشهد سنة 1977م في اشتباك حول مدينة السمارة، والعقيد أوسليم الذي استشهد في نفس السنة بمعارك بئر انزران الشهيرة، والعقيد الخطابي الذي استشهد في توكات في نفس السنة، والعقيد عبد السلام العابدي قائد الفيلق الثالث الذي استشهد لاحقا في شتنبر 1988 وغيرهم..

إن تواجد الغجدامي في خطوط النار الحمراء كاد أن يكلفه حياته في أكثر من مرة، بل إنه في بعض الأحيان كاد يقع في الأسر، والوقوع في الأسر كان مخيفا بالنسبة للضباط المغاربة الكبار، خاصة بعدما

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

شاهدوا صور الضابط النقيب الأسير الطاهيري الطاهر، أول أسير مغربي، على صفحات الجرائد وفي التلفزيون الجزائري وهو في حالة يرثى لها نتيجة التعذيب وعدم احترام الجزائر وأذنابها لقوانين الحرب والأسرى.

«ثعلب الصحراء» هو اللقب الذي سيطلقه المراسل الحربي لمجلة «باري ماتش»، الفرنسية على الكولونيل محمد الغجدامي عقب الانتصار الباهر الذي حققه فيلقه العسكري على 3000 مقاتل من البوليساريو ومن معهم في معركة «بئر أنزران» الشهيرة التي وقعت فصولها خريف سنة 1979. ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى الفيلق الرابع للمشاة تحت إمرة العقيد فتحي الذي كان يحمي مدينة طانطان، وكانت هذه الفرقة مكلفة أيضا بحراسة قوافل الإمدادات ومكلفة بحراسة منشآت الفوسفاط بضواحي مدينة العيون فوسبوكراع، والتي كانت عرضة دائما لهجومات عناصر البوليساريو.

فرق تنقية وتمشيط جبال الواركزيز أسند أمرها إلى العقيد المحجوب الطوبجي صاحب كتاب « ضباط صاحب الجلالة » الذي التحق بهم نهاية دجنبر 1980 وكانت تتكون من 6000 جندي وضابط أغلبهم حديث العهد بالجندية، كانت المهمة التي كلفت بها هذه الفرقة هي رفع الحصار الذي ضربته عناصر البوليساريو على مدينة الزاك والذي دام زهاء 3 أشهر، وكان تسليح عناصر البوليساريو تسليحا جيدا مدججين بأسلحة متطورة، سقط عدد من الشهداء نظرا لظروف تضاريس هاته الجبال، لكن في النهاية تم دحر البوليساريو، وقتل وأسر عدد منهم. هناك معارك أخرى خاضها الجيش المغربي ببسالة وقدم أرواحه وحرية أبنائه في سبيل وحدة الوطن، كمعارك السمارة، وطانطان، والمحبس، والمسيد، وفوس بوكراع، وتيفارتي، وكلتة زمور، واجديرية، وغيرها..

الجدار الأمني.. الدرع الواقي من حرب العصابات

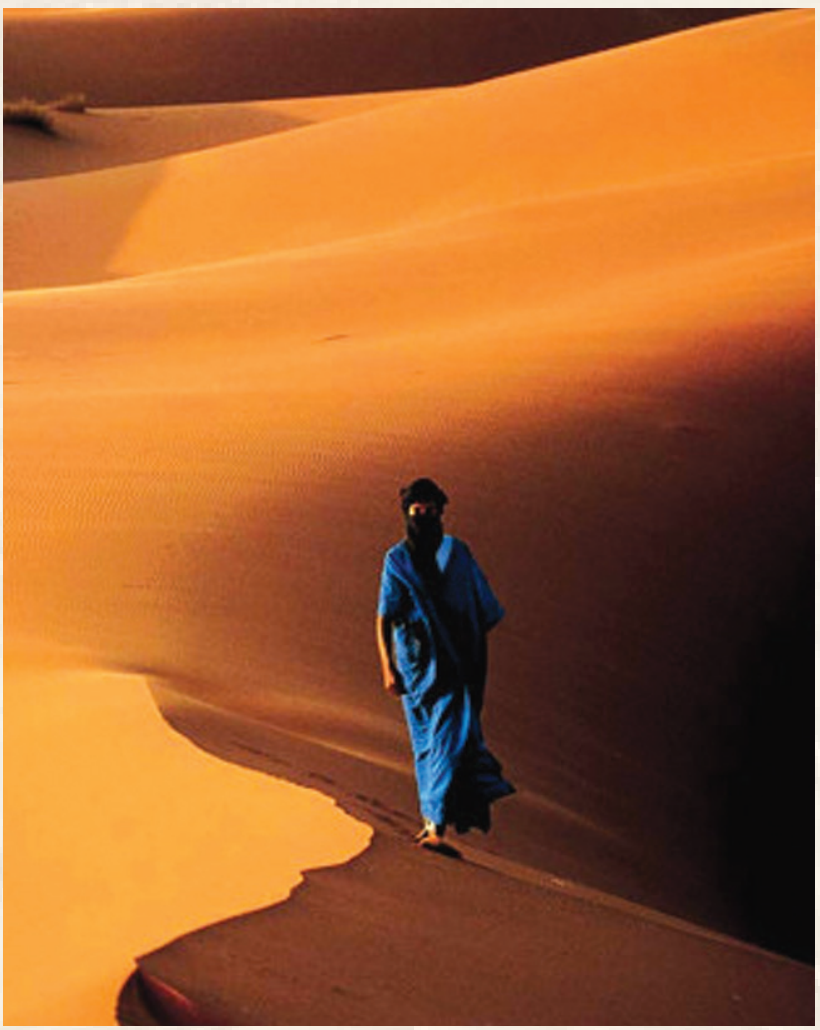

تم الشروع في بناء الجدار الأمني الرملي على 7 مراحل زمنية ما بين غشت 1980 إلى ابريل 1987 بطول 2.360 كيلومتر وارتفاع 6 أمتار، يحمي 80 في المائة من أراضي الصحراء المغربية، وظلت 20 في المائة من الأرض عبارة عن منطقة عازلة مقسمة منطقة الصحراء المغربية تقسيما طوليا من الشمال إلى الجنوب إلى منطقتين منفصلتين. وعملية مراقبة الجدار وحراسته وصيانته تتم من طرف الجيش المغربي ولا زالت مستمرة إلى غاية يومنا هذا، وتتواصل على مدار الساعة من قبل آلاف الجنود والضباط الذين يشرفون عليها، بينما تمسح أجهزة الرادار وبعض وسائل المراقبة الإلكترونية المتقدمة المنطقة على مدار الساعة كذلك، بحثا عن أي مهاجمين أو دخلاء محتملين، ويمتد على طول هذا الجدار حزام من الألغام الأرضية الذي يعرف بكونه أطول حقل ألغام في العالم، حيث يوجد به حوالي 7 ملايين لغم تمتد كلها في المنطقة العازلة، أي في المنطقة الحرة، بالإضافة إلى أعداد كبيرة جدا من المتفجرات من مخلفات الحروب السابقة، التي كثيرا ما تتسبب في حدوث حالات إصابات بليغة، وبتر أعضاء، ووفيات بين المدنيين الذين يدوسون عليها خطأ.

لقد كان لبناء الجدار الأمني في بداية الثمانينات الأثر البالغ في تغيير مجرى الصراع استراتيجيا وجيوسياسيا، إذ صعب على التوابع الانفصالية للجزائر الهجوم على المدن والقرى وحزام فوسبوكراع، وفسح المجال لتنقل الناس والسلع من شمال المغرب إلى جنوبه بأمان عوض التنقل عبر قوافل يحرسها الجيش من مدينة طانطان إلى مدن الساحل البحري، إذ لم يمكن بالإمكان سابقا المغامرة بالتنقل خارج هذا المجال العسكري الضيق، وبذلك يكون الجيش المغربي قد وضع الإطار العام الأمني على أرض الواقع لحماية مناطق ومدن وقرى الصحراء المغربية.

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية
بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

• عبد المجيد مصدق

خاتمة

في أكتوبر 1974م أعلن الرئيس الجزائري الراحل الهواري بومدين في مؤتمر القمة العربي بالرباط أن مشكلة الصحراء لا تهم سوى المغرب وموريطانيا، وأن الجزائر مع الدولتين وتؤيد تحرير كل شبر من الأرض لا فقط في الصحراء الغربية، بل أيضا في سبتة ومليلية وكل الجزر التي لا تزال تحت الاحتلال الإسباني. خطاب يخفي حقيقة ما يضمره من عداء اتجاه المغرب، وما يخفيه من نفاق اتجاه شعوب المنطقة. ومنذ ذلك الوقت والطغمة العسكرية الحاكمة بالجزائر تناور وتعاكس وتعارض استرجاع المغرب لأقاليمه الجنوبية.

لقد بددت وبدرت الثروة والمال العام للشعب الجزائري من أجل تسليح انفصاليين ينازعون في الوحدة الترابية للمغرب، نهبت وخسرت أموال طائلة ما أحوج الجزائريين إليها لإنجاز البنيات التحتية والرفع من قدرات القطاعات الاجتماعية وتحسين المعيشة للطبقات الشعبية، فالشعب الجزائري نفذ صبره وخرج منذ أكثر من سنة ثائرا عبر مسيرات سلمية ضد الطغمة العسكرية الجاثمة على أنفاسه، يطالب بالتغيير وبالمحاسبة ويؤيد الوحدة الترابية للمغرب.

فالجزائر حتى تضمن تماسكها الداخلي، وتقوم بتهريب مشاكلها المحلية، تحاول مرارا وتكرارا افتعال مشاكل أخرى جانبية وثانوية مع المغرب، وجعل العصا في عجلته والحجر في حذائه كما أراد الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، ومن أتى من بعده وسار على ركبه، للتغطية على المشكل الأساس ألا وهو مشكل الصحراء الشرقية المغربية، المنطقة الممتدة من ولاية بشار أو ما يعرف بولاية الساورة إلى عين صالح والهكار وبشار وتندوف، بأقصى الجنوب الجزائري.

إنه السبب الحقيقي لعرقلة الجزائر لمشكل الصحراء المغربية الذي افتعلته مستغلة ضعف النظام الذي نجا من محاولتي انقلاب عسكري، وكان غارقا في مستنقع حربه مع المعارضة اليسارية، فيما بات يعرف في الأدبيات السياسية بسنوات الجمر والرصاص. إن الحركة الوطنية والقوى الحية للتحرر فرضت على الدولة المغربية فتح ملف استرجاع الأراضي المسلوبة، ولم يكن له خيار غير الدخول في المعارك السياسية والعسكرية لتحقيق ذلك، رغم بعض الأخطاء الاستراتيجية التي أدى الشعب المغربي ثمنها.

إن المتمعن في خريطة الجزائر المستقلة سنة 1962، سيرى كيف أن بطنها منتفخ وغير طبيعي و ممتلئ بأراضي وقبائل وشعوب الجيران التي اقتطعت و انتزعت بالقوة من طرف الاستعمار الفرنسي الذي كان متواجدا في منطقة شمال إفريقيا وبالجزائر تحديدا منذ سنة 1830م، فهذه الأراضي وهذه القبائل هي عبارة عن ألغام موقوتة خلفها المستعمر الفرنسي كي تنفجر تباعا متى شاء ووقت ما أراد سواء في شرق أو غرب أو جنوب الصحراء الكبرى.

لقد كان الحكام الجزائريون ولا زالوا يهربون من استرجاع المغرب لصحرائه لأنه حتما سيتفرغ للمطالبة بصحرائه الشرقية، التي هي الأخرى تعتبر دائما امتدادا تاريخيا وجغرافيا طبيعيا للمغرب، ففرنسا التي استعمرت الجزائر منذ 1830م واعتبرتها مقاطعة فرنسية، سلبت أراضي الجيران ومنها الأراضي المغربية قبل أن تنشأ نظام الحماية على المغرب سنة 1912م بعد سنوات من انتصارها في معركة إيسلي سنة 1844م، فنتائج تلك الحرب كانت كارثية على وحدة المغرب و مناسبة لفرنسا المنتصرة لاتخاذ إجراءات عسكرية لتغيير معالم الحدود المغربية بدعوى محاربة التهريب و القضاء على التمرد المنطلق من الأراضي المغربية ولفائدة مقاطعة الجزائر الفرنسية، وهكذا اقتطعت من المغرب مدن وقرى بأكملها كتلمسان و كورارة و سيدي كلت و كلوم بشار و تندوف، إضافة إلى منطقة توات التابعة آنذاك للمغرب، وكل هاته المناطق تعتبر في جميع الخرائط والمخطوطات التاريخية والانثروبولوجية امتدادا جغرافيا وسياسيا وقبليا لمنطقة تافيلالت المغربية الشهيرة وقد تناولها العديد من المؤرخين..

ان الدفاع عن الحقائق التاريخية وعن الأحداث والوقائع الماثلة تؤكد بالملموس أن المغرب على حق ويدافع عن أرضيه. لقد كانت قضية الصحراء المغربية ورقة صراع بين الشرق والغرب إبان الحرب الباردة ولا زالت تداعياتها مستمرة حتى الآن، كما أنه في كل لحظة انفراج بين المغرب والجزائر تتحرك المافيا العسكرية الجزائرية والقوى الدولية التي لها مصلحة في استمرار النزاع، لتعود العلاقة بين البلدين إلى نقطة الصفر.

إن سبب هذا الدعم الجزائري لا يتعلق بما تعلنه الجزائر من «عدالة القضية» فقط، بل لأن الجزائر وجدت فرصة لتصفية حسابات قديمة ومتجددة مع المغرب، حيث إن لهذا الأخير هدف معروف وهو استرجاع أقاليمه الشرقية التي اقتطعها الاحتلال الفرنسي وضمها إلى الجزائر الفرنسية، وأيضا توجد منافسة على الزعامة الوهمية في المغرب العربي، إن العلاقة بين الجزائر والجبهة باتت تاريخية بل عضوية، كما أن الجبهة أصبحت جزءا من شبكة الحلول الأمنية الجزائرية، لقد لقيت الجبهة دعما شاملا من الجزائر خاصة على المستوى العسكري والمالي وحتى الدبلوماسي، حيث سعت لدى عدد من دول العالم للاعتراف بما يسمى «الجمهورية الصحراوية» بشكل جعل منظمة الوحدة الأفريقية تعترف رسميا بحكومة «الجمهورية الصحراوية» عضوا فيها عام 1984، لدرجة لم تنل القضية الفلسطينية ولو نصف ما خصصته لبوليساريو، الدولة الجزائرية. التي تتبجح ليل نهار بدعمها ومساندتها للفلسطينيين، لكن فقط على أمواج الأثير وبلاغات المجاملة الفارغة.

إن معاكسة حق الشعب المغربي في وحدته الترابية بدعوى حق تقرير مصير الشعوب، كلام حق أريد به باطل، فتأويل المصطلحات القانونية وغموضها في القانون الدولي عمل جاري به العمل، فالذين شرعوا تلك المصطلحات لم يكن هدفهم توطيد حق الشعوب في تقرير مصيرها بقدر ما كانت الخلفيات هدفها خدمة مصلحة الاستعمار من خلال تفكيك الدول والشعوب ونسيجها الاجتماعي وهدم ذاكرتها الجماعية، وإيقاظ النعرات الإثنية والطائفية والقبلية والمذهبية والعقائدية، لتسهيل مأمورية الاستعمار بكل أصنافه في أي مكان وفي القادم من الزمان، وفقا لقاعدة المركز يظل مركزا أقوى بفضل ضعف المحيط/الهامش، وهو الترجمة الفعلية لقانون الأقوى السائد في العلاقات الدولية، وكذلك لمحو آثار الشعوب الأصلية وحضارتها لسيادة الحضارة الغربية الكولونيالية ذات النزعة الإقصائية والاستعلائية والعنصرية، فالأساس الشرعي هو وحدة الشعوب والدول لمواجهة قساوة الطبيعة والفقر والجهل، واستمرار نزاع الصحراء المغربية ينم عن حقد أولا وجهل حكام الجزائر بأنهم ينفذون بوعي أو بدون وعي أجندة تخدم مصالح الدول الكبرى وشركاتها الصناعية والتجارية العبر وطنية، والضحية شعوب المنطقة.

من المقاربة القانونية إلى المقاربة السياسية

نحو حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق لنزاع الصحراء

نزاع الصحراء هو امتداد لنضال المغرب في سبيل استكمال وحدته الترابية، وهو أيضا تجل من تجليات السياسة الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت شمال إفريقيا، وقلصت حدود المغرب الطبيعية والتاريخية إلى حدوده الحالية. وبالإضافة إلى كونه نتيجة مباشرة من نتائج السياسة الاستعمارية التجزيئية على المغرب وعلى وحدته الترابية، فإن نزاع الصحراء عرف تطورات مستمرة غذتها الطموحات التوسعية ورغبات الهيمنة على المستوى الإقليمي، خصوصا من طرف الجزائر، هذه الطموحات والرغبات التي غذتها بدورها ظروف دولية دائمة التبدل والتغير، في فترة الحرب الباردة وصراع المعسكرين الليبرالي والاشتراكي.

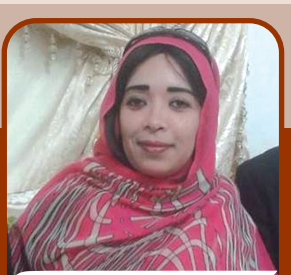

ذة. كريمة خورشا بنعثمان

كريمة خورشا بنعثمان، دكتورة في التاريخ المعاصر، تحضر لدكتوراه في العلوم الاجتماعية، حاصلة على ماستر في تدبير تواصل المنظمات، وإجازتين في القانون العام والأدب الفرنسي، مسؤولة تواصل وإعلامية، رئيسة مركز تواصل للإعلام والدراسات والاستشارات، قامت بإنجاز : كتاب تحت عنوان « نزاع الصحراء في إطار الأمم المتحدة / حديث التاريخ .. ومغزل السياسة»، وأطروحة الدكتوراه حول تدبير نزاع الصحراء الغربية في إطار الأمم المتحدة (باللغة العربية)، وبحث حول التواصل الداخلي حول قضية الصحراء (باللغة الفرنسية)، ودراسة وافتحاص آليات التواصل لمؤسسات جهة العيون بوجدور الساقية الحمراء (باللغة الفرنسية)، واقتراح استراتيجية للتواصل المؤسساتي لولاية العيون بوجدور الساقية الحمراء (باللغة الفرنسية)، لها كتابات حول الصحراء في بعض الجرائد الوطنية والمواقع الالكترونية، لها قيد الطبع رواية تاريخية حول الصحراء.

إن تدبير ملف استكمال الوحدة الترابية ونزاع الصحراء شابته تعثرات كثيرة منذ بدايته، أهمها سياسة استرجاع المناطق المحتلة بالتدريج وبطرق «مهادنة»، وفقا للسياسة التي نهجها القصر والقيادة السياسية الأولى لمغرب ما بعد الاستقلال، حيث يعتبر العديد من الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب المعاصر أن خير مثال لهذه السياسة الضيقة الأفق هو الإجهاز على جيش التحرير في الشمال والجنوب، في إطار تفادي خطر داخلي محتمل، لكن أيضا في إطار تقديم تنازل من التنازلات التي عرفها تاريخ تدبير استكمال الوحدة الترابية لفائدة فرنسا وإسبانيا.

من ناحية أخرى، وفي إطار الحديث عن ما أسماه العديدون بالأخطاء التدبيرية في نزاع الصحراء، فإن ظهور جبهة البوليساريو نفسها هو ترجمة واضحة لعدم استشراف المسؤولين السياسيين لمغرب السبعينات للمستقبل القريب للبلاد، حيث سيؤكد تطور الجبهة التي ستعلن «جمهوريتها» فيما بعد، تراكم الأخطاء التدبيرية لهذا الملف خصوصا على المستوى الداخلي.

أما على المستوى الخارجي، فرغم العديد من الانتقادات التي وجهت إلى سياسة المغرب التدبيرية (سواء من الداخل أو من الخارج)، وخصوصا بعد توالي موجات الاعتراف ب»الجمهورية الصحراوية» وتعدد النكسات الدبلوماسية المغربية، وأيضا بعد انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية، رغم هذه الانتقادات وغيرها، فإن المغرب استطاع أن يساير وبحكمة تغيرات المنظومة الدولية وتغيرات إكراهاتها ومصالحها، حيث استطاع المغرب ومنذ لجوئه إلى محكمة العدل الدولية وإقدامه على تفعيل المسيرة الخضراء وبعدها التوقيع على اتفاقية مدريد... أن يؤمن خطاه داخل ألغام القانون الدولي والعلاقات الدولية المتغيرة باستمرار عن طريق نهجه لمقاربة قانونية في إطار منظمة الأمم المتحدة استطاعت الصمود لعقود.

إن أطراف النزاع، أي المغرب وجبهة «البوليساريو» أساسا وراعيتها الجزائر، تدرك أن الوضع على الأرض والموقف الدولي والإقليمي، لا يحتملان تغييرا جذريا في تعاطي المنظمة الدولية مع النزاع، وبالتالي تكتفي جميع الأطراف المتنازعة الإقليمية والدولية المعنية، بتدبير النزاع لا حله، وهذه الأطراف تدرك في الوقت نفسه، أن الوضع القائم لا يسمح لأي منها بالخروج عن الحدود التي رُسمت دوليا لتدبير النزاع.

من ناحية أخرى، يمكن اعتبار أن استقرار ملف الصحراء بين أيدي منظمة الأمم المتحدة هو ضمان لعدم انزلاق هذا الملف في ممرات خطيرة أو مفاجأة، باعتبار أن المنظمة الأممية أخذت تنحو، خصوصا بعد اقتناع الجميع باستحالة إجراء الاستفتاء، نحو البحث عن حلول سياسية متفق عليها بين الأطراف المتنازعة، والتي أكد الواقع المؤسف ضلوع أحدها وهو الجزائر كطرف رئيسي مناوئ للمغرب ولمصالحه في هذا النزاع.

إن هذه المقاربة السياسية للنزاع في إطار المنظومة الدولية، وبعد تأكد فشل المقاربة القانونية التي لم يكن المغرب يتوفر على ميكانيزماتها في نظر القانون الدولي، والتي تجعله يربح النزاع بصفة قطعية ونهائية مع إسبانيا وبعد ذلك مع جبهة البوليساريو، هذه المقاربة السياسية هي في صالح المغرب إذا استطاع إنجاح رهانات التنمية والدمقرطة والمصالحة مع الخصوصيات المحلية والثقافية لمنطقة الصحراء، وأيضا إذا استطاع استثمار المتغيرات الدولية والرهانات الإقليمية والجهوية لصالحه.

إن حل الحكم الذاتي كميكانيزم سياسي وإداري واقتصادي وثقافي واجتماعي كان أصلح سياسة متبعة في أوربا لمنع كل تفكك وإخماد للصراعات الداخلية، مانعا بفضل هذا المنهج كل انفجار أو بلقنة، كما حدث في جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية.

أما على صعيد الأمم المتحدة، نلاحظ أن

من المقاربة القانونية إلى المقاربة السياسية

نحو حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق لنزاع الصحراء

مجموعة العمل الخاصة بالأقليات ولجنة حقوق الإنسان التابعة لها وصلت سنة 1995 إلى نتيجة واحدة فكت ألغاز فشل الأمم المتحدة في تطبيق مبدأ تقرير المصير في عدة نزاعات إقليمية خاصة نزاع إقليم الصحراء، ولمحت إلى أن الحل يكمن في ضرورة تعويض مبدأ تقرير المصير الذي يؤدي إلى «الاستقلال» أو الانفصال، بمبدأ تقرير المصير الذي يؤدي إلى الديمقراطية التشاركية أو المحلية كحل للمحافظة على خصوصيات الكيانات الصغيرة وضمان استقرار الدول والشعوب.

وهكذا نرى أن الأقليات في العالم اليوم لم تعد تناضل من أجل تحريرها واستقلالها، بل من أجل الديمقراطية ودولة الحق والقانون والمشاركة في الحكم والثروة والسيادة خاصة تلك الكيانات الصغيرة التي لا تتوفر فيها عناصر الدولة الوطنية.

إن الأمم المتحدة فشلت ولمدة أزيد من خمسة عقود في إيجاد حل مقبول لنزاع الصحراء، هذا الانسداد الدبلوماسي والاحتقان السياسي الذي عرفته كواليس المنظمة الدولية في هذا الموضوع، أدى بها إلى التفكير في اقتراح مقاربة قديمة في القانون الدولي لكنها متماشية مع الدعوات العالمية بتفادي بلقنة العالم بكيانات صغيرة وبتمتيع الأقليات بالديمقراطية وبالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهو ما سيدفع الأطراف المعنية والمهتمة بنزاع الصحراء إلى ضرورة إيجاد حل عملي، واقعي ومقبول من الجميع.

بمعنى آخر، فإن الهيئة الدولية فعلت تطبيق عنصر آخر من ترسانة مبدأ تقرير المصير الذي طرحته في مخططاتها السابقة، أي حكم ذاتي موسع لإقليم الصحراء كما جاء في الاتفاق الإطار المقترح من طرف المنظمة الأممية، بناء على ظهور تفسير جديد لمبدأ تقرير المصير، الذي أصبح يعني الديمقراطية المحلية الواسعة. وهذه العودة من طرف المجموعة الدولية إلى الاجتهادات الفقهية القديمة، هي رجوع إلى المعنى الحقيقي لمبدأ تقرير المصير، كما جاء في المبادئ المعلنة في الثورات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية، والذي كان يعني عند منظريه مبادئ السيادة الوطنية والحكومة الديمقراطية المنبثقة من التعبير الإرادي الحر للشعب.

لقد اقتنع مجلس الأمن والرأي العام الدولي باستحالة تنظيم الاستفتاء لاعتبارات تتعلق أساسا بصعوبات تحديد الهوية، وتفسير معايير الذين تتوفر فيهم الأهلية للمشاركة في التصويت، وهو ما دفع بمجلس الأمن للتأكيد على الحاجة الماسة للبحث عن حل سياسي، بعد أن تعذر إحراز تقدم في تسوية النزاع المتعلق بالصحراء.

والمغرب باقتراحه لحكم ذاتي في المنطقة المتنازع عليها ليؤكد على انخراطه في هذه الديناميكية الجديدة للبحث عن حل متوافق حوله لإخراج الصحراء وبالتالي المغرب والمنطقة المغاربية من مرحلة الركود الاقتصادي والنزاع داخليا وإقليميا، إلى مرحلة تلاق سياسي وإستراتيجي وإقلاع اقتصادي واجتماعي وثقافي وتنموي مندمج، بغض النظر عن الكثير من التحليلات والاعتقادات التي تدق ناقوس الخطر الآتي من إمكانية تعالي أصوات داخلية منادية بتعميم النموذج على مناطق أخرى من التراب الوطني، أو بإمكانية فشل التدبير المحلي في منطقة النزاع لأسباب متعددة.

المغرب كما يقول الخطاب الرسمي، «في صحرائه» ومُنشغل في تنمية المدن الصحراوية، إن كانت العمرانية أو البشرية، بعد أن توقفت الهجمات المسلحة منذ 1991، حيث يسعى المغرب لإخراج النزاع الصحراوي من مأزقه، عبر اقتراح منح الصحراويين حُكما ذاتيا في إطار السيادة المغربية.

من جهتها، لا زالت جبهة البوليساريو متمسكة بالقرارات الدولية ذات الصلة المعنية بتقرير المصير وتطالب باستمرار مجلس الأمن بتطبيق هذه القرارات، ولم تعد تملك - بعد التطورات التي عرفها العالم والإقليم - من أوراق ضغط على المغرب أو مجلس الأمن، إلا ورقة واحدة : حقوق الإنسان «تحرج» بها المجتمع الدولي وتضمن لها «تعاطف المجتمع المدني» في الدول الكبرى المعنية بالنزاع، خاصة إسبانيا.

فعلى مدى السنوات العشر الأخيرة، كانت

حقوق الإنسان ميْدان النِّزاع الصحراوي. المغرب، كما في بقية أراضيه، دفع باتجاه الانفتاح وتوسيع الهامش الديمقراطي، ودبّر تحرّك الناشطين الصحراويين بالكثير من المرونة وقلصت أجهزته الأمنية الكثير من انتهاكات حقوق الإنسان، ويُمَحور تحرّكاته على أوضاع اللاجئين الصحراويين في مخيّمات تندوف، حيث قيادة جبهة «البوليساريو» وقوّاتها العسكرية.

والمؤكد في هذا المجال أن تمكين الصحراء من اقتصاد محلي مستقل سيساهم في خلق الثروات بميزانية مستقلة، يبدأ العمل على تدبيرها عبر مقاربة الحكامة الجيدة، التي تحترم الحقوق الأساسية للسكان وتضمن حرياتهم الفردية والجماعية، حيث يتوافق هذا التصور مع البعد السياسي حين تفعيل مقترح الحكم الذاتي، الأخ الأكبر لجهوية موسعة أو متقدمة.

واستيعابا لكل هذه الحيثيات السياسية، يجب أن يستحضر كل نموذج تنموي قضية تهيئة المجال عبر إعادة هيكلة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنموية البشرية وتهيئة المجال والبيئة والحكامة، وذلك

من المقاربة القانونية إلى المقاربة السياسية

نحو حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق لنزاع الصحراء

غوتيريش يجدد تأكيد الأمم المتحدة على مرتكزات الحل السياسي لقضية الصحراء المغربية

لضمان سلاسة التحول الكبير الذي يمكن أن يطال الأبعاد السياسية لتدبير قضية الصحراء جيوسياسيا على المستوى الإقليمي والدولي.

من ناحية أخرى، يستدعي الحديث عن المقترح المغربي بإقامة حكم ذاتي في الصحراء الحديث عن المطالب الداخلية والخارجية بدمقرطة البلاد ودفع عجلة التنمية بها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

وتثمن العديد من الدول ومنها الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية مسار التدبير الداخلي للبلاد، خصوصا في العشريتين الأخيرتين، لكنها تطالب المغرب باتخاذ تدابير وخطوات أسرع وأوضح في مجالات الحكامة الجيدة والتسيير الشفاف والتنمية البشرية والاقتصادية وفي مجال حقوق الإنسان.

إن مجال حقوق الإنسان أصبح الملعب الذي يحتضن مناورات جميع أطراف نزاع الصحراء، حيث يتبادل المغرب والجزائر وجبهة البوليساريو الاتهامات في مجال حقوق الإنسان، وتنشط العديد من المنظمات والهيئات الحقوقية داخليا وخارجيا بهدف تثمين أو انتقاد الوضع الحقوقي في هذه المنطقة أو تلك، فبعدما كان نزاع الصحراء يخضع للمنطق الجيوسياسي والإيديولوجي، وبعدما دخل مرحلة النزاع المسلح وخرج منها، انتقل هذا النزاع إلى الحروب الإعلامية قبل أن يضاف فرع آخر لهذه الحروب التواصلية الأخيرة وهو الميدان الحقوقي، بحيث يسوق كل طرف الطرف الآخر بصورة المنتهك للمجال.

لقد سقط الغطاء الإيديولوجي الأخلاقي للجزائر التي سوقت «البوليساريو» كحركة ثورية هدفها تطبيق حق «الشعب الصحراوي» في تقرير مصيره، وهذا ما أدى إلى وضوح الطابع الجيوسياسي للموقف الجزائري. ومع تصاعد الاتهامات الدولية بفساد قيادات البوليساريو وتصاعد وثيرة الاحتجاجات الداخلية بسبب تحويل مسؤولي البوليساريو للمساعدات الموجهة لساكنة مخيمات الجبهة لصالحهم، بالإضافة لتصاعد وتيرة الاعتقالات، تعيش الغالبية العظمى ظروف الفقر والعوز والتضييق داخل المخيمات.

بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الاستنزاف الداخلي للبوليساريو بعودة آلاف الصحراويين خصوصا القيادات منهم، جعل أطروحة البوليساريو تزيد اهتزازا سواء على المستوى الداخلي للجبهة وأنصارها أو على المستوى الخارجي أمام الدول التي ساندتها لوقت طويل، وكذا بتوالي الحركات التصحيحية من داخل المخيمات كحركة خط الشهيد وحركة 5 مارس وحركة شباب التغيير والمبادرة الصحراوية من أجل التغيير، وأيضا حركة صحراويون من أجل السلام التي استطاعت أن تجمع حولها الصحراويين من المخيمات ومن خارجها والتي قد تدفع بالمياه الراكدة لملف الصحراء للتحرك وإيجاد حل توافقي ينهي مأساة المخيمات.

وللمغرب فرصة تاريخية تتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية في الأقاليم الصحراوية لاحتواء تحركات نشطاء البوليساريو، خاصة وأن هناك قاعدة عريضة غايتها الأساسية هي توفير ضمانات العيش الكريم فقط، بعيدا عن تجاذبات النزاع السياسي.

من جهة أخرى، فإن حالة التدبير المحلي الفاشل المتواصلة في الإقليم الصحراوي، تزيد من شدة الاحتقان الاجتماعي الذي تتصيده البوليساريو لتبرير تحوير كل تظاهرات المطالب الاجتماعية والاقتصادية إلى مظاهرات سياسية تطالب بالانفصال عن المغرب، وهو ما يفوت الفرصة على المغرب في تسريع وتيرة الدخول في حل نهائي لنزاع الصحراء، والتوجه نحو انطلاقة تنموية مندمجة لمجموع ترابه الوطني وفي الدخول في أحلاف اقتصادية إقليمية (داخل المنطقة المغاربية) أو جهوية (في إطار الإتحاد الأوروبي أو اتحادات عربية) أو عالمية.

• ذة. كريمة خورشا بنعثمان

الصحراء الأطلنطية بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني

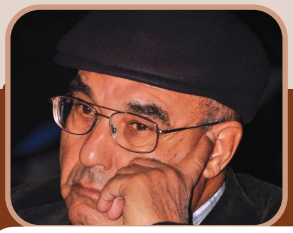

• صافي الدين البدالي

بين أكتوبر 1965 و دجنبر 1975 تم اغتيال قضية الوحدة الترابية لما اغتيل الشهيد المهدي بنبركة في 29 اكتوبر من 1965، وكذا لما اغتيل الشهيد عمر بنجلون في 18 دجنبر من 1975، وهما الرمزان الوطنيان اللذان كانا يدعوان إلى استكمال الوحدة الترابية بتحرير الصحراء المغربية ومدينتي سبتة و مليلية والجزر التابعة لهما. فالشهيد المهدي اقترح على اللجنة التحضيرية لمؤتمر القارات الثلاثة إحضار وفد من الصحراويين ليسمعوا صوتهم و ذلك بعد أن تم الاتفاق مع مكتب التضامن الإفريقي الأسيوي بالقاهرة، وكان الشهيد يهدف من وراء ذلك كسب تعاطف الأطراف المشاركة في مؤتمر هافانا بكوبا الذي كان من المقرر أن ينعقد في الفترة بين 3 و15 يناير عام 1966 في العاصمة الكوبية هافانا، قمة كانت الأولى من نوعها جمعت حركات التحرر الوطني فيما كان يعرف بـ«العالم الثالث» ويشتمل على قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وقد كان الشهيد المهدي رئيسا للجنته التحضيرية. لكن باغتيال المهدي تم اغتيال الوحدة الترابية وهو فعل مخزني و جريمة يشهد عليهما التاريخ، والشهيد عمر ربط التحرير بالديمقراطية و سارع إلى فتح حوار مع أعضاء من جبهة البوليساريو بفرنسا في إطار ديبلوماسية الحوار و الهجوم من أجل حق الشعب المغربي في صحراءه .

ونحن نحيي ذكرى أخرى لاغتيالهما، يعرف ملف الصحراء المغربية هذه الأيام عدة تطورات سياسية وحقوقية ودبلوماسية من جهة وتحدي الانفصاليين بالداخل للمؤسسات الدستورية المغربية وللقوانين التنظيمية منها قانون الحريات العامة و تأسيس الجمعيات وقانون الأحزاب من جهة ثانية، وأمام سكوت الدولة المخزنية اتجاه هذا التحدي الذي تجلى مؤخرا في تأسيس جمعية تقودها أمينة حيدر تحت اسم << جمعية مناهضة الاستعمار المغربي >>، وبالمقابل يتم قمع الجمعيات الوطنية والحريات العامة والصحافة الجادة في باقي البلاد في سياق معادلة غير متكافئة من جهة ثالثة.

إن السياق العالمي الآن يعرف تجاذبات استراتيجية بين القوى العظمى، أمريكا والصين وروسيا ، لرسم خريطة عالم جديد في إطار تقاسم المصالح والسيطرة المطلقة على الثروات المعدنية والبترول والغاز الطبيعي، بل حتى المياه والسواحل. في هذا السياق يعرف ملف الصحراء تطورات على المستوى السياسي، إذ أن هناك مبادرات لحل المشكل منها مقترح الحكم الذاتي الموسع الذي تقدم به المغرب بعد فشل عملية الاستفتاء الذي تم اقتراحه سنة 1981 في مؤتمر نيروبي. وهناك مواقف متضاربة حول هذا المقترح حيث تم رفضه من جانب جبهة البوليساريو والجزائر ومن في صفهما والذين يقترحون تقرير المصير للشعب الصحراوي، وهناك مواقف أخرى ضد كل المبادرات و تدعو إلى استقلال الصحراء من «الاستعمار المغربي»، وهو ما تروج له بعض الأطراف في كواليس اللجنة الرابعة للأمم المتحدة. وعلى المستوى الحقوقي هناك من يطرح حق الشعب المغربي في استكمال وحدته الترابية طبقا للعهد الدولي المتعلق بحق الشعوب في استقلالها. وهناك من يطرح تقرير المصير للشعب الصحراوي، أما على المستوى الدبلوماسي نجد دولا تؤيد المقترح المغربي وأخرى محايدة، وأخرى تساند الطرح الجزائري. وتبقى المفاوضات المباشرة غير ذات جدوى في ظل هذه التناقضات. أمام التعقيدات التي صاحبت ملف الصحراء منذ بداية السبعينات أي منذ 1975 وما واكب ذلك من حرب قاسية بين المغرب وجبهة البوليساريو المدعمة من طرف الجزائر، في ظل انفراد الدولة المركزية بملف الصحراء حتى أصبح من الطابوهات، لدرجة يجد فيها المواطن المغربي نفسه أمام إشكالية كبرى <<هل الصحراء مغربية أم هي غير ذلك>>؟

التفاعلات التاريخية التي عرفتها المنطقة الصحراوية

ظل المغرب ومنذ ما قبل التاريخ من حيث موقعه الجغرافي المتميز، معبرا للمرور من شمال البحر الأبيض المتوسط إلى إفريقيا وشمالها هدفا استراتيجيا، اقتصاديا وسياسيا لدول شمال وشرق ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وأيضا بوابة لجنوب غرب إفريقيا عبر البر والبحر. و بفعل التحولات التي عرفتها أوروبا اقتصاديا وعسكريا بعد الثورة الصناعية، سيعرف المغرب وضعية جد صعبة منذ القرن التاسع عشر لما أصبحت دول أوروبية تسعى إلى السيطرة على منافذه البحرية شمالا وجنوبا وعلى السواحل الشمالية والجنوبية، مستغلة بذلك الوضع الداخلي المتأزم

الصحراء الأطلنطية بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني

اتحاد المغرب العربي حلم ذهب أدراج رياح ذاتيات الحكام

على جميع المستويات اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وخاصة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 م)، حيث أصبح المغرب أنذاك يعيش صعوبات مالية بفعل تدهور مداخيل التجارة الخارجية بسبب انعكاسات المعاهدة المغربية البريطانية سنة 1856، وتراجع الدول الإسكندنافية عن الأتاوى للإمبراطورية (فاس ـ ومراكش)، وفرض اسبانيا غرامة مالية على المغرب بلغت 100 مليون بسيطة إثر انهزامه في حرب تطوان (تطاوين) التي امتدت من 1859 إلى 1860، وانتهت بتوقيع معاهدة واد راس، واضطر المخزن إلى إفراغ بيت المال من كل القطع الذهبية، كما أخذ قرضا من بريطانيا لتسديد جزء من هذه الغرامة، مما دفع المخزن إلى اتخاذ إجراءات جبائيه خطيرة أذكت نار التمرد والعصيان على السلطة المركزية. في هذه المرحلة ازدادت أطماع الدول الأوروبية من أجل احتلال المغرب. و سيرث هذا الوضع الحسن الأول الذي سيستمر في سياسة القمع والقتل للتحكم في الوضع برحلاته «الحَرْكة » عبر القبائل والتي لم تخلو من مواجها دامية مع استمرار الضغط الأوروبي وتمرد القبائل على السلطان وعلى جميع قواده في أنحاء البلاد بما فيها المناطق الصحراوية.

وضعية الصحراء قبل الاحتلال الأوربي والروابط التجارية مع المغرب

منذ القرن العاشر ميلادي والصحراء الغربية تسمى بالصحراء الأطلنطية، كامتداد للدولة المغربية كما عرفتها الكتابات التاريخية خاصة منها الكتابات الأيبيرية والمشرقية. وتمتد الصحراء الأطلنطية من طرفاية إلى نهر السنغال جنوبا ومن المحيط الأطلسي إلى تندوف شرقا. وعرفت المنطقة تفاعلات سياسية واقتصادية وثقافية كانت من اهتمامات الأدباء والمؤرخين من أمثال أبو حوقل ابن الحكيم، السعودي، العمري أو القلقشندي، البكري الإدريسي.. والذين كتبوا عن المنطقة في علاقتها بالمغرب حيث ارتبطت قبائلها بالدولة المغربية اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا وسياسيا ودبلوماسيا. فحماية القوافل التجارية المتجهة نحو السنغال ومالي والسودان ومن هذه الأقطار في اتجاه الشمال كانت توكل إلى شيوخ القبائل بأمر من السلطان، وتعيين القضاة في المنطقة الصحراوية (الصحراء الأطلنطية) يتم من طرف السلاطنة المغاربة وكذلك تزكية شيوخ القبائل وعقد الاتفاقيات التجارية والاتفاقيات حول الصيد البحري في السواحل الصحراوية مع أوروبا، واتفاقية موقعة مع لويس 13 سنتي 1635 و 1636، ومع لويس الرابع عشر سنة 1682م، ومع لويس 15 سنة 1767م، وكذا اتفاقية مع دون كارلوس الثالث سنة 1767 م «Don Carlos 3»، و مع دون كارلوس الرابع سنة 1799، وكلها اتفاقيات حول التبادل التجاري و الصيد البحري بالمناطق الصحراوية. لذلك ظلت الصحراء الغربية مرتبطة ترابيا وجغرافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ودينيا بالسلطة المركزية المغربية.. وإن مما يميز الصحراء

الصحراء الأطلنطية بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني

الأطلنطية عن الصحراء الكبرى التي تمتد إلى البحر الأحمر، كونها جزء من التراب المغربي ولم يقم فيها أي كيان سياسي أو شعب موحد خاص بها، رغم الصراعات بين القبائل، ولم تكن هذه المناطق أرض خلاء كما ادعى الكيان الفرنكاوي من أجل الاستيطان، أو أية جهة أخرى كانت تسعى هي الأخرى إلى استيطان الأرض، وهو ما دأبت عليه فرنسا.. أما الصحراء التي تشكل الحدود الجزائرية المالية والموريطانية فقد ظلت خارج أي سلطة إلى الآن.

إضاءات سياسية حول قضية الصحراء المغربية

بعد اغتيال الشهيد المهدي قبل أن يحقق هدفه الرامي إلى كسب إجماع أممي من أجل تصفية الاستعمار الإسباني في مؤتمر القارات الثلاث، سيطرح الراحل عبد الرحيم بعبيد سنة 1967 موضوع الصحراء المغربية في ندوة الاشتراكيين العرب المنظمة بالجزائر، وهو ما أغضب النظام الجزائري، كما أنه على المستوى الطلابي قد انضم الطلبة الصحراويون إلى نضالات الطلبة وطنيا للمطالبة بتحرير الصحراء المغربية. أما الدولة فإنها لم تبالي بهذا الملف وما يؤكد ذلك هو عدم طرح هذه القضية في المحافل الدولية، أي المؤتمر العربي المنعقد سنة 1964 ودول عدم الانحياز سنة 1962.

وقد عرفت المنطقة المغاربية و جنوب الصحراء عدة تفاعلات لم تستفد منها الدولة المغربية من أجل كسب تأييد مطلق لحق المغرب في استرجاع الأقاليم الصحراوية، ومنها الانقلاب العسكري الذي قاده الهواري بومدين في 1965م، أي بعد حرب الرمال بسنتين، حيث لا زالت تداعيات هذه الحرب مستمرة للآن خالقة عداوة بين النظامين في غياب أسس ديمقراطية في البلدين، وتم اغتيال باتريس لومومبا في الكونكو والانقلاب العسكري الذي قاده العقيد معمر القذافي، و ظهور التيارت اليسراوية والشعارات القومية العربية ونشاط حركة التحرير بأمريكا اللاتينية وإفريقيا وأسيا. ففي هذه الظرفية التاريخية 1965 ـ 1970 كان يشار إلى النظام المغربي بأنه متورط في عدة قضايا سوداء، منها اختطاف الشهيد المهدي بنبركة وتفكيك جيش التحرير والانخراط في أنشطة المخابرات الامريكية والإسرائيلية والفرنسية، مما جعله في عزلة سياسية وديبلوماسية خاصة بالنسبة للدول «الاشتراكية»، مما جعل الجزائر تنفرد باصطفافها إلى جانب هاته الدول، وتغاضى النظام المغربي عن مطلب تصفية الاستعمار من الصحراء المغربية وسبتة ومليلية والجزر التابعة لهما، بل تفرغ لضرب المعارضة و التضييق على الحريات العامة ومطاردة المعارضين بالداخل وبالخارج والاختطافات وهي ممارسات ضاعفت من عزلته خاصة من طرف بعض الدول العربية ودول أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية ودول إفريقية. و في خضم هذه الأحداث كان يتم التنسيق السري بين النظام الجزائري و النظام الفرنكاوي من أجل خلق كيان في الصحراء ضدا على الشعب المغربي وعلى المواثيق الدولية مقابل تصفية المعارضين للنظام الجزائري بإسبانيا، وهو ما أثبتته كتابات وتصريحات أحد أعضاء المجلس الوطني لجبهة التحرير الجزائرية (محمد اليحياوي وغيره).

في نفس الفترة عرف النظام المغربي هزات عنيفة متتالية، تجلت في المحاولتين الانقلابيتين 1971 ـ 1972

المسيرة الخضراء 1975

الصحراء الأطلنطية بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني

وأحداث مولاي بوعوة (1973)، وتميزت هذه الفترة بالاعتقالات والمحاكمات والإعدامات في صفوف الجيش ومناضلي الاتحاد الوطني مما شجع الأطراف المناوئة للنظام للمطالبة باستقلال للشعب الصحراوي، حيث كان يتم الهجوم من طرف الاحتلال الاسباني على حركة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب التي تأسست على يدي محمد البصيري سنة 1970، والتي انضم إليها ما كان يسمونهم الإسبان بجيش البدو والصحراويين الحرفيين، واستمرت المعارضة الوطنية في إعادة تأهيل المقاومة داخل الصحراء من خلال احتضان أبناء المقاتلين الصحراويين، حيث تم استقدامهم إلى دار التوزاني بالدار البيضاء لرعايتهم وتعليمهم و تكوينهم وتأهيلهم للمقاومة ضد الاحتلال، و كان من بين هؤلاء الشاب إبراهيم محمد البصيري ومحمد ماء العينين والولي مصطفى السيد. وبعد حصول الشاب إبراهيم على الشهادة الثانوية بالدار البيضاء وعلى الإجازة بدمشق التحق بمدينة اسمارة ليؤسس «حركة تحرير الساقية الحمراء و وادي الذهب». وهكذا و في ظل هذه الأوضاع عمل الاستعمار الإسباني على تأسيس حركة مضادة من شيوخ القبائل الموالين لها، وبالمقابل ظل الشعب المغربي والمعارضة معا متمسكين بالصحراء المغربية كجزء من الوطن لا يقبل أية مساومة. لكن ما كان يهم النظام هو تصفية المعارضة و المزيد من التضييق على الحريات، مما شجع اسبانيا و الجزائر على خلق كيان الجمهورية الصحراوية و جبهة البوليساريو التي ستحتضنها الجزائر، في ظل غياب دبلوماسية موازية لمواجهة المخطط الإسباني الجزائري. وأمام الضغط الشعبي وتسارع الأحداث في الصحراء قرر النظام تنظيم المسيرة سنة 1975. لكنه بعدها أقدم على اغتيال الشهيد عمر بنجلون على يدي الشبيبة الاسلامية التي تولدت عنها حكومة العثماني. و كان عمر قد بادر إلى لقاء بعض الأعضاء من جبهة البوليساريو في فرنسا لثنيهم عن التمادي في تأسيس كيان على أرض الأقاليم الصحراوية، وذلك في إطار الدينامية السياسية التي بدأها الشهيد المهدي في موضوع الصحراء المغربية. وبدل خلق دينامية تواصلية مع الشعب الصحراوي عمد النظام إلى إرشاء شيوخ القبائل ليقدموا له البيعة باسم الشعب الصحراوي، وهو منزلق لازالت تداعياته حتى الآن.

أمام ضغط المطالب الشعبية من خلال المظاهرات والاحتجاجات وتحركات المعارضة في الداخل وفي الخارج، طالب النظام المخزني بالصحراء وكان يريد من خلال المطالبة بها امتصاص غضب الشارع والحصول على إجماع وطني دون ديمقراطية حقة يكون فيها الشعب مصدر القرارات. وفي نفس الوقت خطط النظام الفرنكاوي والنظام البومدياني لخلق كيان في الصحراء يضمن المصالح الاسبانية والجزائرية، تتولى الجزائر تدبير نشأته، مقابل تصفية المعارضة الجزائرية التي اتخذت من اسبانيا مقر لجوؤها. لم يدرك النظام المغربي بأن استمراره في الاستبداد وفي قمع المعارضة ودخوله في حرب مباشرة مع المعسكر الشرقي سيجعله في مأزق سياسي ودبلوماسي من جهة، وأمام وضع داخلي متأزم كان من سماته الأحداث الدامية سنة 1981م، وتقديم مقترح الاستفتاء في مؤتمر نيروبي. و لم يعمل النظام على التقاط التناقضات التي كان يعرفها النظام الجزائري والأصوات التي كانت مع مطالب الشعب المغربي لتحرير الصحراء، ومنها «الجبهة المغاربية لمناهضة الاحتلال الفرنكاوي»، والتي كانت بمبادرة من جزائريين وتونسيين وموريطانيين ومغاربة. وقد ورد تأسيس هذه الجبهة في قصاصات الأخبار الأوروبية والسويسرية، كما أن النظام المغربي لم يستثمر ايجابيا «الحركة الجزائرية للقوات الشعبية والجيش من أجل الديمقراطية والاتحاد المغاربي» التي تأسست سنة 1976، وقد تلا تأسيس هذه الحركة اعتقالات في صفوفها عندما ناهضت الحرب ضد المغرب. لقد كان القبول بالاستفتاء خارج أية استشارة شعبية نتيجة للدبلوماسية الفاشلة، وسوء تدبير الملف، وهي مغامرة ستزيد الملف تعقيدا، وهو ما تم رفضه في حينه من طرف الاتحاد الاشتراكي آنذاك في سنة 1981، وما ترتب على ذلك من نفي بمعتقل ميسور، وهو الموقف الذي ظل يتشبث به حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي كاستمرار للحركة الاتحادية الأصيلة حتى الآن، على اعتبار أنه لا يجب استفتاء شعب على أراضيه، ومؤكدا بأن أي استفتاء من هذا النوع يجب أن يشارك فيه الشعب المغربي كله من طنجة إلى الكويرة.

الحكم الذاتي أم الجهوية الموسعة

لقد اعتمد النظام المقاربة الأمنية وغياب حقوق الإنسان لتدبير شؤون الأقاليم الصحراوية، الشيء الذي لم ينتج ذاك الاندماج الحقيقي المطلوب. ومن أجل دعم موقفه لجأ إلى الأعيان الذين كانت لهم مصالح مع إسبانيا والذين أغرقهم بالامتيازات والمناصب حتى أصبحوا يشكلون قوة ضاغطة من أجل مصالحها ضدا على مصالح الوطن ومصالح الطبقات الشعبية في الصحراء.

إن انفراد النظام بتدبير بالملف دون إشراك الأحزاب السياسية التقدمية وكل القوى الحية في البلاد، فتح الباب أمام أطماع خصوم الوحدة الترابية. وما مقترح الحكم الذاتي من جانب واحد إلا خطوة تؤكد مرة أخرى الاستمرار في المنزلقات التي ستكون لها عواقب وخيمة على وحدة الشعب المغربي وعلى حقه في استكمال وحدته الترابية. ولذلك فإن أي حل سياسي مرتكز على الحكم الذاتي بالصحراء المغربية يجب أن تتوفر له الشروط التالية :

1. ضرورة نظام ديمقراطي قائم على مبدأ الشعب كمصدر لكل السلط من خلال دستور ديمقراطي يضمن فصل السلط وقضاء مستقل ونزيه.

2 - مساءلة ناهبي المال العام في المنطقة و المسؤولين على تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمناطق الصحراوية المسترجعة وغيرها على المستوى العام .

3 - فتح حوار وطني واسع، من طنجة إلى الكويرة، يكون هادفا وجادا حول الحل المناسب في الصحراء المغربية.

4 - اعتماد المقاربة التشاركية في تدبير الملف وليس سياسة الإقصاء والتحفظ، فعلى الشعب المغربي أن يتعرف على كل الملابسات التي تحيط بالملف.

5 - اعتماد دبلوماسية نشطة ومبادرة ذات دينامية للتعريف بحق الشعب المغربي في الصحراء المسترجعة وبالمقترح المغربي لحل النزاع.

6. يجب أن يكون الحكم الذاتي ترابيا وليس إثنيا أو قبليا في إطار الجهوية الموسعة، مما يضمن للمغاربة جميعا، حق التنقل والعمل والاستقرار دون حدود أو حواجز أمنية أو جمركية .

• صافي الدين البدالي

الأبعاد الاقتصادية والاستراتيجية للصراع حول الصحراء المغربية

حين سأل أحد الصحفيين الغربيين في منتصف السبعينات من القرن الماضي الرئيس الجزائري المرحوم هواري بومدين عن الأفق الزمني للصراع، أجابه فورا وبحسم قائلا: "حتى ولو أستمر100سنة !"، وقد صدم ذلك التصريح الذي نقلته مجلة "جون أفريك" المغاربة والمتتبعين. وهو ما يكشف أن الصراع حول الصحراء المغربية له بالإضافة للإبعاد السياسية والتاريخية، أبعادا استراتيجية واقتصادية، مما جعل المرحوم محمد الباهي يكتب مقالا مطولا بجريدة المحرر حول "البؤر الثورية" نقدا وتفنيدا للأطروحة التي كانت رائجة آنذاك في صفوف اليساريين العرب حول "البؤرة الثورية" والتي كانت تقدم غطاء إيديولوجيا للخلفيات الحقيقية للصراع.

• علي بوطوالة

قبل ذلك التاريخ بعقدين، وفي أوج الصراع بين حركات التحرر الوطني في المنطقة المغاربية وفرنسا الاستعمارية، اكتشفت هذه الأخيرة احتياطات كبيرة للبترول في الصحراء الشرقية بمنطقة حاسي مسعود، وكان ذلك الاكتشاف وراء سعي فرنسا للانفراد بالجزائر والاحتفاظ بها في إطار ما سمته "الإتحاد الفرنسي" ومنح الاستقلال الشكلي لتونس والمغرب. ونحن نعرف الآن المضاعفات الكارثية التي ترتبت عن تجزيء المعركة التحررية ضد الاستعمار الفرنسي، خاصة بالنسبة للمغرب الذي ظل استقلاله منقوصا سواء في شماله أو جنوبه، وتعثر صيرورة توحيد البلدان المغاربية.

من المعروف أن جيش التحرير المغربي، كان على وشك تحرير الصحراء الغربية لولا تحالف الجيشين الإسباني والفرنسي في أطار ما عرف بعملية إكوفيون، والتي ألحقت هزيمة قاسية بجيش التحرير المغربي، دون أن تحرك الدولة المغربية "المستقلة" أي ساكن، بل وأخطر من ذلك ستسارع لحل هذا الجيش، معتبرة أنه لم تعد له أية مهمة.

وهكذا وبعدما نجحت فرنسا في فصل موريطانيا عن المغرب، وتأكد لإسبانيا بأن الصحراء المغربية غنية بالثروات الطبيعية، من فوسفاط وحديد واحتمال اختزانها لحقول من البترول والغاز، بدأت تحضر لفصل الصحراء عن وطنها الأم، وإقامة دويلة بها تابعة لها تماما، مثلما فعلت فرنسا بموريطانيا. أما النظام المغربي فقد أعطى الأسبقية لتصفية تنظيمات المقاومة، وبقايا جيش التحرير، وتمزيق الحركة الوطنية وضرب أجنحتها بعضها ببعض، وكل ذلك بهدف إرساء دعائم حكم ملكي مطلق، ولم يعد من أولوياته تحرير أجزاء التراب الوطني التي لازالت تحت الاحتلال الإسباني في شمال المغرب وجنوبه وسبتة ومليلية والجزر الجعفرية والصحراء الغربية.

بعد مرور عقد من الزمن على استقلال الجزائر وما عاشته العلاقات المغربية الجزائرية من توتر ومن مد وجزر، وخاصة بعد الأحداث الكبرى التي هزت المغرب في 1971 و1972و1973، ستقفز قضية الصحراء المغربية إلى الواجهة بعد انكشاف مخاطر المخطط الانفصالي المدعوم من إسبانيا وليبيا والجزائر برهانات ومبررات مختلفة، بالنسبة لكل طرف، فخلال منتصف السبعينات وبفضل الرمزية التاريخية للثورة الجزائرية، ومكانة الجزائر الاعتبارية في إفريقيا وداخل حركة عدم الانحياز، وسقوط منظمة البوليساريو الحديثة التكوين والمنعدمة الخبرة تحت هيمنة الجزائر، ستعتقد هذه الأخيرة أن ميزان القوى لصالحها وأن كل الشروط متوفرة لإلحاق الهزيمة بالمغرب، وبالتالي حرمانه من استرجاع الصحراء، واستعمالها مستقبلا للوصول للمحيط الأطلسي، وعزل المغرب عن عمقه الاستراتيجي في غرب أفريقيا. هذا الرهان سيتعزز برواج الحديث حول وجود حقول كبيرة للمحروقات على طول الشواطئ الصحراوية المحاذية لجزر الكناري، وهذا ما يفسر أيضا دعم كل القوى السياسية الإسبانية بدون استثناء تقريبا للمخطط الانفصالي رغم ما يجمع المغرب وإسبانيا من روابط تاريخية واقتصادية وثقافية واستراتيجية.

ولأن عامل القوة هو الحاسم في نهاية المطاف في أي صراع، فقد تمكن المغرب بعد بناء الجدار العازل في الصحراء والذي وفر الأمن والاستقرار للساكنة بالمنطقة، وبعد سقوط أنظمة أوروبا الشرقية سنة 1989، من إقناع الجزائر بتطبيع العلاقات أولا ثم المساهمة معا في بناء اتحاد المغرب العربي، والذي تم توقيع اتفاقية تأسيسه بمراكش في 17 فبراير 1989. هكذا، وبعد الانتفاضة التاريخية للشعب الجزائري سنة 1988، بسبب تدهور الأوضاع المعيشية، وارتفاع نسبة البطالة بشكل غير مسبوق، وانخفاض أسعار البترول التي أثرت بشكل قوي على المالية العمومية، لم تعد الجزائر قادرة على الاستمرار في النهج السابق، وبالتالي بدأت نخبها السياسية آنذاك تفكر جديا في الانفكاك من النظام العسكري، وتحقيق انتقال ديمقراطي، خاصة بعد التطورات الكبرى التي

الأبعاد الاقتصادية والاستراتيجية للصراع حول الصحراء المغربية

• علي بوطوالة

حققتها إسبانيا بعد تخلصها من ديكتاتورية فرانكو وترسيخها للنظام الديمقراطي بدعم قوي من المجموعة الأوربية، في هذا السياق يمكن فهم اتفاق وقف إطلاق النار الذي وقعه المغرب وجبهة البوليساريو بتأطير وإشراف الأمم المتحدة.

هذا المسار الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى إنهاء مشكل الصحراء المغربية بصيغة لا غالب ولا مغلوب، إلا أن هذا القطار سيتوقف بعد فشل الانتقال الديمقراطي في الجزائر، ودخول هذه الأخيرة فيما عرف بالعشرية السوداء، التي انتهت بقضاء الجيش الجزائري على الجماعات الإسلامية المسلحة.

في نهاية التسعينات، وبتزامن مع ما سمي بالتناوب التوافقي بالمغرب، ووصول "عراب" البوليساريو، عبد العزيز بوتفليقة إلى الرئاسة بالجزائر، عاد الصراع حول الصحراء المغربية إلى نقطة الصفر تقريبا. هكذا احتد الصراع من جديد بين المغرب والجزائر على المستوى الدبلوماسي وداخل المنظمات الدولية. وأصبحت كل مناسبة لمناقشة القضية في مجلس الأمن، فرصة للاستفزاز والمناوشات للضغط من أجل حصول أعداء الوحدة الترابية للمغرب على مكاسب جديدة. هكذا أصبح توظيف ورقتي حقوق الإنسان في الصحراء، واستغلال الموارد الطبيعية يحظى بالأهمية بالنظر للسياق الدولي الجديد. لقد ادعت المنظمة الانفصالية أن المغرب يستفيد بما قدره أربعة مليار ونصف دولار أمريكي سنويا من مدا خيل الصحراء، دون أن تشير لما أنفقته واستثمرته الدولة المغربية بالمناطق الصحراوية، والتي أصبحت تنعم بمستوى معيشي أعلى من مستوى باقي المدن المغربية. وأخطر من ذلك، فقد بادرت المنظمة الانفصالية إلى منح رخص التنقيب عن البترول في المناطق "المحررة" وفي الشواطئ الصحراوية في تحد سافر للمغرب والأمم المتحدة.

من خلال ما تقدم، يتبين أن الصراع حول الصحراء المغربية، الذي عمر حتى الآن أربعة عقود ونصف، سيظل قائما بسبب أبعاده الاستراتيجية والاقتصادية، ما دامت المنطقة المغاربية ترزح تحت أنظمة سياسية فاسدة ولا ديموقراطية، وخاضعة لتوجيهات المراكز الإمبريالية، ولاتهمها لا مصالح شعوبها ولا نهضة المنطقة بأسرها رغم التحديات المستقبلية والتنموية التي تواجهها، بدليل إهدار دولها من نقطتين إلى ثلاث نقط من نسبة نمو الناتج الداخلي الخام، بما يعني ذلك من تضييع لخلق مناصب الشغل وتحسين المستوى المعيشي للساكنة المغربية في إطار الوحدة المغاربية.

موقف حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي من قضية الصحراء المغربية

• عبد الرحيم ازبيدة

انطلاقا من شعاره المركزي: تحرير- ديمقراطية – اشتراكية، وانطلاقا من خطه السياسي المرحلي خط النضال الديمقراطي، حدد حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي موقفه من القضية الوطنية للصحراء المغربية وربطها بمهام التحرير والبناء الديمقراطي. فبرنامجه السياسي المرحلي يتمحور حول قضيتين جوهريتين مرتبطتين بشكل عضوي : قضية السيادة الوطنية وقضية السيادة الشعبية.

فقضية السيادة الوطنية تعني بالنسبة لحزب الطليعة تحرير وتوحيد كامل التراب الوطني من الشمال إلى الجنوب، وهي أيضا ومبدئيا قضية تحرير التراب والإنسان المغربي، وإذا كانت كل الطبقات بدون استثناء تلتقي حول شعار السيادة الوطنية على كامل التراب، فإنها تختلف جوهريا حول مفهوم التحرير ومضمونه الطبقي وأهدافه القريبة والبعيدة.

فالطبقة الحاكمة استغلت وتستغل القضية الوطنية لخدمة مصالحها الخاصة اقتصاديا وسياسيا، داخليا وخارجيا أي أن مواقفها وممارستها تجاه القضية الوطنية مواقف وممارسة طبقية استهدفت من خلالها، انفرادها بتدبير ملف الصحراء دون إشراك بقية الأحزاب التقدمية المغربية وكل القوى الحية في البلاد، مما جعلها تسقط في سلسلة من الأخطاء :

- تصفية المعارضة وجيش التحرير نظرا لمواقفهما الوطنية التحررية.
- اعتماد المقاربة الأمنية وغياب حقوق الإنسان في تدبير شؤون أقاليمنا الصحراوية الشيء الذي لم ينتج ذلك الاندماج الحقيقي مما يخدم ويعزز مصالح و مواقف الأطروحة الانفصالية.
- لجوء الطبقة الحاكمة وتعاقدها المكشوف مع شرائح ونخب من البورجوازية المتوسطة والصغيرة والأعيان والذين أغرقتهم بالامتيازات و المناصب ضدا على مصالح الوطن ومصالح الطبقات الشعبية في الصحراء.

وإذا كانت الطبقة الحاكمة تتعامل مع القضية الوطنية انطلاقا من موقعها الطبقي، من خلال إقامة ديمقراطية شكلية، ومن خلال التعاقد والتواطؤ مع النخب السياسية والانتهازية والارتباط العضوي بالدوائر الأجنبية، دوائر الرأسمال العالمي والإمبريالية كل هذا باسم القضية الوطنية وتحت غطائها،

فإن حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي المجسد لاستمرار حركة التحرير الشعبية وانطلاقا من أهدافه الوطنية التحررية، يطرح القضية الوطنية بمضمونها الشعبي أي المضمون الطبقي موقع الطبقة العاملة، الذي يعبر عن المصالح السياسية والاقتصادية للشغيلة والكادحين وعلى رأسها مسألة الديمقراطية.

إنها بعض المعطيات والمنطلقات التي تؤطر طرحنا وتصورنا للحل السياسي لقضية الصحراء المغربية، الذي ينبني على الشروط التالية :

- إقامة نظام ديمقراطي قائم على مبدأ الشعب كمصدر لكل السلط من خلال دستور ديمقراطي يضمن فصل السلط وقضاء مستقلا ونزيها.
- مساءلة ناهبي المال العام في المنطقة و المسؤولين على تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمناطق الصحراوية المسترجعة.
- فتح حوار وطني واسع، من طنجة إلى الكويرة، يكون هادفا وجادا حول الحل المناسب في الصحراء المغربية.
- اعتماد المقاربة التشاركية في تدبير الملف.
- اعتماد دبلوماسية نشطة ومبادرة ذات دينامية للتعريف بحق الشعب المغربي في الصحراء المسترجعة وبالمقترح المغربي لحل النزاع.
- يجب أن يكون الحكم الذاتي ترابيا وليس إثنيا أو قبليا في إطار الجهوية الموسعة، مما يضمن للمغاربة جميعا، حق التنقل والعمل و الاستقرار دون حدود أو حواجز أمنية أو جمركية.

هذه بعض المعطيات التي ينطلق منها حزب الطليعة فيما يتعلق بوحدتنا الترابية، والتي يدعو من خلالها إلى ضرورة فتح حوار وطني، باعتبار قضية الصحراء المغربية هي قضية الشعب المغربي بأكمله، وباعتبار النضال الطبقي التي تخوضه الجماهير الصحراوية، باعتبارها جماهير مغربية جزء لا يتجزأ من نضال الشعب المغربي، ضد كل مظاهر الإقصاء والتهميش والظلم الطبقي، وباعتبار الكفاح الذي يخوضه الشعب المغربي بواسطة قواه الحية والديمقراطية، جزء لا يتجزأ من الكفاح الأممي من أجل الانعتاق والتحرر.

قضية الصحراء في مفكرة اليسار الجديد

• أحمد حبشي

كانت مسألة الصحراء أول قضية خلافية في صفوف اليسار الجديد، اتضح خلالها الصراع حولها التمايز القائم بين رؤيتين سياسيتين تعتمدان نفس المرجعية الفكرية، وتسعى كل منهما إلى فرز خط سياسي يدعو إلى الكفاحية من أجل تغيير موازين القوى لصالح الكادحين وفي طليعتهم الطبقة العاملة.

فمنذ انطلاق أنويته الأولى لتأسيس تيار جذري مناضل، مباشرة بعد أحداث 23 مارس سنة 1965، التي سجلت أول انتفاضة شعبية بقيادة شبابية في مرحلة ما بعد الوجود الاستعماري، انطلقت حلقات النقاش الأولى في الجامعة وبين شبيبات الأحزاب اليسارية القائمة آنذاك، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب التحرر والاشتراكية، الرافضة لما اعتبرته مساومة ومهادنة للسلطة الحاكمة التي في تقديرهم أداة في يد الاستعمار الجديد.

بعد تحديد الاتفاقات الإيديولوجية بين أنوية متعددة المشارب، وفتح النقاش العميق، حول الخط السياسي والقضايا الجوهرية المرتبطة بخط النضال الوحدوي، تم إنجاز الخطوات التنظيمية في القطاعات المجتمعية الأكثر حيوية وفعالية، فتم توحيد الإعلام والزحف لاكتساح بعض المواقع في الواجهة النضالية، وما لبثت أن بدأت تظهر بعض التفاوتات في التقدير السياسي بين تيارين، مباشرة بعد أحداث مولاي بوعزة في مارس 1973، وما تلاها من هجوم قمعي استهدف المناضلين على نطاق واسع، شمل مختلف الفصائل اليسارية، كما شل الحركة النضالية لقطاعات وازنة على الساحة النقابية والسياسية. فكانت الدعوة في تقدير البعض إلى ضرورة التراجع المنظم، من أجل بناء الذات وتقييم المرحلة لبلورة خطة عمل تمكن من تجاوز مخلفات القمع وتصحيح المسار. بينما اقتضى نظر التيار الآخر ضرورة مواصلة النضال في خضم المد الجماهيري الذي عكسته الأحداث والرد الهستيري للنظام لإيقاف وتيرته، بتقدير البعض أن شنه لحملته القمعية اليائسة يعكس بداية نهايته، فكان شعار وجهة نظر هذه هو « لنبني الحزب الثوري تحت نيران العدو»، وأصدر وثيقة يفصل فيها قراءته للوضع السياسي وما تتطلبه المرحلة.

تشعب النقاش بين التيارين وأصبح الإعلام المشترك لا يعكس وجهة نظر الطرفين، فكان أن أصدر كل تيار جريدته الخاصة بعد أن تعذر التوصل إلى صيغة تقلص مسافة الخلاف الذي أصبح جليا بين أطروحتين، على الرغم من تأكيد انطلاقهما من نفس المرجعية الفكرية. هكذا واصل تيار إصدار الجريدة التي كانت لسان حالهما تحت عنوان «إلى الأمام»، ورد التيار الآخر بان أصدر منبره الإعلامي

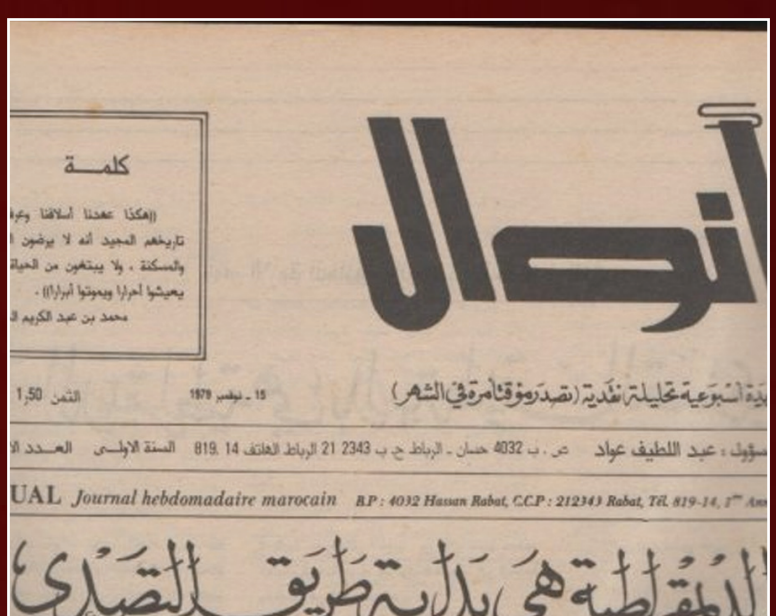
أنوال
كلمة
UAL Journal hebdomadaire marocain

الخاص « 2 مارس». في سعي منه لتوسيع دائرة الاستقطاب وشحن وعي المناضلين.

بالطبع كان لكل ذلك انعكاس على الساحة النضالية، وتوسعت دائرة التباين وحدة النقاش. في هذه الأجواء الخلافية سيطرح مشكل الموقف من استرجاع الصحراء ومن جبهة البوليساريو كفاعل سياسي جديد . فبينما اعتبر تيار «إلى الأمام» أن الوضع أصبح في صالح الثورة وأن عزلة النظام الحاكم ازدادت تفاقما، وأن الجنوب سيصبح بؤرة ثورية ستشكل قاعدة للرفع من إيقاع النضال للقضاء النهائي على السلطة

قضية الصحراء في مفكرة اليسار الجديد

الحاكمة، وحسم الأمر لفائدة مساندة الجبهة والدعوة لمناصرتها، بل أن موقفه سيمتد إلى الاعتراف بـ « الجمهورية الصحراوية» كممثل شرعي ووحيد للشعب الصحراوي. هذا الموقف وجد صداه وسط تيار 23 مارس، وفجر نقاشا داخليا وسط أطر ومناضلي التنظيم، فكان أن نظمت ندوة داخلية بالدار البيضاء، حضرتها أغلب العناصر القيادية التي لم يطلها الاعتقال ولم تتمكن من مغادرة البلاد بحكم كونها كانت موضوع متابعات قضائية. لم يحسم النقاش الخلافات داخل فصيل 23 مارس، ولكنه انتهى إلى اتفاق اعتبر موقفا مؤقتا، لخص في اعتبار أن الصحراء مغربية تاريخيا، وأن المواطنين في الأقاليم الصحراوية لهم حق الاختيار، وأنه يجب إعادة بناء الوحدة على أسس وطنية ديمقراطية. واعتبرت هذه الخلاصات أولية في انتظار تعميق النقاش وبلورة الموقف النهائي. اعترضت على ما خلصت إليه الندوة الوطنية عناصر من قيادة التنظيم لم تحضر أشغال الندوة، بحكم تمكنها من مغادرة المغرب واللجوء إلى الجزائر ثم فرنسا. على إثر الندوة تشكلت لجنة وطنية لقيادة المنظمة مؤقتا في انتظار استكمال الإعداد للمؤتمر الوطني للحسم في الخط السياسي وتحديد الموقف النهائي من مسألة النزاع حول استرجاع الصحراء. لم يتسع الوقت لأي نقاش أو جدال في القضايا التي أصبحت خلافية بشكل كبير، والتي سيتحول النقاش حولها إلى صراع حاد لفته اتهامات متبادلة بخصوص الموقف من النظام وخط النضال المرحلي، صراع عمقته الاعتقالات الواسعة التي ضربت التنظيمين معا، وزجت بأغلب

العناصر القيادية في السجون وخاصة أطر منظمة «إلى الأمام».

في السجن سيعرف الصراع منعطفا جديدا بعد أن قرر مناضلو منظمة «إلى الأمام» الاعتراف بجبهة البوليساريو، واختيار لحظة المحاكمة للإعلان عن ذلك، وهو ما اعتبره التيار الأخر استفزازا مباشرا، فكان أن رد بإعلانه الدعم للوحدة الترابية والتأكيد على مغربية الصحراء، على الرغم من قرار المعتقلين بمقاطعة المحاكمة كرد فعل على استفزازات الرئيس، هذا الأمر زاد من حدة التوتر وسط المعتقلين، وجوبه المؤيدون لمغربية الصحراء بمحاصرة شبه تامة، وخاصة الرفاق الثلاثة الذين عبروا عن الموقف في قاعة المحكمة، فكانت الدعوة لعزلهم وقطع أية معاملة معهم، وساد وسط المعتقل موقف تقرير المصير للشعب الصحراوي، وتم استغل إضراب عن الطعام بشكل فج، خاضه أغلب المعتقلين لتحسين أوضاعهم ورفع كل أشكال التضييق والدفاع عن حقهم في مواصلة الدراسة والتوصل بالمقررات، في الترويج للموقف بإصدار بيان اعتبر فيه الإضراب دعما لحق الشعب الصحراوي في تقرير المصير. تم شجب البيان الذي لم يستشر فيه المضربون، وأعلن الرافضون لصيغته المجحفة احتجاجهم، وأكدوا في جمع عام للمضربين أن استمرارهم في الإضراب هو فقط تضامنا مع حركة الإضراب، حتى لا يتهموا بإفشال المعركة التي كانوا يرون أهميتها في التعريف بواقع المعتقلين ومعاناتهم.

مع الأسف الشديد كان من نتائج الإضراب استشهاد الرفيقة سعيدة المنبهي، بعد تسعة وثلاثين يوما من الأمعاء الفارغة، وعزلة داخلية على الصعيد الوطني كرد فعل للقوى الوطنية، ثم تشتيت المعتقلين وتوزيعهم على ثلاثة سجون بما يعني مضاعفة معاناتهم. لمدة ظل المعتقلون يساندون أطروحة تقرير المصير، في حين عقدت قيادة منظمة 23 مارس ندوتها الوطنية في باريس وحسم الموقف لصالح الدفاع عن الوحدة الترابية، وتشكيل قيادة تضمنت عناصر من قادة جيش التحرير المغربي بالجنوب، وقد ساهم ذلك في توسيع دائرة الواثقين من حق الشعب المغربي في استعادة وحدته واسترجاع جزء من أراضيه كانت خاضعة لنفوذ الاستعمار الإسباني جنوب البلاد .

مع تطور الأوضاع داخل المعتقل استعاد الرفاق علاقاتهم الإنسانية البعيدة عن كل حسابات سياسية، وأصبح الموقف من الصحراء شأنا خاصا بكل تنظيم، خصوصا وأن العديد من المناضلين قطعوا كل صلة لهم بالتنظيمات السياسية التي كانوا ينتمون إليها، وأصبح كل واحد يعبر عن قناعته باستقلالية وتجرد، كما أصبحت البيانات التي تصدر باسم المعتقلين محصورة فيما هو مشترك من المواقف السياسية وما يتعلق بتحسين أوضاعهم داخل السجن، أو التعبير عن التضامن مع الحركة الجماهيرية والقضايا الإنسانية العادلة. كما ظل الصراع حول الموقف مستمرا بين التنظيمات على مختلف المنابر الإعلامية الخارجية أساسا.

سيتضح فيما بعد أن العديد من الرفاق أعادوا النظر في موقفهم من النزاع في الصحراء، وانتهى الأمر بالبعض منهم إلى الوقوف بجانب الشعب المغربي في نضاله من أجل استرجاع حقه في وحدته الترابية.

حوار مع القيادي المحجوب السالك

حركة خط الشهيد

هو داود السالك محمد عياد المعروف باسمه الحركي المحجوب السالك، والجفاف، من قبيلة الشرفاء توبالت، عضو سابق للمكتب السياسي لجبهة البوليساريو بعد أول مؤتمر لها، وأحد شيوخ تحديد الهوية باسم البوليساريو، حمل السلاح ضد اسبانيا وعمل مكلفا بإعلام الجبهة انطلاقا من الجزائر قبل اعتقاله الأول وبعد إطلاق سراحه، ثم تعرض للاختطاف والتعذيب ست سنوات ونصف في سجون البوليساريو، قبل أن يعيش حياة المنفى بعد المؤتمر الحادي عشر للجبهة، والذي شكل بداية القطيعة مع نهج قيادة البوليساريو، وبالتالي الإعلان مع رفاقه على تأسيس حركة خط الشهيد.

من هي حركة خط الشهيد ؟

حركة خـــــط الـشـهـيـد

تيار منشق عن جبهة البوليساريو، تأسس في منتصف سنة 2004، يتهم قيادة الجبهة بمصادرة رأي الصحراويين وقمعهم والفساد السياسي والمالي واستغلال معاناة الصحراويين لصالح قياديي الجبهة ولصالح الجزائر، أي كقيادة عاجزة وفاشلة وفاسدة ومرتشية ويعتبر المحجوب السالك أحد أبرز قياديي الحركة أن «خط الشهيد» حركة إصلاحية داخل «البوليساريو» تهدف إلى تحقيق العدالة والديمقراطية وفرض عملية التناوب داخل الجبهة بعد احتكار القيادة لأكثر من أربعة عقود من طرف طغمة فاسدة، وذلك بفضح تسلط القيادة وتسليط الضوء على عجزها عن إخراج الصحراويين بالمخيمات من جحيم العيش خارج أراضيهم وأراضي أجدادهم.

وقد جاء في النداء الذي سبق الإعلان عن تأسيس الحركة ما يلي : «لقد أثبتت لنا الأيام، وبعد أحداث الصراع على السلطة (1988) أن هذه القيادة عاجزة، وفاشلة في التسيير، وفي بعد النظر، وأن كل ما يهمها هو البقاء في السلطة مهما كان الثمن. وكل من قل نصيبه من الغنيمة من أعضاء القيادة، يتاجر بنا ويبيعنا في المزاد العلني. فكيف تريدون من جسم لم يتجدد الدم في دماغه منذ أكثر من ربع قرن، أن لا يصاب بالشلل.

إن تدمير المؤسسات الوطنية، المتعمد، وتحويلها إلى هياكل شكلية، عملية الهدف منها أن نصبح مجرد لاجئين تتاجر بنا هذه القيادة العاجزة والمنحرفة: لم نعد قضية وطنية، لم نعد دولة معترفا بها من طرف الوحدة الإفريقية، لم نعد شعبا سبب وجوده في لحمادة هو الكفاح من أجل العودة وليس بناء دولة في لحمادة، والبحث لها عن هيكلة مناسبة.

إذن فالواجب والضرورة تحتم علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان...

لهذا قررت مجموعة من الوطنيين الصحراويين، وإطارات الجبهة الشعبية، وخوفا على مصير هذا الشعب المكافح، وحرصا منا على الحفاظ على مكاسبه، تأسيس تنظيم وطني سياسي لكل الصحراويين الوطنيين الذين لا يساومون، أطلقنا عليه اسم:» الجبهة الشعبية خط الشهيد الولي».

نعلنه كبديل لانحراف القيادة، وتخليها عن المبادئ الأساسية للجبهة، والخط الصحيح الذي رسمه شهداؤنا وعلى رأسهم مفجرها وشهيدها: الولي مصطفى السيد. ونتبنى الديمقراطية والحوار والتناوب على السلطة كمنهج حضاري للتسيير..»

نص الحوار الذي أجرته جريدة الطريق:

حوار مع القيادي المحجوب السالك

حركة خط الشهيد

•• الطريق : السيد المحجوب السالك، بصفتك زعيما لخط الشهيد، أين وصلت حركة خط الشهيد بعد هذه السنوات من المعارضة لقيادة البوليساريو؟

السيد المحجوب السالك : حقيقة كان لدينا أمل في أن تتفهم هذه القيادة مطالبنا وتفتح الحوار الوطني لنصل إلى وحدة وطنية تدفعنا للبحث عن حل مع المغرب عبر الأمم المتحدة، بشكل ينهي هذا النزاع الذي طال أكثر من اللازم، ولكن خاب أملنا لأننا تأكدنا من أن هذه القيادة قرارها ليس بأيديها، بل تحولت نتيجة لضعفها وفسادها إلى بيادق في يد عسكر الجزائر تأتمر بأمرهم، والسلطات الجزائرية يخدمها الوضع الحالي ليجعلوا من البوليساريو شوكة وخز في أضلاع النظام المغربي، يحركونها وقت ما شاءوا، وقد ازداد فقداننا للثقة في قيادة البوليساريو بعد وفاة إطارات كان لنا فيهم السند باعتبارهم من الوطنيين الذين يبحثون عن فتح الحوار الوطني، والتنازل عن عنجهية وسلطة القيادة التي لا تريد أن تحرك ساكنا نحو المصالحة والحوار الوطني، ونذكر منهم: امحمد الخداد والبشير ولد اصغير والبوخاري بارك الله، وأحد إطارات خط الشهيد السريين المناضل محمد ولد محمد يحظيه المعروف بالمخيمات بدرموز رحمة الله على الجميع... اذن فقدنا الأمل في أي إصلاح أو تغيير مع هذه القيادة العاجزة، لهذا أصبح هدفنا هو توحيد كل القوى المعارضة للدخول في مفاوضات مباشرة مع الدولة المغربية، تضمن للصحراويين حقهم في الحياة الحرة الكريمة وتسيير شؤونهم السياسية والاقتصادية فوق أرض وطنهم تحت ضمانات أممية..

•• الطريق : ماذا عن المعارضة الجديدة: صحراويون من أجل السلام؟

السيد المحجوب السالك : لقد قلنا أكثر من مرة أن هذه قيادة البوليساريو إذا لم تتنازل عن ديكتاتوريتها وعنجهيتها وتبعيتها لوزارة الدفاع الجزائرية، ولم تفتح الحوار الوطني، فإن السخط والأفق المظلم والبقاء في مخيم لحمادة إلى ما لا نهاية، سيكون سببا في غضب المناضلين والشعب والانتفاضة ضد هذه الوضعية، وهذا هو ما أظهر شباب 5 مارس، وشباب التغيير، والمبادرة من أجل التغيير، وحركة صحراويون من أجل السلام، التي خرجت نهائيا من جبهة البوليساريو، واعتبرت نفسها حركة صحراوية ممثلة حقيقية للصحراويين في المخيمات والمناطق الصحراوية وبالخارج، وتضم عشرات الإطارات الصحراوية الساخطة والغاضبة على سياسة هذه القيادة التي حولت الثورة الى ثروة وأفسدت كل الأحلام التي كان يتخيلها العديد من الصحراويين... الحاج أحمد زعيم هذه الحركة، صحراوي من تيرس قام بدور ممتاز في تحسين علاقات الجبهة مع إسبانيا حيث أصبحت القيادة تستقبل في مدريد رسميا وأصبحوا يأخذون من إسبانيا ملايين الدولارات سنويا، وأصبحت لهم تمثيليات في كل المناطق الإسبانية المستقلة ذاتيا، وتستقبل العائلات الإسبانية أكثر من 10.000 شاب من المخيمات سنويا. ونفس الشيء قام به في أمريكا اللاتينية، لهذا صدم الكثير من المتعاطفين مع البوليساريو لما سمعوا بإعلانه عن حركة صحراويون من أجل السلام، وحتى لما عينوه وزيرا للتعاون وهي أكثر الوزارات في البوليساريو مكلفة بالدعم والمساعدات الخارجية، ولما شاهد الاختلاسات الكبيرة من طرف قيادة البوليساريو قدم استقالته، ووجه رسالة مفتوحة للمؤتمر الرابع عشر، أكد فيها أن القبلية لا تبني دولة وأنه يرفض هذه السياسة الفاشلة لقيادة البوليساريو، مما دفعهم لتهميشه وإقصائه، فكان رده تأسيس هذه الحركة «صحراويون من أجل السلام»، لسحب البساط من تحت القيادة الفاسدة وتمثيليتها، فلم تعد البوليساريو تمثل ما عدا الصحراويين من أصول جزائرية، أما الصحراويون الحقيقيون أبناء الإقليم فهم يريدون البحث عن حل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان، وقد أزعجت هذه الحركة قيادة بوليساريو وعسكر الجزائر، وهذا ما دفعهم لشن حملة تشويهات رهيبة ضده وضد الحركة ومناضليها.. ولكن في نهاية الأمر لا يصح إلا الصحيح. والمسؤول عن كل هاته التمزقات هو قيادة البوليساريو وفسادها، خصوصا وأن الحركة فضحت جرائم القيادة المتعلقة بالانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان بالمخيمات والتي ذهب ضحيتها 650 مفقود صحراوي، والعشرات من الناجين من هؤلاء الضحايا.

•• الطريق : أعضاء في هذه الحركة الجديدة «صحراويون من أجل السلام»، فضحوا جرائم قيادة البوليساريو وجلاديها، وأثبتوا انتهاكاتها المتعلقة بالاختطافات والاغتصابات واعتقالات وتصفيات وموت تحت التعذيب، وهي من الأمور التي كان يجهلها الكثيرون.. إلى اين يتجه النزاع حاليا وهل هناك أفق للحل؟

السيد المحجوب السالك : النزاع يتجه إلى أن يبقى كما هو الحال عليه إلى ما لا نهاية له، أي الجمود في الوضع الحالي، فالمغرب في الصحراء يسيرها ويبني ويشيد المشاريع ويدير ما بها من الخيرات، وقيادة البوليساريو لديها دولة في الربوني تحت حماية عسكر الجزائر، وتعيش على المساعدات الدولية، والمينورسو للإشراف على عملية وقف إطلاق النار.. وهذا ما أكده الأمين العام الأممي في تقريره الأخير لمجلس الأمن الذي يناقش القضية هذه الأيام، وكل ما سيأتي به مجلس الأمن هو فقط تقرير لن يخرج عن تمديد مهمة بعثة المينورسو سنة أخرى. وتبقى دار لقمان على حالها.. إلا إذا حاول المغرب، ونحن في الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة وبداية هذا الصراع، أن يكون شجاعا ويبادر لفتح الحوار مع المعارضة الحالية لقيادة البوليساريو الفاسدة، من أجل إيجاد حل نهائي يخدم الصحراويين ومصالحهم ودخولهم لوطنهم مع ضمانات لهم بالحياة الحرة والكريمة، وساعتها لن يبقى في المخيمات ما عدا القيادة التابعة لجنرالات الجزائر، أو سكان تندوف ولخبي وأم لعسل ولعبادلا وبرج المخطار وازواد، من الجزائريين ذوي الأصول الصحراوية، وسينتهي النزاع أوتوماتيكيا رغم أنف العسكر الجزائري وبيادقه من قيادة البوليساريو.. أما إذا فرط المغرب في هذه الفرصة التاريخية، فستظل الأمور تراوح مكانها وسيبقى النزاع مستمرا لسنوات وسنوات طوال أخرى.. الصحراويون مشتتون شرق الجدار وغربه، والانتهازيون من المختصين في الاصطياد في الماء العكر، يتاجرون بمعاناته شرق الجدار وغربه، ودار لقمان على حالها كما قلنا سابقا..

حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

حركة "صحراويون من أجل السلام" هي إطار سياسي جديد، تم الإعلان عنه في 22 من أبريل المنصرم، فيما عقدت مؤتمرها التأسيسي في الثالث من الشهر الجاري، بعد تنظيم مؤتمراتها الفرعية في كل من العيون، الداخلة، نواذيبو، تولوز، إضافة إلى العشرات من اللقاءات والندوات التحسيسية والتأطيرية، حيث استحوذت على اهتمام الرأي العام المحلي والإقليمي، وأثارت صخبا إعلاميا كبيرا طيلة الستة أشهر الأخيرة.

تعرف الحركة نفسها بأنها "تجربة سياسية غير مسبوقة"، تهدف إلى كسر النموذج الشمولي والراديكالي القديم للبوليساريو، وتزرع في المجتمع الصحراوي ثقافة التنوع السياسي والتعددية الحزبية "، ويشير بيانها التأسيسي على أنها "تطمح إلى تمثيل كافة الآراء والحساسيات التي تعبر عن مختلف مكونات المجتمع الصحراوي، خاصة تلك التي لا تجد نفسها ممثلة في مواقف وممارسات البوليساريو، ومشاريعها السياسية أو ومنطلقاتها وخلفياتها الإيديولوجية".

وبحسب البيانات الصادرة عنها فالحركة تضم طيفا واسعا من الصحراويين، كوادر مدنية وعسكرية انتمت سابقا إلى البوليساريو، دبلوماسيون سابقين، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من النشطاء السياسيين والحقوقيين والباحثين وطلاب الجامعات.

> من أجل حل سياسي سلمي وواقعي، يستحضر حقوق ومصالح الأطراف وفي مقدمتهم المغرب وممثلي المجتمع الصحراوي ويضمن وجود كيان سياسي ديمقراطي تحدد تفاصيله القانونية والدستورية بصفة تشاركية.

وفي ما تعتبر نفسها بمثابة "الأمل الجديد الذي ينبعث في نفوس الصحراويين"، تؤكد حركة "صحراويون من أجل السلام" على رهانها على "الحلول السلمية"، وطموحها لاحتلال "مكانتها المستحقة كمرجع سياسي جديد يسعى إلى التوصل إلى حل سياسي عادل متوافق عليه، من شأنه أن ينهي مشكل الصحراء الغربية".

وتعتبر حركة "صحراويون من أجل السلام"، أن نزاع الصحراء الغربية الذي "لا تزال عملية السلام رهينة له، يقف عقبة دون تحقيق اندماج وتنمية شعوب المغرب الكبير"، في حين ترى أن "الحل السياسي المتوافق عليه لمشكل الصحراء الغربية"، سيفتح الباب على مصراعيه أمام مستقبل أفضل للصحراويين ولبقية شعوب ومجتمعات المنطقة المغاربية.

فبحسب بيانها التأسيسي، فإن تسوية النزاع تعد "ضرورة تاريخية، من شأنها أن تفتح المجال لدخول مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، لكنها تؤكد على معالجة مخلفات ماضي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وإطلاق سراح المعتقلين الصحراويين.

بيان تأسيس "حركة صحراويون من أجل السلام" في 22 أبريل 2020 :

"على ضوء مخرجات المؤتمر الخامس عشر لجبهة البوليساريو، والنتائج المتمخضة عنه، بات جليا أن النظام السياسي أو الحركة، التي قادت مصائر شعبنا طوال العقود الخمسة الماضية، استنفذت طاقتها وأصبحت عاجزة عن التجديد، فاقدة للإرادة والقدرة الضروريتين للانفتاح على أفكار ومبادرات جديدة، من شأنها أن تخرج شعبنا من النفق المظلم للسير به نحو مستقبل أفضل، مستقبل الحرية والازدهار.

جميع المبادرات والجهود المبذولة في هذا الصدد، اصطدمت بتعنت وعجرفة قيادة واهنة وعاجزة، لكنها مرتاحة لوضعية صنعتها، يسودها التسلط والاستبداد واللاديموقراطية.

اليوم، وبعد نصف قرن من الانتظار، المعاناة والآلام، إلى جانب انسداد الآفاق وإهدار الفرص الهائلة. وضعية تتطلب اتخاذ قرارات جريئة وشجاعة، فحالة الانسداد المتواصل الراهنة، وغياب أي أفق لحل المشكلة الصحراوية، تجبرنا على إعادة النظر في مسار الوضعية برمتها، حالة اللجوء الأبدي، الوضع الاجتماعي والإنساني المتأزم وتدهور الظروف المعيشية. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، شهادات بعض الناجين من القمع في سجون البوليساريو، والتي تعري ماض، يتصف بالقمع الوحشي، التعذيب والإعدامات خارج القانون لضحايا أبرياء. باختصار انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، لم يتم توضيح ملابساتها إلى يومنا هذا، مع تكريس جلي لحالة إفلات مرتكبيها من المحاسبة والعقاب.

هذه الأحداث مجتمعة أدت إلى انتفاء شرعية البوليساريو والى تقويض مكانتها كممثل وحيد للشعب الصحراوي، في ظل تخندق واحتماء الحرس القديم بأجهزة السلطة، الذي بات رفضه الصارم لكل فكر مجدد أو معارض من الداخل واضحا للجميع، خاصة بعد مؤتمر الجبهة الأخير.

تتويجا لمرحلة مطولة من التقييم والحوار قررنا الموقعين أسفله تدشين خطوات متقدمة من الكفاح لصون حقوق وحريات شعبنا، بإعلان ميلاد حركة سياسية مستقلة تحت اسم "صحراويون من أجل السلام".

حركة «صحراويون من أجل السلام»

ظروف التأسيس ـ ملابساتها ـ أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

وانطلاقا من هذه اللحظة المفصلية ندعو جميع الصحراويين، من داخل أو خارج الإقليم إلى الانضمام إلى هذا التنظيم السياسي الوليد، قصد المشاركة دون استثناءات من أي نوع، متحملين جميعا هذا التحدي الهادف إلى الكفاح من أجل حرية وكرامة ورفاهية شعبنا. إن المشروع السياسي الجديد، يطمح إلى تمثيل كافة الآراء والحساسيات التي تعبر عن مختلف مكونات المجتمع الصحراوي، والتي لا تجد نفسها ممثلة في مواقف وممارسات البوليساريو، ومشاريعها السياسية أو منطلقاتها وخلفياتها الإيديولوجية.

ويتعلق الأمر طبعا، بتجربة غير مسبوقة، تكسر النموذج الشمولي والراديكالي القديم للبوليساريو، وتزرع في المجتمع الصحراوي ثقافة التنوع السياسي والتعددية الحزبية التي افتقر إليها كثيرا للوصول إلى مستوى تقدم وحداثة القرن الواحد والعشري، هذه الحركة تراهن على الحلول السلمية، وتطمح إلى احتلال مكانتها المستحقة كمرجع سياسي جديد متحفز بإرادة صادقة للتأثير إيجابيا والمشاركة انطلاقا من رؤى مغايرة في البحث عن حل متوافق عليه، دائم من شأنه أن ينهي مشكل الصحراء الغربية.

وبهذا الخصوص فحركة "صحراويون من أجل السلام" ستحيط علما بهذه المستجدات، كل الأطراف المعنية بصفة مباشرة أو غير مباشرة: الأمم المتحدة، الإتحاد الإفريقي، الإتحاد الأوروبي، إسبانيا، المملكة المغربية، الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجزائر، موريتانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية...

بالنسبة ل "صحراويون من أجل السلام"، فإن تسوية النزاع الذي ولعقود، لا تزال عملية السلام رهينة له، يقف عقبة دون تحقيق اندماج وتنمية شعوب المغرب العربي، هذه التسوية، نراها ضرورة تاريخية، من شأنها أن تفتح المجال لدخول مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، تعود بفائدتها على الشعب الصحراوي وبقية شعوب المنطقة، كما ينبغي أن تسمح بإعادة فتح الحدود وإزالة جدار الصحراء الغربية، وتخصيص جزء من النفقات العسكرية لرفاهية الشعوب، إلى جانب مكافحة الإرهاب وشبكات التهريب والجريمة المنظمة. لهذا يجب أن يكون الحل نتيجة اتفاق سياسي بين الأطراف، بضمانات دولية، ويتضمن خيارات تقرير المصير، كما يجب التفكير في خطة لإعادة الإعمار الشامل، مشاريع تنموية وإنشاء بنى تحتية اقتصادية واجتماعية، كما يشمل عودة اللاجئين الصحراويين في ظروف تضمن لهم الحرية والكرامة.

من بين المبادئ والقيم التي تؤمن بها الحركة السياسية "صحراويون من اجل السلام"، المرافعة عن التعايش، قيم المساواة، والتوزيع العادل للثروة، بالإضافة إلى حماية الحقوق الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسكان.

شعار الحركة سيكون: سلام، عدالة، وفاق.

وتعتزم الحركة السياسية الجديدة، تنظيم أول ملتقى أو مؤتمر لها في فترة لا تتجاوز ال 24 شهرا.

ستتكفل لجنة سياسية تتكون من 13 عضوا، بالتسيير والقيادة خلال هذه المرحلة الانتقالية، هذه اللجنة ستختار بين أعضائها سكرتير أول يتولى التخطيط والإشراف مؤقتا على شؤون "صحراويون من أجل السلام" بالتنسيق مع بقية أعضاء اللجنة السياسية. كما سيعتمد السكرتير الأول كذلك على توصيات لجنة برنامج العمل المؤقت إبلاغ الأطراف المعنية والمهتمة بالملف عن ميلاد الحركة.

وضع خطة شاملة وتنفيذها، للتعريف بالمولود الجديد وربط علاقات بالحكومات والمؤسسات وكذلك القوى السياسية الأجنبية ومواكبة تطورات مخطط السلام الأممي، والمساهمة في بلورة حل سلمي، دائم وعادل لنزاع الصحراء الغربية.

تنظيم عملية تأطير واسعة للصحراويين الراغبين في الانضمام للحركة.

إيفاد ممثلين عن الحركة إلى مختلف أماكن تواجد الصحراويين بداخل الإقليم وخارجه، وتنظيم لقاءات تواصلية للتعريف ببرنامج الحركة وبرؤيتها وأهدافها."

البيان السياسي للمؤتمر التأسيسي لحركة صحراويون من أجل السلام في 3 أكتوبر 2020

بعد ستة أشهر تقريبا من الإعلان عن تأسيسها من خلال نشر بيانها التأسيسي، تمكنت حركة "صحراويون من أجل السلام" من ترسيخ وجودها لدى الصحراويين في إقليم الصحراء الغربية، مخيمات اللاجئين في تندوف، والبلدان المجاورة. وعرفت هذه الحركة الجديدة قفزة نوعية بالتزامن مع الاستعدادات لتنظيم مؤتمرها الأول ونشر هياكلها التنظيمية.

وقد نظمت الحركة اجتماعات ومحاضرات وحلقات دراسية عديدة في الميدان وعلى شبكة التواصل الاجتماعي لشرح المبادئ والأهداف السياسية للحركة، خاصة قدرتها على التأثير إيجابيا في مجرى الأحداث.

وكانت المناسبة مواتية لتغيير العديد من الانتماءات، لاسيما بين الشباب والنساء،

وهذا يبين التأثير الكبير والقبول الكبير للمشروع في لحظة تاريخية تزداد فيها الاضطرابات تجاه جبهة البوليساريو بسبب نموذجها الشمولي، وعدم قدرتها على التكيف مع العصر الجديد، وأخطائها التي لا تحصى في إدارة القضية الصحراوية.

وفي وقت قياسي وظروف صعبة اتسمت بفرض حالة الطوارئ الصحية جراء تفشي فيروس كورونا، تمكنت الحركة من إقناع عدد كبير من المجتمع الصحراوي للانضمام إليها كحركة ديمقراطية منفتحة على الحوار والمناقشات والأفكار والبدائل من أجل الخروج من المأزق الحالي بفضل البراغماتية والاعتدال والقدرة على استيعاب تيارات الرؤى المختلفة والحساسيات المتنوعة. إذ نجحت خطتها الاستراتيجية في ترسيخ نفسها باعتبارها الطريق الثالث الذي طال انتظاره، والقادر على التغلب على الإحباط السائد وتمهيد الطريق نحو حل نهائي لمشكل الصحراء الغربية.

حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

من بين الالتزامات التي تعهدت بها الحركة في مؤتمرها التأسيسي، نذكر الدفاع عبر الوسائل السلمية عن حقوق الصحراويين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

تعد حركة "صحراويون من أجل السلام" بلعب دور قيادي لبناء مجتمع ديمقراطي خال من عواقب التخلف والعمل الجاد لتحقيق التنمية وتعزيز التقدم ورفاهية العيش. ونشر ثقافة التسامح والتضامن وحسن الجوار والوئام والعدالة كمفاتيح للسلام والأمن في بيئتنا الجغرافية. وأخيرا، العمل على تكامل دول وشعوب المغرب الكبير بما يساهم في تقارب السياسات الهادفة إلى تخفيف التوتر والحفاظ على الاستقرار وتعزيز التكامل الاقتصادي.

وكما هو معروف، أشرفت الأمم المتحدة منذ عام 1991 على خطط مختلفة لإيجاد حل سلمي مقبول للطرفين وفقاً للقرارات الدولية دون تحقيق تقدم ملحوظ على مدى العقود الثلاثة الماضية. حتى الآن، شارك ستة أمناء عامين وعشرات من الوسطاء في الملف، بعضهم يتمتع بمكانة وخبرة لا جدال فيها مثل جيمس بيكر، وزير الخارجية الأمريكي السابق والرئيس الألماني السابق، هورست كوهلر.

قبل ذلك، تدخلت منظمة الوحدة الإفريقية، سلف الاتحاد الأفريقي، والتي تخلت عن هذا الملف بعد عقد العديد من القمم المصغرة ومجالس الحكماء التي باءت كلها بالفشل.

التشخيص لا يترك مجالا للشك. فقد فقدت قضية الصحراء الغربية ومصائب شعبها اهتمام المنظمات الدولية.

بغض النظر عن التهاون المبرر أو غير المبرر للمجتمع الدولي، فإن الحقيقة هي أن الشعب الصحراوي هو الضحية الرئيسية لشلل عملية السلام. لا يمكننا أن ننسى أن جزءًا مهمًا من شعبنا عانى الكثير لمدة 47 عامًا في مخيمات اللاجئين وسط هشاشة وأوجه قصور وحرمان من أبسط حقوقه.

في حين يعيش جزء آخر في الأراضي الصحراوية التي يديرها المغرب في انتظار حل نهائي ينهي وضعية الشك هذه. وعليه حان الوقت لأن ننتقل إلى حلول واقعية تمكن من توحيد شعبنا وتضمن لكل صحراوي ممارسة حقوقه والتزاماته كمواطن حقيقي وليس كمنبوذ.

في خضم هذه الظروف المعقدة والصعبة، ظهرت حركة "صحراويون من أجل السلام" لإعادة الأمل لشعبنا وإخراجه من الوهم وتوجيهه نحو مستقبل أفضل، في محاولة لتصحيح الانجراف والكارثة التي قادتنا إليها القيادة السياسية للبوليساريو.

وتماشيا مع التزام 22 أبريل 2020، والعزم على الترويج والعمل من أجل إيجاد حل مشرف وكريم لشعبنا، قررت الحركة بالإجماع في مؤتمرها التأسيسي وضع اقتراح لحل سياسي واقعي وقابل لإنهاء مشكل الصحراء الغربية والدفاع عنه أمام الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية، من خلال صيغة تقوم على إنشاء كيان صحراوي له حكومته الخاصة القادرة على توفير وضمان الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للصحراويين. هذا الأخير يجب عليه أن يتوافق مع معايير تقرير المصير المنصوص عليها من قبل الهيئات الدولية. إذ سيوفر نظامًا سياسيًا ديمقراطيًا متعدد الأحزاب يتمحور حول سلطة تنفيذية ومجلس تشريعي وسلطة قضائية لها علاقات خاصة مع المملكة المغربية من خلال قانون خاص. وسيحدد نظامه الأساسي الوضع النهائي للإقليم، من خلال الحوار المباشر أو الوساطة الدولية.

كقرار سام لمؤتمرهم الأول، قرر المناضلون وقادة حركة "صحراويون من أجل السلام" العمل على صياغة مشروع هذا الحل بصفة تشاركية كخطوة أولى نحو الاتجاه الصحيح تزامنا مع لحظة تاريخية حساسة وحاسمة بشكل خاص للقضية الصحراوية. لذلك نناشد أعضاء القيادة السياسية للبوليساريو، ليس فقط كجماعة بل بشكل فردي، الانضمام إلى المبادرة وعدم إضاعة هذه الفرصة.

كما نخاطب الملك محمد السادس استحضار المسؤولية التاريخية للمغرب والتزامه بمصالح وآمال شعوب المغرب العربي. ونناشد حكومتي الجزائر وموريتانيا، أن تنضما إلى هذه الديناميكية وأن تساهما في إنجاحها. كما نطالب الأمين العام للأمم المتحدة والدول الأعضاء في مجموعة أصدقاء الصحراء الغربية في مجلس الأمن أن يشجعوا ويؤيدوا هذه الفرصة الجديدة للسلام والاستقرار في شمال غرب أفريقيا.

فمن حق الصحراويين طي الصفحة حتى يطلع فجر جديد بعد ليلة طويلة من المنفى، ويتغلبوا على مضاعفات وصدمات الحرب، ويشاركوا في عمليات التحول والتنمية لشعوب المنطقة والعالم. إن مناضلي وقادة الحركة مصممون على النضال بكل طاقتهم لتحقيق هذا الحلم.

وندعو شعبنا الصحراوي إلى عدم الانخداع بوعود وهمية طالت نصف قرن من الزمن والانضمام إلى حركتنا لتحقيق أهدافنا ورسم مستقبل واعد.

البيان الختامي للمؤتمر العام التأسيسي لحركة "صحراويون من أجل السلام" في 3 أكتوبر 2020

بعد مضي يومين على افتتاحه، اختتمت عشية اليوم السبت 3 من أكتوبر 2020 أشغال المؤتمر العام التأسيسي لحركة "صحراويون من أجل السلام"، حيث شهدت مناقشات مطولة توجت بالمصادقة على الوثائق الرئيسية، كالقانون الأساسي، برنامج عمل الحركة وبيانها السياسي، إلى جانب انتخاب القيادة السياسية الجديدة وهياكل الحركة التنظيمية.

وشارك في المؤتمر التأسيسي المنظم عبر الانترنت 150 مندوبا يمثلون المئات من أعضاء الحركة المشاركين في المؤتمرات الفرعية والندوات التحضيرية لمؤتمرها العام، التي نظمت خلال الأسابيع الماضية : مؤتمر فرع الحركة بواد الذهب المنعقد بمدينة الداخلة، مؤتمر فرعي الحركة بالساقية الحمراء ووادنون المنعقد بمدينة العيون، ومؤتمر فرع الحركة بأوروبا

حركة «صحراويون من أجل السلام»

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

والمنعقد بمدينة تولوز، بالإضافة إلى المندوبين الذين يمثلون مخيمات اللاجئين الصحراويين والجاليات.

وتطرقت جلسات الأشغال إلى مراحل الإعداد لمؤتمر الحركة العام، حيث أشارت التقارير والمداخلات المقدمة إلى اللقاءات التحسيسية والتأطيرية العديدة التي نظمتها فروع ولجان "صحراويون من أجل السلام" التأسيسية، والتي حضرها منتسبو الحركة والمتعاطفون معها، ليتناولوا التوصيات التي أصدرتها المؤتمرات الفرعية، كما عرجوا على مختلف الخطوات التي دشنتها هيئات الحركة التحضيرية في الفترة ما بين الإعلان عن بيانها التأسيسي في 22 من أبريل الماضي، وتاريخ انعقاد مؤتمرها الأول في 3 من الشهر الجاري، لينوهوا بحجم الانجازات التي حققتها في المرحلة التأسيسية.

كما تناول المشاركون مرحلة التهييء لمؤتمر الحركة الأول وظروف المرحلة السياسية الإقليمية والدولية التي جاءت فيها "صحراويون من أجل السلام"، إلى جانب الصعوبات الناجمة عن جائحة كورونا، حيث أشادوا بأداء هياكل الحركة التحضيرية، خاصة النجاح الباهر لمؤتمراتها الفرعية، و مستوى التنظيم والحشد الذي حققته، بالإضافة إلى انتشارها ووصولها إلى كافة تواجدات الصحراويين، والتعاطي والزخم السياسي والإعلامي الكبيرين الذين واكباها، وهو ما ترجمه، بحسب المؤتمرين، الإقبال الكبير للصحراويين على الحركة من مختلف الفئات والشرائح المجتمعية، والأعداد الكبيرة لطلبات الانخراط المتزايدة، والتي تتوصل بها جميع فروع الحركة وتنسيقياتها.

وأعربت «صحراويون من أجل السلام» من خلال مخرجات مؤتمرها الأول عن استعدادها للمشاركة والمساهمة الفعالة في المجهودات للبحث عن حل توافقي وقابل للتطبيق، ينهي الصراع الذي قارب النصف قرن من الزمن، والذي لا يزال الشعب الصحراوي يدفع ثمن تبعاته الكارثية، كما أكدت الحركة على إرادتها في الدفاع عن حقوق الصحراويين السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، لتجدد تبنيها لقيم الديمقراطية والتعددية السياسية، ومبادئ حقوق الإنسان، وفي مقدمتها العدالة، المساواة والتوزيع العادل للثروة، بما يؤسس لبناء مجتمع حضاري وديمقراطي، بعيدا عن تأثيرات التخلف من تمييز وإقصاء.

ووجه المؤتمرون نداء إلى جميع الصحراويين في كافة مناطق تواجداتهم للانضمام إلى مشروع الحركة السياسي، لأجل الدفع بالعملية السياسية، وإنجاح جهودها الرامية إلى التوصل لحل سلمي ونهائي للنزاع يضمن حقوق الشعب الصحراوي وينهي مأساته.

وفي هذا الصدد طالب المشاركون في المؤتمر قيادة البوليساريو بالقيام بإجراءات واضحة وملموسة لجبر الضرر المادي والمعنوي الذي لحق ضحايا قمعها، كما دعوا السلطات المغربية إلى إطلاق سراح المعتقلين الصحراويين وعلى رأسهم مجموعة كديم إيزيك.

كما دعا المؤتمرون قيادة البوليساريو وجميع الحركات والتيارات والهيئات السياسية الصحراوية الأخرى، لتدشين حوار سياسي قصد التوصل لاستراتيجية تشاركية من أجل البحث عن حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق، يضمن للصحراويين غدا أفضل.

وفي ختام أشغال المؤتمر، تمت تزكية الحاج أحمد باريكلا كسكرتير أول، وانتخاب 53 عضوا في اللجنة المركزية للحركة، والمصادقة على مقترح تعيين اللجنة السياسية المتكونة من 11 عضوا، والمكلفة بتسيير هياكل الحركة الى حين انعقاد مؤتمرها القادم.

وكلّف المندوبون المشاركون في مؤتمر "صحراويون من أجل السلام" الأول، القيادة الجديدة بتكثيف الجهود لأجل تحقيق انتشار أوسع للحركة، وتقوية تواجدها في الخارج، كما قرروا بعث رسائل إلى كل الدول والجهات المعنية والمهتمة بمشكل الصحراء الغربية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، مطالبين بتفعيل العملية السياسية ودعم توجهات الحركة ومقاربتها العقلانية والمعتدلة لحل هذا المشكل الذي عمّر طويلا.

حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

نص الحوار الذي أجرته جريدة الطريق :

الطريق : باعتباركم أحد أعضاء الهيئة التحضيرية لحركة "صحراويون من أجل السلام"، كيف تقيمون المرحلة التأسيسية التي استمرت قرابة الستة أشهر، قبل تنظيم مؤتمركم التأسيسي، خاصة في ظل هذه الأجواء الصحية الاستثنائية التي تشهدها بلدان المنطقة والعالم؟

القيادي إسماعيل الليلي : قياسا لبرنامج العمل الذي أعلنا عنه في بياننا التأسيسي، أظن أننا وفقنا في الوفاء بكافة الالتزامات التي تعهدنا بها، ونجحنا في اجتياز مرحلتنا التأسيسية، فرغم حملات التخوين والشيطنة الكبيرة التي تعرضنا لها، فقد دشنا حملة تعريف واسعة بالحركة في الإعلام المحلي والدولي، وعقدنا العديد من اللقاءات الصحفية مع كبريات الصحف والوكالات، ونظمنا حملات تحسيس وتأطير واسعة، في كافة أماكن تواجد الصحراويين بداخل الإقليم وبالخارج، فضلا عن مراسلتنا للجهات والأطراف المعنية بنزاع الصحراء الغربية، وتنزيل هياكل الحركة التنظيمية وتعبئة وتأطير الأعداد الغفيرة من الصحراويين الذين عبروا عن رغبتهم في الانخراط فيها، قبل أن نتوج المرحلة التأسيسية بتنظيم المؤتمرات الفرعية والمؤتمر العام. ببساطة لقد حققنا زخما سياسيا معتبرا، وساهمنا في تحريك المياه الراكدة للنزاع، بما يخدم المساعي الرامية إلى حله مستقبلا، بالرغم من التحديات الهائلة التي واجهتنا، أقلها الظروف الخاصة التي ظهرت فيها الحركة، والتي تميزت بانتشار جائحة كورونا والإجراءات الاحترازية التي رافقتها، إلى جانب مختلف أشكال التهجمات التي طالتنا. لقد كان رهاننا على زرع ثقافة الديمقراطية في المجتمع الصحراوي وتكريس ثقافة التعددية السياسية، من خلال التمرن والتمرس على المشاركة السياسية، بما يؤسس لبناء مجتمع حضاري وديمقراطي، بعيدا عن تأثيرات التخلف من تمييز وإقصاء.

الطريق : تروج أنباء عن اعتراض بعض أعضاء الحركة على مخرجات مؤتمركم التأسيسي، خاصة بمدينة الداخلة، ما تعليقكم؟

القيادي إسماعيل الليلي: في اعتقادي من الطبيعي في أي تنظيم سياسي يتبنى قيم الديمقراطية ويحاول تكريسها، أن يحتضن توجهات وآراء مختلفة، لقد شهدنا اعتراضات على بعض المخرجات، وتصويتا بالرفض وتحفظا أيضا، وهو أمر طبيعي وصحي في أي تنظيم سياسي. فمنذ الإعلان عن بياننا التأسيسي،صرحنابتبنينالخيار الديمقراطي، وبترحيبنا بكافة الآراء و التوجهات والتيارات السياسية المعبر عنها في المجتمع الصحراوي. فنحن لسنا تنظيما ستالينيا حتى نفرض نمطا وحيدا من التفكير والممارسة السياسية.

الآراء الرافضة لبعض مخرجات المؤتمر لا تزال مرحب بها في الحركة، وسنسعى الى بلورة آليات لمعالجة كل الاعتراضات في داخل هياكل الحركة في المستقبل القريب، كما سنناضل لأجل تكريس الممارسة الديمقراطية التي تتعايش داخلها مختلف التوجهات.

الطريق : في معظم التحليلات التي تناولت الحركة، تتم مقارنتكم مع مجموعة قليلة من التجارب السياسية التي ظهرت بالصحراء، في مقدمتها طبعا البوليساريو والحراكات التي ظهرت داخلها. ما الذي يميزكم عن تلك التجارب؟

القيادي إسماعيل الليلي: لتقييم التجارب السياسية الصحراوية، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي طبعت إقليم الصحراء الغربية طيلة النصف قرن الأخير، أو حتى ما قبل ذلك، فالإقليم حديث عهد بالتمدن وبالتالي بالممارسة السياسية، والاستعمار الإسباني حكم الاقليم من خلال نمط شمولي فاشستي كان قد انتهجه الدكتاتورفرانشيسكو فرنكو منذ الحرب الاسبانية، وحتى مع ظهور البوليساريو بداية سبعينيات القرن الماضي، فقد كرست نفس النمط الستاليني حيث فرضت نظام الحزب الواحد على الصحراويين الخاضعين لسلطتها، مستعينة بآلة دعائية ضخمة وبخطاب حماسي يستهدف العواطف قبل أي شيء آخر، دون أن تتمكن من التأقلم مع متطلبات العصر.

في هذا السياق جاءت حركة «صحراويون من أجل السلام» نتيجة فشل محاولات سابقة للإصلاح والتغيير داخل البوليساريو، وبالتالي فالحركة كإطار سياسي جديد تقطع

حركة «صحراويون من أجل السلام»

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

مع كل تلك التجارب والممارسات الاستبدادية والاستئصالية التي انتهجتها البوليساريو والتي عمقت من معاناة الصحراويين وكرست مأساتهم.

الطريق : هل تقيمون تطورات ملف النزاع بنفس النظرة الواقعية؟

القيادي إسماعيل الليلي: أظن أن أي متابع لتطورات الملف، لن يختلف معنا في كون النزاع يشهد تراجعا كبيرا على مستوى الحضور الإعلامي والسياسي، لاسيما في أروقة المنظمات والهيئات الدولية، فكما هو معروف فقد شارك في المساعي الرامية الى حله أكثر من ستة أمناء عامين للأمم المتحدة، إلى جانب العشرات من الوسطاء الدوليين، اصطدموا جميعا بتعقيدات وصعوبات الملف، وباءت جهودهم بالفشل، فضلا عن العديد من المنظمات الدولية الأخرى التي لاقت تدخلاتها نفس المصير.

في نهاية الأمر فالضحية هم الصحراويون بالدرجة الأولى، والذين لا يزالون يدفعون ثمن التبعات المهولة لهذا النزاع الذي عمر أكثر من اللازم، حيث تعيش فئات عريضة منهم على وقع اللجوء والشتات والهشاشة الاجتماعية.

الطريق : بالنظر إلى مخرجات مؤتمركم التأسيسي، خاصة الشعار الذي تم اعتماده، يبدو التركيز على «رؤية سياسية واقعية» تقدمونها لحل النزاع، ما مضمونها تحديدا؟

القيادي إسماعيل الليلي: بالنظر إلى الجمود والركود اللذين لا يزال نزاع الصحراء الغربية حبيسا لهما، فقد اعتمدنا رؤية سياسية مختلفة عن ما هو موجود في الساحة السياسية، فمن السهولة بمكان رصد حالة تباعد وجهات النظر المعبر عنها من أطراف النزاع، فضلا عن الاستقطاب الإقليمي والدولي الذي يلقي بظلاله على مواقف المتدخلين في الملف. من هنا كان لابد للحركة من الخروج بطرح سياسي جديد ومختلف.

بالنسبة لنا فالحل السياسي ينبغي أن يكون سلميا وواقعيا، ويأخذ بعين الاعتبار حقوق ومصالح الأطراف جميعا، لكنه يستحضر أيضا الاهتمامات المعبر عنها من طرف الصحراويين أنفسهم، خاصة حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويضمن للصحراويين وجود كيان سياسي ديمقراطي، تحدد تفاصيله القانونية والدستورية بصفة تشاركية، يساهم من خلالها كافة المتدخلين في صياغة مخرجاتها، وفي مقدمتهم المغرب بصفته يتواجد في القسم الأكبر من الإقليم، إلى جانب ممثلي المجتمع الصحراوي بصفته المعني المباشر بالنزاع طبعا.

الطريق : إلى جانب عضويتك للجنة المركزية في الحركة، تم تعيينك كمسؤول للجنة الشباب أيضا، كيف تقيمون مستوى الانتشار والتعاطي مع الحركة من طرف هذه الفئة العمرية التي تشكل غالبية المجتمع الصحراوي؟

القيادي إسماعيل الليلي: لا يخفى عليك التأثيرات الخطيرة لنصف قرن من الحروب والاستقطاب السياسي، لقد واجهنا تبعات الخطاب الدعائي التحريضي الذي أثر في فئات واسعة من الصحراويين، لاسيما المنتمين لفئة الشباب منهم، لكننا تمكنا من بلورة وتطوير خطاب سياسي متزن، يخاطب العقول قبل القلوب، ويجيب عن كافة الاهتمامات المعبر عنها من طرف الصحراويين. إن زمن الدعاية والبروباغاند قد ولى إلى غير رجعة. اليوم المجتمع الصحراوي يزخر بالكفاءات والأطر والمثقفين، الذين كانوا يبحثون عن طرح عقلاني يعالج الإشكالات التي يعيش على وقعها الإقليم، بدل توظيف الشعارات والمزايدات. لقد مل الشباب الخطابات الحماسية التي لا تغني ولا تسمن من جوع، وباتوا يبحثون عن خطاب عقلاني يستجيب لتطلعاتهم، وهو ما جسدته حركة «صحراويون من أجل السلام» بالنسبة للكثير منهم.

الطريق : كلمة أخيرة توجهونها إلى قراء جريدة الطريق وإلى النخب السياسية والثقافية؟

القيادي إسماعيل الليلي: أظن أنه آن الأوان للنخب في أطراف النزاع وفي كافة البلدان المغاربية أن تأخذ بزمام المبادرة. فمن العار أن يقف المجتمع المدني في بلدان المنطقة مكتوف الأيدي أمام هذه المأساة التي يعيشها اللاجئون الصحراويون في المخيمات مثلا. علينا أيضا أن نتجاوز عُقَد الماضي، وأن نفتح صفحة جديدة نكرس من خلالها عهد الحرية والكرامة للصحراويين ولكافة مجتمعات المنطقة.

اليوم المجتمع المدني والنخب السياسية مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالانخراط في كافة الجهود الرامية الى حل الخلافات السياسية التي لم يعد هناك أي مسوغ لاستمرارها، والتي تكبد بلدان المنطقة خسائر وتداعيات اقتصادية لا مجال لحصرها، في هذا السياق تحديدا ظهرت حركة «صحراويون من أجل السلام» لتمد يدها لكافة الشركاء الرسميين والمدنيين، الذين ننتظر تفهمهم ودعمهم لطرحنا العقلاني الطموح والجاد، والذي يروم تحقيق مستقبل أفضل للصحراويين ولشعوب ومجتمعات المنطقة جميعا.

حوار مع عائشة الدويهي

رئيسة مرصد الصحراء للسلم والديمقراطية وحقوق الإنسان

ماذا يقع في مخيمات البوليساريو بتندوف ؟

الطريق : عرفت مخيمات تندوف خلال الأشهر الأخيرة العديد من الوقفات والاحتجاجات.. هل يمكن اعتبار هذا انفتاحا في حرية التعبير والرأي أم هو بسبب ارتفاع وتيرة قمع المعارضين لقيادة البوليساريو أم بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية؟

عائشة الدويهي : منذ إحداث مخيمات تندوف بالجنوب الغربي للجزائر، لا زالت وضعية حقوق الإنسان تعرف ترديا بسبب فرض حالة من الطوارئ والاستنفار الأمني في المخيمات ومحيطها وتشديد المراقبة بحجة مواجهة الإرهاب؛ بمنع كل مظاهر التظاهر والاحتجاج كما أنها صادرت الحق في حرية التعبير للأصوات المخالفة لتوجهات القيادة، ولمن أراد أن ينتقد أوضاع المخيمات بما فيها اللسان الصحفي، كما أنها انتهكت الحق في التأسيس باستثناء بعض التنظيمات الموازية.

ورغم أن تنظيم البوليساريو اعترف بوقوع انتهاكات لحقوق الإنسان في الماضي، لكنه لم يقدم معطيات أو معلومات واضحة حول أعمال تكرار حالات الاختفاء القسري والاختطافات والقتل خارج نطاق القانون أو بإجراءات موجزة، والتعذيب في مراكز الاحتجاز وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.

صحيح أن قيادة البوليساريو استطاعت لمدة أكثر من أربعة عقود أن تحكم قبضتها على الفضاء العمومي؛ إلا أنها قد تراكمت العديد من الأحداث الاجتماعية والسياسية، الشيء الذي أدى إلى تأزم الأوضاع الاحتجاجية بمخيمات تندوف بمقاربة أمنية مشددة؛ هذه الأحداث المتواترة بشكل غير مسبوق، نبه لها أيضا الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره/أكتوبر 2019: "عن وقوع عدة مظاهرات في مخيمات اللاجئين" بتندوف بالجزائر والناتجة عن العديد من الأسباب، لكن يبقى على رأسها عدم تكافؤ الفرص ما بين أفراد ساكنة المخيمات للنفاذ إلى الحقوق الأساسية والاستفادة من المساعدات الإنسانية، وانعدام الآفاق، وهو الوضع السائد على نطاق واسع في صفوف الشباب بالمخيمات، حيث تؤدي محدودية فرص العمل إلى تراكم الإحباط وتوليد الشعور بالعجز. وهو الوضع الذي أنتج حراكا غير مسبوق بين الشباب من ساكنة المخيمات.

هذا الوضع الذي شكل لدى العديد ممن سئموه، حافزا للانتفاض في وجه القيادة، فسكان المخيمات لم يعودوا يتكلمون سرا، بل تحول الوضع إلى حركات احتجاجية أصبحت تستهدف القيادة.

حتى أنه، وأمام هاته الجائحة التي أبرزت الأهمية القصوى للترابط الأساسي بين الأسر البشرية والتي تسابقت فيها مختلف البلدان الى تقديم كل الدعم لمن يرابطون في الصفوف الأمامية، فاجأتنا قيادة البوليساريو، بالتزامن وتسجيل أول أربع حالات إصابة مؤكدة بفيروس كورونا، بقيام قواتها الأمنية بمضايقة واعتقال وإساءة معاملة أطباء وممرضين بل وحتى بعض الصحفيين والمدونين، وهو ما أشار إليه تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المرفوع إلى مجلس الأمن الأخير، بعدما انتظموا في إضرابهم عن العمل نتيجة لعدم توفر الشروط الملائمة للعمل وتنديدهم بما يصفونه متاجرة قيادة الجبهة بهم سياسيا بعيدا عن واقع القطاع الصحي، وترويجها لمعطيات مغلوطة حوله في محاولة لتهدئة الرأي العام بالمخيمات.

الطريق : قامت قوات البوليساريو مؤخرا بالعديد من الاعتقالات والاختطافات في حق محتجين ونشطاء بالمخيمات، ومنهم مدونون وصحفيون.. هل هي حالات معزولة أم انه أسلوب ممنهج لقيادة البوليساريو تجاه المعارضين لسياستها؟

عائشة الدويهي : إن استمرار تضييق الخناق على المدافعين عن حقوق الإنسان المخالفين لرؤية التنظيم ووصمهم بالخيانة، أمر شائع في أوساط مسؤولي قيادة البوليساريو ومساعديهم.

ومن حالات ملاحقة المدافعين عن حقوق الإنسان ومضايقتهم، ما تعرض له مصطفى سلمة ولد سيدي مولود، وبعض أعضاء الحركات الإصلاحية: أعضاء حركة خط الشهيد، وحركة 5 مارس، حركة شباب التغيير، المبادرة الصحراوية من أجل التغيير؛ كما تعرض الدكتور الخليل أحمد بريه، أحد مؤسسي وعضو قيادة تنظيم جبهة البوليساريو، للاختفاء القسري بالجزائر منذ مطلع 2009 بسبب إبداء آراءه المنتقدة لقيادة البوليساريو.

وتبقى قضية المعتقلين الثلاثة الصحفي مولاي آب بوزيد، والمدافع عن حقوق الإنسان الفاضل ابريكة والمدون محمود زيدان، أهم ما طبع هذه السنة فيما يخص الأعمال الانتقامية تجاه المدافعين عن حقوق الإنسان بمخيمات تندوف، كما ذكر في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المقدم لمجلس الأمن لسنة 2019 و2020.

حوار مع عائشة الدويهي

رئيسة مرصد الصحراء للسلم والديمقراطية وحقوق الإنسان

ماذا يقع في مخيمات البوليساريو بتندوف ؟

الطريق : كيف تقيمون داخل المرصد حصيلة عقود من الممارسات المخالفة لحقوق الانسان في حق مدنيين وعسكريين في المخيمات؟

عائشة الدويهي : لقد ارتكبت الأجهزة الأمنية الجزائرية وتنظيم البوليساريو انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، على خلفية النزاع حول الصحراء؛ حيث ضلت آليات الإنصاف الجزائرية تنأى بنفسها عن تناول أو بحث أي ملف يتعلق بانتهاكات مورست ضد ساكنة مخيمات تندوف، باعتبارها السلطة المناط بها التحقيق في جميع الانتهاكات التي ترتكب داخل نطاقها الترابي. كما ظل تنظيم البوليساريو الذي فرضته السلطات الجزائرية؛ للقيام بدورها في إدارة شؤون المخيمات؛ خلافاً لما تنص عليه قواعد القانون الدولي؛ متمتعاً بحصانة وحماية الدولة المضيفة مهما بلغت جسامة الانتهاكات التي يرتكبها، وبعيداً عن رقابة آليات الأمم المتحدة اللاجئين، والبرتوكول الخاص بوضع اللاجئين، حيث أن الحرمان من صفة لاجئ لمن استقر بالمخيمات لمدة أكثر من أربعة عقود، هو حرمان مباشر من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية.

الطريق : هل تعتبرين أن رقابة آليات الامم المتحدة المعنية بحماية حقوق الانسان بالإضافة الى رقابة المنظمات الدولية والبعثات ذات الصلة كافية لضمان حماية ساكنة المخيمات من الإجراءات والأعمال التي تضرب حقوق الانسان كما هو متعارف عليها دوليا؟

عائشة الدويهي : للأسف، بعد أزيد من أربعة عقود، لازال تنظيم البوليساريو مجالا منغلقا على ذاته ومنفلتا من كل رقابة دولية؛ فلا زالت الدول الأعضاء المكونة للفريق العامل المعني بالاستعراض الدوري الشامل تطالب البلد المضيف دولة الجزائر بالرد إيجابا ودون تأخير على طلبات الزيارة التي يقدمها خبراء وآليات حقوق الإنسان التابعين للأمم المتحدة، بالمقابل تصر الجزائر بأنها تتعاون تعاونا تاما مع الإجراءات الخاصة التابعة لمجلس حقوق الإنسان؛ وهي التي تتجاهل طلبات الزيارة التي قدمت إليها من طرف الإجراءات الخاصة لمجلس حقوق الانسان؛ فلا زال الفريق العامل المعني بالاختفاء القسري، حتى الآن، لم يحقق الزيارة التي طلبها منذ سنة 2000، رغم التذكيرات المتوالية. كما لم ترد الجزائر على الطلبات المعلقة لزيارات المقرر الخاص المعني بمسألة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة والمقرر الخاص المعني بالحق في حرية التجمع السلمي وتكوين الجمعيات...

كما أن دولة الجزائر ترفض بشكل قاطع زيارات المنظمات الدولية لحقوق الإنسان والبعثات البحثية؛ فرغم حث المقرر الخاص المعني بالحق في حرية الرأي والتعبير الحكومة الجزائرية على «السماح لأعضاء المنظمات الدولية لحقوق الإنسان بدخول الجزائر للقيام بأنشطتها المشروعة، في ممارسة حقهم في حرية الرأي والتعبير»؛ فقد رفضت الجزائر زيارة منظمة العفو الدولية، وزيارة الشبكة الأورو-متوسطية. كما يعمد البلد المضيف لتنظيم البوليساريو الى الحظر المنهج لزيارات المنظمات الدولية لحماية حقوق الإنسان إلى مخيمات تندوف. حيث ترفض دولة الجزائر بشدة زيارات المنظمات غير الحكومية الإقليمية والدولية إلى المخيمات، وبالتالي تمنع أي تحقيق في الجرائم المرتكبة.

للأسف، فهذا الرفض للتعاون مع آليات الرقابة الدولية يؤثر سلبا على تنفيذ القرارات الصادرة عن هذه الآليات.

الطريق : ماهي استراتيجية المرصد لتسليط الضوء على ما يقع بالمخيمات من تضييق وانتهاكات؟ وكيف تترافعون في واقع الحقوق والحريات في المخيمات؟

عائشة الدويهي : إن رصد ما يقع داخل مخيمات تندوف، ليس بالأمر الهين، وخصوصا أن تنظيم البوليساريو بمخيمات تندوف بالجزائر ما يزال مجالا منغلقا على ذاته، بالرغم من الجرائم والانتهاكات الجسيمة التي ارتكبها منذ تأسيسه وضاعفها سنة 1988؛ هذا بالإضافة إلى رفض دولة الجزائر التعاون مع آليات الرقابة الدولية والحظر المنهجي الذي تمارسه على زيارات المنظمات غير الحكومية الإقليمية والدولية لحماية حقوق الإنسان إلى مخيمات تندوف. ورغم إكراهات الرصد الميداني؛ فمرصد الصحراء للسلم المعنية بحماية حقوق الإنسان.

فبالرغم من كون البلد المضيف يروج لخطاب "اللاجئين الصحراويين" دوليا، فإن دولة الجزائر ترفض الإقرار لساكنة مخيمات تندوف بصفة لاجئ، وإعمال الحقوق المترتبة عن ذلك، وفاء بالتزاماتها المترتبة عن تصديقها على الاتفاقية الخاصة بوضع

تلاعبات خطيرة من طرف حكام البوليساريو بالمساعدات الدولية لمخيمات تندوف

حوار مع عائشة الدويهي

رئيسة مرصد الصحراء للسلم والديمقراطية وحقوق الإنسان

ماذا يقع في مخيمات البوليساريو بتندوف ؟

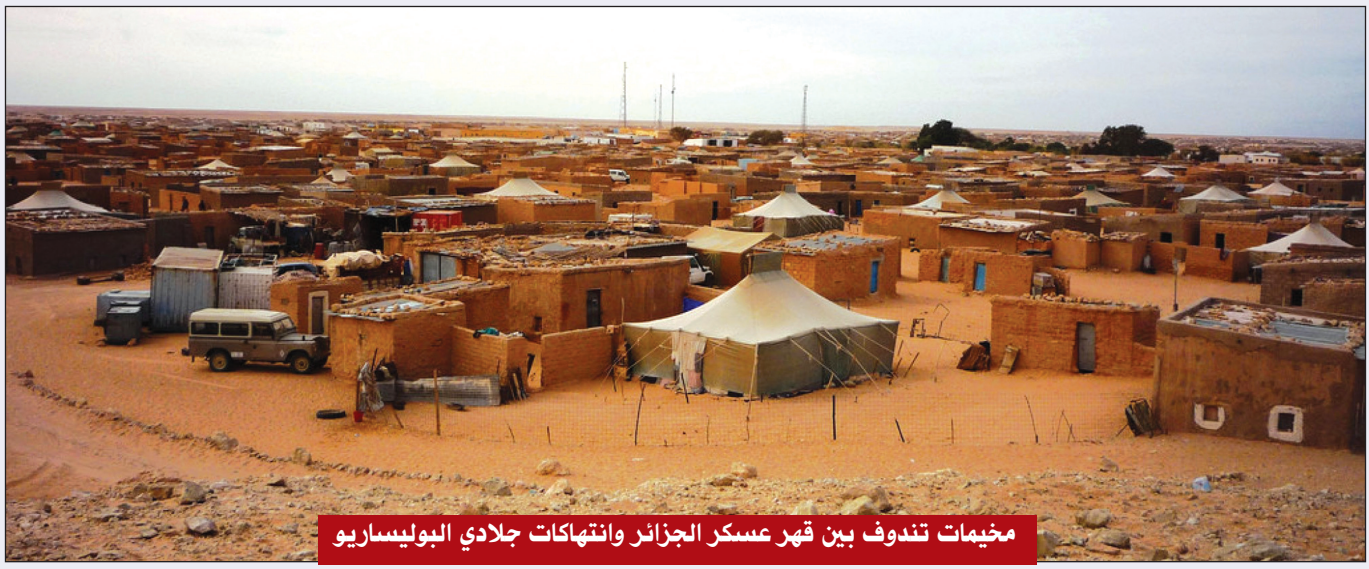

مخيمات تندوف بين قهر عسكر الجزائر وانتهاكات جلادي البوليساريو

والديمقراطية وحقوق الإنسان؛ باعتباره آلية تركب بين الرصد الميداني والتفكير المسنود بالأبحاث والدراسات من أجل رصد الأوضاع في علاقة بالأمن والديمقراطية وحقوق الإنسان بمنطقة الساحل والصحراء؛ يقوم بمتابعة وضعية حقوق الإنسان في مخيمات تندوف في الجنوب الغربي للجزائر في عديد المحطات؛ جاعلا من الرصد والترافع أحد أهم آلياته في العمل بإنجاز التقارير والأوراق البحثية التي يترافع بواسطتها أمام الآليات الأممية: بالتفاعل مع الهيئات المنشأة بموجب الميثاق من خلال تقديم تقارير لآلية الاستعراض الدوري الشامل والترافع أمام الإجراءات الخاصة لمجلس حقوق الانسان عبر إفادات كتابية أو شفهية أو من خلال أوراق بحثية يتم تقديمها للمقررين الخواص والفرق العاملة أو لدى الدول؛ كما أن المرصد، وعلاقة بنفس الموضوع، يترافع أمام هيئات المعاهدات بتقديم تقارير موازية للجنة المعنية بحقوق الانسان حول وضعية الحقوق المدنية والسياسية بمخيمات تندوف.

حيث يستند مرصد الصحراء في إنجاز تقاريره وأوراقه البحثية على:

- المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وعلى بعض التقارير الدولية والأممية؛
- التقارير التي ينجزها مرصد الصحراء أو بعض مكونات النسيج المدني للحقوق والحريات الذي يعد مرصد الصحراء عضوا فيه؛
- الشهادات والإفادات والبلاغات التي يجمعها أعضاء المرصد؛
- الملخص الأسبوعي، للأحداث ذات الصلة بحقوق الإنسان بمخيمات تندوف، الذي يقوم المرصد بتجميعه؛
- أيضا من خلال متابعته لمجموعة الآراء عبر الخرجات الإعلامية أو بعض التدوينات، للنشطاء، المحتجين، المدونين أو الضحايا، على مواقع التواصل الاجتماعي أو من خلال بعض التعبيرات الفردية وهي توثق لبعض الأحداث أو تقوم بردود تعليقات حول أحداث معينة أو من خلال البيانات الصادرة عن الضحايا أو ذويهم أو التغطية الإعلامية للأحداث بمخيمات تندوف.

الطريق : في نظرك، هل يمكن أن تساعد الإجابة عن سؤال التنمية في الاجابة عن سؤال حقوق الانسان في الصحراء؟

عائشة الدويهي : يجب الإشارة أولا الى أنه منذ عام 1975 وخاصة مع إغلاق الأبواب، تنامي الطلب على تسريع وتيرة التنمية، فالاستعمار الاسباني لم يستثمر في المنطقة ليعمل المغرب على مد المنطقة بشبكة المياه والكهرباء والصرف الصحي والاتصالات وشبكة الطرق والموانئ البنية التحتية..؛ كما عرفت وتيرة الاستثمار بالمنطقة تباطؤا نظرا للإقصاء من الاستثمار الخارجي ومن التعاون الدولي، فالمنطقة معتمدة بالأساس على الاستثمار الداخلي.

وبما أن الحقوق المدنية والسياسية لا يمكن أن تتطور وتجد ضمانات لحمايتها إلا في إطار بيئة تكفل حقوق الساكنة في التمتع بالعيش الكريم؛ وهو الاتجاه الذي بدأ مع المبادرات ذات الصلة بمشاريع التنمية البشرية، وتعمق مع المقاربة المبنية على الحقوق.

حيث أن تبني المغرب لمقاربة مندمجة، أفضى إلى إعداد نموذج تنموي للأقاليم الجنوبية، الذي يعد بمثابة وثيقة مرجعية مبنية على تشخيص موضوعي وجريء للسياسة التنموية، وخطة عملية موجهة لإعمال كافة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية لساكنة هذه الأقاليم.

تدابير كان لها وقع كبير على مقاربة تسيير الشأن العام وإطلاق الجهوية المتقدمة سنة 2015 تكون قاطرتها هي الأقاليم الجنوبية، من خلال رصد أكثر من 77 مليار درهم كميزانية للنموذج التنموي الجديد الذي يعتمد على التكامل المنشود بين الديمقراطية التشاركية والسياسية.

لذلك فنحن واعون بأهمية دورنا المراقب كفاعل مدني في التأثير على درجة الحكامة في تدبير الشأن المحلي من قبل المسؤولين، وأهمية إعداد التقارير الخاصة بالتدبير والمشاركة؛ لكننا لا زلنا نحتاج الى المزيد من إنضاج الوعي بحجم مسؤولية المراقبة؛ كما أن الدولة يجب تكون متيقظة لوضع الآليات لتعزيز التنفيذ الفعال لمستويات التنمية والحكامة الجيدة مع ربط المسؤولية بالمحاسبة.

• سدي علي ماء العينين -
باحث في الشؤون الصحراوية

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

منذ استرجاع منطقة صحراء الجنوب المغربي وعودتها إلى حظيرة الوطن، حرصت السلطات العمومية على توسيع وتدعيم نطاق اندماج هذه الجهات مع مجموع جهات المملكة. اندماج تأخر بحكم السنوات الفاصلة بين استقلال المغرب وتنظيم المسيرة الخضراء، واتسم بالتوجس والبحث عن انتماء المجال إلى المغرب أكثر منه كسب قلوب ساكنة المجال وإشعارها بالانتماء.

فقد عرفت سنة 1975 حدثا مهما في تاريخ الدولة المغربية تمثل في استرجاعها لأقاليمها الجنوبية التي كانت تعاني من ضعف حاد على مستوى التجهيزات التحتية، كانت هذه اللحظة بمثابة الانطلاقة الحقيقية لتنمية اقتصادية واجتماعية أعلن المغرب بموجبها نيته في الإصلاح واستدراك الركب التنموي في المنطقة.

لقد عانى المجال لسنوات طوال من الاضطهاد الاستعماري ومن بعده فترات من الإهمال واللامبالاة بعد التحاق صحراء الجنوب المغربي بالوطن الأم، غير منكرين لبعض المجهودات التي بدلتها المؤسسات المحلية وحتى المبادرات الحكومية المتفاوتة وبعض الجهود المحمودة التي قامت بها بعض الجامعات ومراكز البحث العلمي أو بعض المؤسسات أو بعض الجمعيات الثقافية أو بعض الباحثين.

من ناحية ثانية حاول المستعمر الأجنبي فصل المغرب عن جذوره المغذية الضاربة في القارة الإفريقية منذ قرون عدة، والتي تبرز الطابع الإفريقي التقليدي للمغرب.

لقد قامت الدولة بإنجاز ضخم في هذه المنطقة. وذلك بشهادة الجميع بما فيهم الملاحظون الأجانب. واعتبارا للظروف المناخية والجغرافية، وظروف البعد، قد يكون الخلل الذي أصاب التنمية في الصحراء كونها لم تبدأ مع بداية مخططات ما بعد الاستقلال بحكم الوضعية السياسية بالصحراء، وكذا تأخر استقلالها عن تاريخ استقلال المغرب، حيث أن هذه البرامج بدأت بعد المسيرة الخضراء، لكنها كانت برامج استثنائية حاولت بالسرعة والتسرع إلحاق الصحراء تنمويا بالمغرب لخلق التوازن المجالي المطلوب . ويمكننا القول بأن المغرب نجح في وضع سياسة تعتبر نموذجا للتنمية في وسط صحراوي. لكن ذلك لم يتم بصورة جيدة وربما بسبب الحرب لم يتم بشكل مسترسل مما أسهم في الوقوع في العديد من الاختلالات.

لم تسعف وضعية المجال الصحراوي المغرب بعد الاستقلال من استعادة هذه العلاقات التي كانت بين المجال الصحراوي و باقي جهات المملكة كاملة والتي نجح المستعمر في فصلها بسبب طبيعة النزاع حول المجال الذي أخذ أبعادا خارجية تمثلت في التكتلات الإفريقية مع أو ضد الوحدة الترابية للمغرب، وهو الوضع الذي صححه المغرب تدريجيا فمنذ 1975، وهكذا عبر سنوات ما بعد وقف إطلاق النار في بداية التسعينات حيث يبدو جليا أن الأعمال والبرامج المنجزة في هذه المنطقة قد مكنت من بث روح جديدة في التيارات والمبادلات القائمة بين شمال المغرب وجنوبه.

ينبغي التمييز بين عدة خطوات في السياسة التنموية المتبعة من طرف السلطات العمومية. فقد عرفت الخطوة الأولى إقامة البنيات الإدارية، وتميزت الخطوة الثانية بإحداث وزارة مكلفة بالشؤون الصحراوية من قبل الملك الراحل الحسن الثاني، في حين تعتبر الخطوة الثالثة مرحلة التنمية.

مرت هذه الخطوات عبر ثلاث مراحل أساسية تحكمت فيها ظروف خاصة، وهي كالآتي:

- تميزت المرحلة الأولى (1976 - 1985) بطغيان الهامش الإثني وضبط المجال الترابي وإحصاء السكان، كما أن المنطقة كانت تتزود بكل احتياجاتها من المنطقة الشمالية من أطر وعمال وتجهيزات واحتياجات أساسية (دحمان 24:42). حيث لم تعرف المنطقة في هذه المرحلة تحولات كبيرة وشاملة بل ركزت على توطين البدو والعمل على ضمان أمنهم بسبب حرب العصابات التي كانت تدور رحاها بين المغرب والبوليساريو، فكانت هذه الحرب تركز على التحكم في الطرق ولم يكن من الممكن مباشرة أي عمل تنموي أو الدخول في مشاريع استثمارية في المنطقة بسبب التوتر السياسي العسكري، كما أن هذه الظروف التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة لم تكن لتسمح بتوطين البدو بالقرب من مصادر الثروة المحلية وفق إرادة السكان، بل كان على شكل توطين قسري دفع بالرحل إلى التخلي عن تربية الماشية ورعي الإبل تحت ضغط الجفاف والحرب.

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

• سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية

- أما المرحلة الثانية (1985 - 2000) فتميزت بمباشرة أعمال مهمة بالمنطقة من أهمها مد طرق معبدة، ومطارات وموانئ وتوفير وسائل النقل العمومي وبناء مشاريع سكنية وبناء الجدار الأمني، مما وسع مجالات التنمية الرعوية، زيادة على تنامي الصناعات التحويلية المحلية كالفوسفاط، وصناعة الملح (دحمان 2004: 43).

- المرحلة الثالثة (2000 - 2004) سيجد الملاحظ اليوم لمستوى التطور الحضري الذي عرفته المراكز الحضرية في الأقاليم الجنوبية أنها أصبحت تتوفر على جميع شروط المدينة في كل مظاهر الحياة التي تتوفر في الجهات الشمالية للمغرب، بالإضافة إلى انخراط الدولة في أوراش تنموية كبرى في إطار جهود وسياسة اللامركزية واللاتمركز والحكامة الجيدة. صاحبت هذه المساعي التنموية، تحولات اجتماعية عميقة. وهكذا لم تعد أنشطة السكان تنحصر في حياة الترحال بل أصبح عدد المقاولين بينهم يتزايد يوما عن يوم، وذلك في فترة لا تزيد عن عشر سنوات إلا قليلا. وليس من المستبعد أن يصبح في يوم ما هؤلاء المقاولون رجال صناعة مغامرين وديناميكيين.

قد سجلنا بالفعل نتائج مشجعة في هذا الصدد: فقد قام العشرات من المقاولين المحليين بإقامة مشاريع صناعية ممولة بالاشتراك مع مقاولين من شمال المغرب. وأعطت هذه الشركات نتائج مثمرة، حيث تمكنت من اكتساب تكنولوجيا عصرية وتنمية تقنيات جديدة، سيما في ميدان الصيد البحري الذي يوفر رصيدا هائلا على صعيد الاستثمار والتعاون. وبشكل أشمل بين المغرب والبلدان المجاورة. دينامية اقتصادية وعلاقات أفقية وعمودية كان للبعد الثقافي فيها حضور كبير، واستطاع المجال الصحراوي ولو بشكل متعثر أن يجد إيقاع النسق الذي يفرضه الحاضر وبذلك يتحقق الاندماج تدريجيا.

إن المجال الصحراوي يتوفر على مؤهلات طبيعية هائلة (الصيد البحري، الفوسفاط، الرمال، الفلاحة..) بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي من خلال قربه من جزر الكناري وأهمية الموارد البشرية بما في ذلك تاريخه العريق وغنى معارفه المحلية (الصناعة التقليدية، العادات والتقاليد...) مع وجود دينامية للفاعلين المنتخبين ومؤسسات المجتمع مدني، كل هذه المكونات تتفاعل على أرضية صلبة قاعدتها المجال الجغرافي للمنطقة.

إلا أن تفاعل هذه العناصر ينقصه الدور الوظيفي، من هنا يظهر أن النموذج التنموي يلزمه التنسيق بين مختلف الفاعلين إضافة إلى احتضان المجتمع وتنميته بكل مكوناته الحضارية والتي تقتضي تنمية المجال وإدماجه وفق سياسة مواطنة لتكافئ الفرص وامتصاص الفوارق الاجتماعية المجالية.

إن اختزال حاجيات العنصر البشري في المنشآت والبنى التحتية دون الإنصات إلى انتظاراته وطبيعة ذهنيته هو ما يجعل أي تنمية اقتصادية دون تنمية بشرية هو إهدار لفرص التنمية وإغراق للمجال في اختلالات أصبحت بنيوية وكرست فوارق تحتاج لمجهود مضاعف لاجتثاثها.

إن المنشآت والبنى التحتية لا تنفصل عن الإنسان الذي يتحرك فيها. والعمل على خلق التوازن الواجب بينهما هو الكفيل بتحقيق مساعي التنمية القادرة على مواكبة التغيرات الحاصلة في المجتمع هذه المتغيرات التي يمكن تحديدها في ثلاث مستويات أولية:

- أولا: تراجع الثقافة التقليدية وإحلال الثقافة الحديثة، حيث تعتبر الأولى حاملة لقيم معيقة لعملية التنمية في المفهوم الخاطئ للتنمية، لكنها في العمق تعتبرها موجها للحفاظ على الهوية واستثمارا للتراكم التاريخي، وهذا لا يتحقق إلا بالأخذ بعين الاعتبار أن الثقافة التقليدية أو التراث هو جزء حي في الحاضر وأن تطوره لا يلغي وجوده بقدر ما يقدمه بصيغ تلائم الحاضر وتستشرف المستقبل.

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

• سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية

- ثانيا: تراجع المؤسسات التقليدية (القبيلة) وإحلال مؤسسات حديثة مكانها. والتنمية مطالبة أثناء تنزيلها الأخذ بعين الاعتبار هذا المكون الأساسي في المجتمع والذي بنى في سيرورته كيان المجتمع، ولازال مرجعا أساسيا في الإجابة على أسئلة الحاضر وأن المؤسسات الحديثة ليست لإلغاء البعد القبلي، ولكن لإغنائه حتى تتمكن الساكنة من الأندماج السلس في المجتمع الكبير وهو المغرب.

- ثالثا: استبدال الاقتصاد التقليدي بالاقتصاد الحديث؛ فبرسم الحدود يكون من الصعب العمل بنظام القوافل التجارية والعملات القديمة، والتنمية هي عملية تطوير وتحديث لهه التجارة بما يتناسب مع تحولات العصر والقوانين الدولية المنظمة للمعاملات التجارية مع السعي لإفساح الطريق أمام نسق صناعي تكنولوجي متقدم. لقد كان هذا المنهج صائبا لأنه يخدم تفعيل نموذج هوية متعددة المشارب والروافد ومتجذرة في الماضي بنفس قدرتها على استشراف المستقبل والتي يعتبر الشق الحساني أحد أعمدتها الرئيسية.

تحقق هذا المنهج وتنزيل هذا التوجه يشترط مقاربة مرتكزة على استحضار أهمية الحفاظ على الخصوصية مع مسايرة منطق التطور. وهي عملية كلما كانت ميكانيكية كلما أفرزت وضعا مشوها هجينا لا هو نابع من تلك الخصوصية ولا هو مجسد بوعي لتحولات الواقع.

إن عملية التنمية هي عملية تغير اجتماعي وهي بالتالي عملية صراع ثقافي بين مركز مدبر وفرع يستفيد من الوضع ويبحث عن مكان لثقافته فيه، إنها جدلية التطور في نهاية التحليل...

إن فكرة تنمية مجال من مجالات المغرب هو عملية حتمية تنبعث من رغبة النخبة الحاكمة في خلق التوازن الواجب بين مختلف المجالات المكونة للتراب الوطني مع الحرص على تكاملها وانسجامها، لأن الدولة ونخبتها الحاكمة إذا تبنت إيديولوجيات تنموية غير متناسبة مع ثقافة المجتمع، فإن ذلك يؤدي إلى إجهاض متكرر لعملية التنمية؛ وهو ما حصل بمجتمع الصحراء حيث برزت في بدايات تنزيل المخططات التنموية بالمجال الصحراوي أربع ظواهر، هي:

- سلبية المجتمع وانفصاله عن الدولة ومخططاتها بسبب غياب المقاربة التشاركية واعتماد مخططات بشكل آلي صادرة من المركز دون بدل جهد لمحاولة فهم المجتمع المحلي وذهنيته، ما أدى إلى افتقاد الدولة إلى القدرة على تفعيل المجتمع لتحقيق التنمية، وهو ما ولد ظواهر سلبية لعل أبرزها ارتباطا مع الوضعية السياسية للمجال، تغذية النزعة الانفصالية التي غلفت المطالب الاجتماعية.

- فرض إيديولوجية تنموية غريبة على المجتمع تؤدي إلى انقسامه إلى تيارين : أحدهما يتبنى تلك الإيديولوجية ويدافع عنها لأنه لصيق بالنخبة وله مصالح مشتركة معها، والآخر يرفضها ويقاومها ويتمسك بالتقاليد المتوارثة. وهذا بدوره يغذي الفوارق بين القبائل والتفرقة بين أبناء القبيلة الواحدة بين منخرط ومعارض لهذه التنمية لأنه لا يجد فيها مصالحه.

- تشويه البناء الاجتماعي وإفقاده الوجهة والاتجاه نتيجة الصراع الثقافي الداخلي الناجم عن الانتقال من إيديولوجية تنموية إلى أخرى، ما يدفع المجتمع والدولة إلى حالة من الارتباك والحركة في إطار ردود الأفعال وإدارة الأزمات أكثر من الحركة ضمن رؤية حضارية تربط الحاضر بالمستقبل مسترشدة بتجربة الماضي.

- إهدار الطاقات ومصادرة المستقبل؛ حيث يفقد المجتمع فرصة النمو مرتين؛ واحدة عندما تخلى عن توظيف إمكاناته لإحداث التنمية في ظل ثقافته الأصلية، والأخرى عندما تشوهت نظم المجتمع وهياكله مع تبني تنمية غريبة عنه وغير ملائمة له. وهذا يصعب على المجتمع تنظيم نفسه لاستئناف مساره التاريخي صوب المستقبل، لأنه سيحتاج إلى سنوات قد تطول لتجاوز الآثار السلبية المترتبة على كون المجتمع حقلا للتجارب ومعملا لاختبار خطط وبرامج تنموية متناقضة.

على هذا المستوى إذن ينبغي تشخيص التناقض الرئيسي الذي يرتبط حاله بإستراتيجية التنمية بالمجال الصحراوي، تناقض بين ضرورة فتح المجال الصحراوي أمام جميع المغاربة كجهة بين الجهات، وتحقيق تنمية مجالية في المنشآت والطرقات والإنارة والماء الصالح للشرب وغيرها

أشغال الطريق السريع تيزنيت - الداخلة

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

• سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية

من ضروريات الحياة المدنية.
وتناقض بين التمسك باطنا بنظام قبلي وعلنا بنظام مؤسساتي وخلق توليفة بينهما تفرغ العمليات السياسية من معناها وتفرز حالة لا انسجام بين مكونات المجتمع حيث العلائق في المجال يصيبها الاختلال، وتنتج عنها ظواهر هامشية تتغذى بنزوعات التطرف والانفصال، بدل القوى الاجتماعية التي لها مصلحة في القضاء على الاستغلال والتبعية والتخلف. مما يحتم بناء الإنسان عبر صيانة تراثه وجعله في قلب التنمية المحلية، تنمية تزاوج بين الإنسان بخصوصياته الثقافية وبين ما ينجز في المجال من منشآت دون الإيمان الخاطئ بأن تنمية المجال تنعكس تلقائيا على تنمية الإنسان.
إن التنمية السائدة تقدم البنية التحتية والمنشآت بمثابة «النجاعة التنموية» وأن الدعوة إلى ما هو تراث مطلب «غير معقلن» وهذا منطلق خاطئ لأن الموروث هو الذي يفسر سلوك الإنسان في علائقه المجالية، بل إدماجه في التنمية هو الحل للأزمة العامة التي يعاني منها المجال منذ خروج المستعمر، والتهميش الذي يمارس عليه في إطار نظام «المجال أولى من الإنسان» هو الذي يعمق أزمة عدم الإندماج لدى ساكنة الصحراء، ويجعلها تهرب إلى موروثها القديم بحثا عن الذات.
إن قراءة متأنية للمخططات التنموية التي اتبعت بالأقاليم الجنوبية منذ ما بعد رحيل المستعمر وفي بداية التسعينات مع وقف إطلاق النار بالصحراء تعكس بجلاء غياب مقاربة تنموية تعطي الأولوية لتنمية الإنسان الصحراوي عبر الاهتمام بهويته وخصوصيته المحلية وجعل ثقافته وتراثه وخاصة عاداته وتقاليده في صلب العملية التنموية. و هو ما كانت له آثار وخيمة على ساكنة الصحراء و التي دفعت بالشباب منهم إلى معاكسة الدولة بتبني أطروحات انفصالية ظاهرها الانفصال وباطنها السخط على الأوضاع الاجتماعية. وهو ما يعطينا الانطباع أن هذه المخططات لم تتعامل مع هذا التراث والثقافة كثروة مجتمعية بمختلف أشكالها ومكوناتها، بل تم الاكتفاء بالتعامل معها بشكل فلكلوري على مدى عقود من البرامج التنموية المجربة بالمجال التي لم تراوح في مقاربتها تخصيص الاعتمادات لتقوية الجانب الاقتصادي وحسن تدبير خيرات المجال بشكل يغيب فيه عمق الإنسان المحلي و هويته و طباعه وحاجياته الاجتماعية. وهو ما يجعلنا نقر بتحقق تنمية اقتصادية بعيدا عن الجوانب الثقافية والاجتماعية التي تعتبر صلب التنمية.
إن الرهان على التنمية الاقتصادية دون شراكة مع التنمية البشرية المحلية، ودون الارتكاز على المحددات الوجدانية والثقافية والوطنية، قد جعل المجال الصحراوي يعيش مفارقة صارخة حيث أن عملية تشييد المدن قد تمت على أنقاض المؤسسات التقليدية للمجتمع الصحراوي وأدى ذلك إلى غياب الروح في هذه المنشآت التي لم تحترم الخصوصيات المحلية، فالمغرب نجح بالفعل في تشييد مدن بالكامل بين الرمال إلا أنه فشل في تكوين الإنسان الصحراوي الوحدوي.
إذا كان التحول حتميا فإنه لا يجب أن يكون تحولا في اتجاه دفن الماضي وإقبار الخصوصية. لكنه يجب أن يعكس منظومة تطور أساسها الانتقال السلس من وضع إلى أخر، وكلاهما في خدمة الإنسان وحسن استثمار مجال الثقافة كي تبقى حية في مجال يشترط أن تكون فيه كل المخططات والبرامج والتوجهات محكومة بخلفية تلك الثقافة، لأن ذلك هو ما يمكن الإنسان حامل هذه الثقافة من الانخراط العفوي في تلك المخططات، لأنه ببساطة يجد نفسه فيها ويدرك بفطرته أنها حتمية للتطور وشرط للاستمرارية، هذا أمر ممكن عاشته أقوام ومرت منه مجتمعات وأعطت النموذج على التعايش والتكامل بين الماضي والحاضر وذلك عبر توفير مستلزمات في الرؤيا تعد أساسية وهي :
- شروط الوعي، فلا ثقافة بدون وعي عقلي موضوعي وعلمي، ولا يكون ذلك سوى بتحقيق بعدين على الأقل لذلك الوعي:
شرط القصدية: وهي أن تكون التنمية ذات هدف وقصد، ذات مضمون.. يقدم خدمة للإنسان المشخص في زمكان محدد لا إنسانا مطلقا وزمكانا مجردا، وهي خدمة تستهدف تطوير وتحسين ممكناته الذاتية وإمكانيات محيطة نحو الأفيد ونحو الأجمل ونحو الأسعد.
شرط التجدد: أن تكون خلاقة وإبداعية، ترهن حياتها بالتجديد الدائم لأدواتها ومحتوياتها، مرتبطة أساسا بالمستقبل وآفاقه لا بماضي التجربة البشرية.
شرط الإنسانية: وهو ما يختصر كل ذلك، فجذورها هو الإنسان، لا أي شيء آخر، وثمارها له، الإنسان داخل الجغرافية وداخل التاريخ كما سبق القول.
يبدو أن مسودة البرنامج التنموي النموذجي للصحراء الذي أطلق مؤخرا يجب أن يترجم هذا التوجه ولا يجب الالتفات إلى أسباب تأخره منذ الاستقلال إلى اليوم بقدر ما التوجه نحو إنزاله ووضع جدولة حكيمة لإنجازه مع التخفيف من حدة البيروقراطية والمركزية التي تعتبر من أكبر معوقات التنمية المستديمة والمتوازنة محليا ووطنيا.
المشروع التنموي المقرر في الصحراء من شأنه أن يمكن من توفير الرفاه الاقتصادي والعدالة الاجتماعية والكرامة للإنسان الصحراوي المغربي وغيره من المغاربة سكان الصحراء وهو أيضا خيار استراتيجي وجيو- سياسي سوف يكون له تأثير إيجابي على علاقة المغرب بعمقه الإفريقي..
إن المؤشر في تحقق هذا التنزيل وإمكانية تحققه هو أن الجهات الجنوبية اليوم نجحت في ضمان عنصر بشري منخرط في نسيج المجتمع وهياكل الدولة ومؤهل بشواهد عليا ومستعد إن أعطيت له الفرصة أن يكون في قيادة أي مشروع تنموي والقطع مع المركزية المفرطة التي تكبل كل تطور منشود.
ما نهدف إليه ونحن نعيش تنمية فتية تسعى إلى تغيير الحياة والإحياء في المجال الصحراوي ليس إنجازا محدود المدى من قوة الأثر، وإنما بعث لأصالة هذه الجهات وبلورة لشخصيتها الحضارية وتحديدا لخط سيرها الثقافي بدل هذا التخبط بين مختلف الاتجاهات الموروثة والمجتلبة والبرامج التنموية المتعثرة. ونحن حين نتحدث عن الرجعة الواعية إلى أعماق التراث لا ننسى ما تحتاجه هذه الرجعة من حكامة في التدبير ونجاعة في وضع البرامج التنموية وحضور رئيسي للتراث والثقافة فيها. أما أن تعود إلى الماضي لتكتشف فيه العادات والتقاليد التي ضاعت خلال القرون الماضية فالغاية من ذلك أن نجعل من التراث والثقافة الشعبية المحلية عاملا في تنمية المجال ومصدر قوته الدافعة، وهذه هي بداية عهد جديد لحضارة جديدة في مغرب المستقبل.

الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذي جودة

• الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

• الدكتور مولاي بوبكر حمداني

إن إحداث الجامعة بالجهات الصحراوية تجاوزت كونها مطلبا شعبيا لساكنة هذه الأقاليم لتضحى ضرورة حتمية، تتوقف عليها كل أوراش التنوير والتنمية بالمنطقة، بما يحصن المكتسبات السابقة ويفتح آفاقا جديدة على مستوى التنمية المستدامة والمندمجة، وعلى مستوى إصلاح هياكل الجهوية المتقدمة بالأقاليم الصحراوية باعتبارها ورشا يتجاوز الترتيبات التقنية والإدارية، الى مشروع مجتمعي رسخه دستور 2011 من الاستثمار الأمثل للمؤهلات والموارد الذاتية لكل جهة بالتركيز على الرأسمال البشري كحجر الزاوية في هذا المسار.

وفي البداية أود الانطلاق من منطوق الفصل 31 الذي ينص على حق الجميع في الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذي جودة، وبتفكيك عناصر هذا النص معجميا نجد أنفسنا أمام ثلاثة مكونات للحق في التعليم، وهي أن يكون: عصريا، وميسر الولوج، وذي جودة.

والسؤال المطروح هل تحظى جهات الصحراء فعلا بتعليم عالي عصري وميسر وذي جودة؟

إن استقراء المواثيق والعهود الدولية والإقليمية؛ نجدها كلها تعتبر الحق في التعليم من الحقوق الأساسية، حيث تم النص عليه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وغيرها من مصادر القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان .بل لأهمية الحق في التعليم صارت معظم الحقوق الأخرى مرتبطة به في تعزيز التمتع بها، فبعدم وجود تعليم ميسر ومناسب لا يمكن للشخص معرفة باقي حقوقه الأخرى ولا أن يميز حالات انتهاكها ولا سبل الدفاع عنها، ولهذا السبب تم وضع مؤشرات لرصد الحق في التعليم والالتزامات الرسمية لكفالته. وأنشئت الأمم المتحدة ولاية المقرّر الخاص المعنيّ بالحق في التعليم لمعالجة هذه القضايا البالغة الأهميّة ورفع توصيات إلى الحكومات وغيرها من الجهات المعنيّة. وقد تم تعيين السيدة كومبو بولي باري في العام 2016، وهي رابع مكلف بالولاية منذ تأسيسها في العام 1998. وبنظرة أكثر تفصيلا للمواثيق والعهود الدولية والإقليمية، نجد التنصيص على الحق في التعليم ورد بداية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 دجنبر 1948، وذلك في المادة السادسة والعشرين التي نصت على أنه: « لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزاميا وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

أما العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فنص في المادة 13 على أنه « تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل فرد في التربية والتعليم، وهي متفقة على وجوب توجيه التربية والتعليم إلى الإنماء الكامل للشخصية الإنسانية والحس بكرامتها وإلى توطيد احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وهي متفقة كذلك على وجوب استهداف التربية والتعليم وتمكين كل شخص من الإسهام بدور نافع في مجتمع حر، وتوثيق أواصر التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم ومختلف الفئات السلالية أو الإثنية أو الدينية، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم. وتقر الدول الأطراف في هذا العهد بأن ضمان الممارسة التامة لهذا الحق يتطلب:

أ. جعل التعليم الابتدائي إلزاميا وإتاحته مجانا للجميع.

ب. تعميم التعليم الثانوي بمختلف أنواعه، بما في ذلك التعليم الثانوي التقني والمهني، وجعله متاحا للجميع بكافة الوسائل المناسبة ولاسيما بالأخذ تدريجيا بمجانية التعليم.

ج. جعل التعليم العالي متاحا للجميع على قدم المساواة، تبعا للكفاءة، بكافة الوسائل المناسبة ولاسيما بالأخذ تدريجيا بمجانية التعليم.

كما ورد ذكر الحق في التعليم في الكثير من المواثيق والعهود الدولية المعترف بها، مثل اتفاقية حقوق الطفل في المادة 28 وفي المادة 23 التي تتعلق بحقوق الطفل المعاق، كما ورد أيضا في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في المادة رقم 10 التي تؤكد على ضرورة التساوي في المناهج الدراسية، وفي الامتحانات، وفي مستويات مؤهلات المدرسين، وفي نوعية المرافق والمعدات الدراسية؛ والقضاء على أي مفهوم نمطي عن دور المرأة ودور الرجل في جميع مراحل التعليم بجميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم التي تساعد في تحقيق هذا الهدف، ولاسيما عن طريق تنقيح كتب الدراسة والبرامج المدرسية وتكييف أساليب التعليم، والتساوي في فرص الحصول على المنح والإعانات الدراسية الأخرى.»

وفي بادرة تبرز أهمية الحق في التعليم أقر المجتمع الدولي عند تبنيه خطة التنمية المستدامة لعام 2030، بكون التعليم ضروريا لنجاح جميع أهداف الخطة السبعة عشر، بما فيها الهدف الرابع الداعي إلى «ضمان توفير تعليم جيد وشامل وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع بحلول عام 2030.

مما سبق نخلص الى أن أهم القضايا التي وردت في النصوص الدولية هي:

1. إلزامية ومجانية التعليم الأساسي.
2. إزالة أي نوع من التمييز في الوصول للتعليم على أساس الدين أو الجنس أو اللون أو العرق.
3. جعل التعليم العالي ممكنا بقدر من العدالة والمساواة.
4. نوعية تعليم جيد تلائم روح العصر وتراعي معايير حقوق الإنسان ومبادئ العدل والسلم.

الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذي جودة

• الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

أما فيما يخص المنظومة الوطنية المؤطرة للحق في التعليم:

فقد وردت في عدة فصول من دستور 2011 بما يتلاءم تماما مع الاتفاقيات الدولية السالفة الذكر، حيث تم التنصيص على هذا الحق في التصدير والفصول: 5، 18، 19، 25، 26، 31، 32، 33، 34، 35، 71، 159، 160 ،163، 168، 169. كما ورد الحق في التعليم بصريح العبارة في فصلين هما: الفصل 31 الذي ينص على العمل لضمان «الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذي جودة»، والفصل 32 الذي يقر بأن « التعليم الأساسي حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة».

كما ورد الحق في التعليم بالخطب الملكية، خصوص خطابي ذكرى ثورة الملك والشعب لسنتي 2012 و2013، وخطاب افتتاح الدورة التشريعية الخريفية لسنة 2014.

وبالعودة الى القانون رقم 01.00 المتعلق بتنظيم التعليم العالي نجده ينص على أن التعليم العالي «يفتح في وجه جميع المواطنين المتوفرين على الشروط المطلوبة على أساس تكافؤ الفرص»، ولابد من التذكير في هذا الصدد بالتوجهات الواردة في البرنامج الحكومي الرامية الى تقريب المؤسسات الجامعية من الطلبة على المستوى الجهوي، في إطار عدالة مجالية ولو في ظل الاختلالات المطروحة، علاوة على مراجعة الترسانة القانونية للقطاع بإشراك كل المتدخلين والأساتذة الباحثين.

يتبين من القراءة المتأنية لهذه التشريعات التزام المغرب بحماية منظومتي حقوق الانسان والقانون الدولي الإنساني والنهوض بهما، وبالطابع الكوني لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية وعدم قابليتها للتجزئة أو التصرف وضرورة ضمان تمتع كل الأفراد بهذه الحقوق بشكل كامل ودون تمييز، مع ترتيب «مسؤولية الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات، على قدم المساواة، من الحق في الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذي جودة» كما نصت مقتضيات الفصل 31 من الدستور المغربي.

إلا أن المدخل التشريعي لا يحقق المرامي إذا ما لم يقترن بالتنزيل السليم، وفي نوع من دراسة الحالة نحاول التساؤل في المحور الثاني حول التعليم العالي بالأقاليم الصحراوية من ناحية الواقعية الى أي حد هو ميسر وذي جودة؟

في البداية ننطلق من تعريف كاتارينا توماشيفسكي، أول مقرر خاص معني بالحق في التعليم للأمم المتحدة، حيث طرحت سمات أربعة وهي التي اعتمدتها اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها العام رقم 13 بشأن الحق في التعليم (الفقرة 6)، مؤكدة أنه يجب أن تكون هذه السمات المترابطة والأساسية موجودة في التعليم بجميع أشكاله وعلى جميع المستويات ليكون التعليم حقا فعليا، وهذه السمات هي:

ـ **التوافر**، بمعنى أن يكون التعليم مجاني وأن توجد بنية تحتية كافية ومعلمين مؤهلين قادرين على دعم تقديم الخدمات التعليمية.

ـ **إمكانية الالتحاق**، والمقصود هو أن يكون النظام التعليمي غير متحيز ومتاح للجميع، وأن تتخذ خطوات إيجابية لتضمين أكثر الفئات تهميشا.

ـ **إمكانية القبول**، بمعنى أن يكون محتوى

الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذي جودة

• الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

التعليم وثيق الصلة بالموضوع وغير متحيز ومناسب ثقافيا، وذو جودة عالية، وأن تكون المدارس آمنة والمعلمين مهنيين.

ـ قابلية التكيف، والمقصود هو أن يتطور التعليم مع احتياجات المجتمع المتغيرة وأن يتصدى لعدم المساواة، مثل التمييز بين الجنسين؛ وأن يتكيف التعليم ليناسب احتياجات وسياقات محددة محليا.

وفي تطبيقها هذه السمات على حالة الأقاليم الصحراوية نجد أنه بقدر ما اعتبر مطلب إحداث جامعة بالجهات الصحراوي مطلبا للنخب الصحراوية في مرحلة من المراحل إلا أننا اليوم نلحظ تحوله الى مطلب شعبي لكل الساكنة ويلعب المجتمع المدني دورا حاسما في تعزيز الحق في التعليم ومساءلة الدولة عن الإيفاء بالتزاماتها به بما يتلاءم مع المعايير المعترف بها عالميا في حقوق الإنسان.

ويستفاد من مختلف تجارب البلدان التي اعتمدت الخيار الجهوي، كإحدى أسس التدبير والتسيير، ورسخته في نسيجها المؤسساتي، أن هذا التوجه لا يستقيم بدون وجود الجامعة باعتبارها آلية لإنتاج القيم الفكرية والمجتمعية وتجذيرها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ودورها في إعداد القيادات السياسية، وقادة المجتمع المدني وكذا زعماء الأحزاب السياسية وجماعات الضغط والمصالح وأطر الشركات، بالإضافة إلى تأهيل الموارد والكوادر البشرية المؤهلة.

كما يظهر من مختلف التجارب الناجحة أيضا أنه، وبصرف النظر عن نوعية السياقات الوطنية التي طبعت عمليات البناء الجهوي، فإن الجامعة أدت في كل الأحوال، إلى بروز تدريجي لنخب قادرة على تطوير الأداء المؤسساتي وتعميق المسار التنموي والتحفيز على المشاركة الواسعة في صنع القرارات، والاستجابة للطلبات المتجددة للمحيط المجتمعي، كما أدت إلى تغيير ايجابي في أنماط التنشئة السياسية وتحول أنماط الوعي، بشكل جعل الاهتمام بالقضايا المجتمعية الملموسة مقياسا أساسيا في كل تقييم للأداء العمومي.

وبالحديث عن دور الجامعة، نجدها تكتسي أهمية بالغة في مواجهة التحديات الدولية المعاصرة، والتي أشير سلفا إلى بعضها، كالأزمات الاقتصادية والتخبط السياسي، والانهيارات الأخلاقية والقانونية، وكذا غياب النزاهة والشفافية وشيوع الفساد وهدر المال العام، بالإضافة إلى تراجع مقولات الحكامة والحكم الرشيد، وغياب التوزيع العادل للموارد والثروة والمصادر الموجودة، وتفاقم المعضلات الاجتماعية من فقر وهشاشة وبطالة مقنعة.

وعندما نستحضر النمو الديموغرافي المتزايد لعدد سكان جهة العيون الساقية الحمراء، حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014، نجده بلغ 367758 نسمة، يتمركز أغلبهم بالوسط الحضري، ومعدل التمدن فيهم خلال نفس السنة يقدر ب 94 % مقابل 56,8 % على المستوى الوطني. في أربعة أقاليم هي العيون، طرفاية، بوجدور، والسمارة، و20 جماعة محلية من ضمنها خمس بلديات؛ هذا التطور ملحوظ لسكان الجهة خلال العقدين الأخيرين، دون مواكبته بالبنى التحتية المناسبة في مجال التعليم العالي، حيث انتقل من 215395 نسمة سنة 1994 إلى 316578 نسمة سنة 2004 بنسبة زيادة إجمالية قدرها 47%، ليبلغ 367758 نسمة خلال سنة2014، مسجلا نسبة زيادة إجمالية قدرها 16.16%؛ والنتائج المستقاة من الإسقاطات الديموغرافية تبين أن عدد سكان الجهة بلغ سنة 2016 حوالي 372 ألف نسمة، وستطور هذا العدد إلى 456 ألف

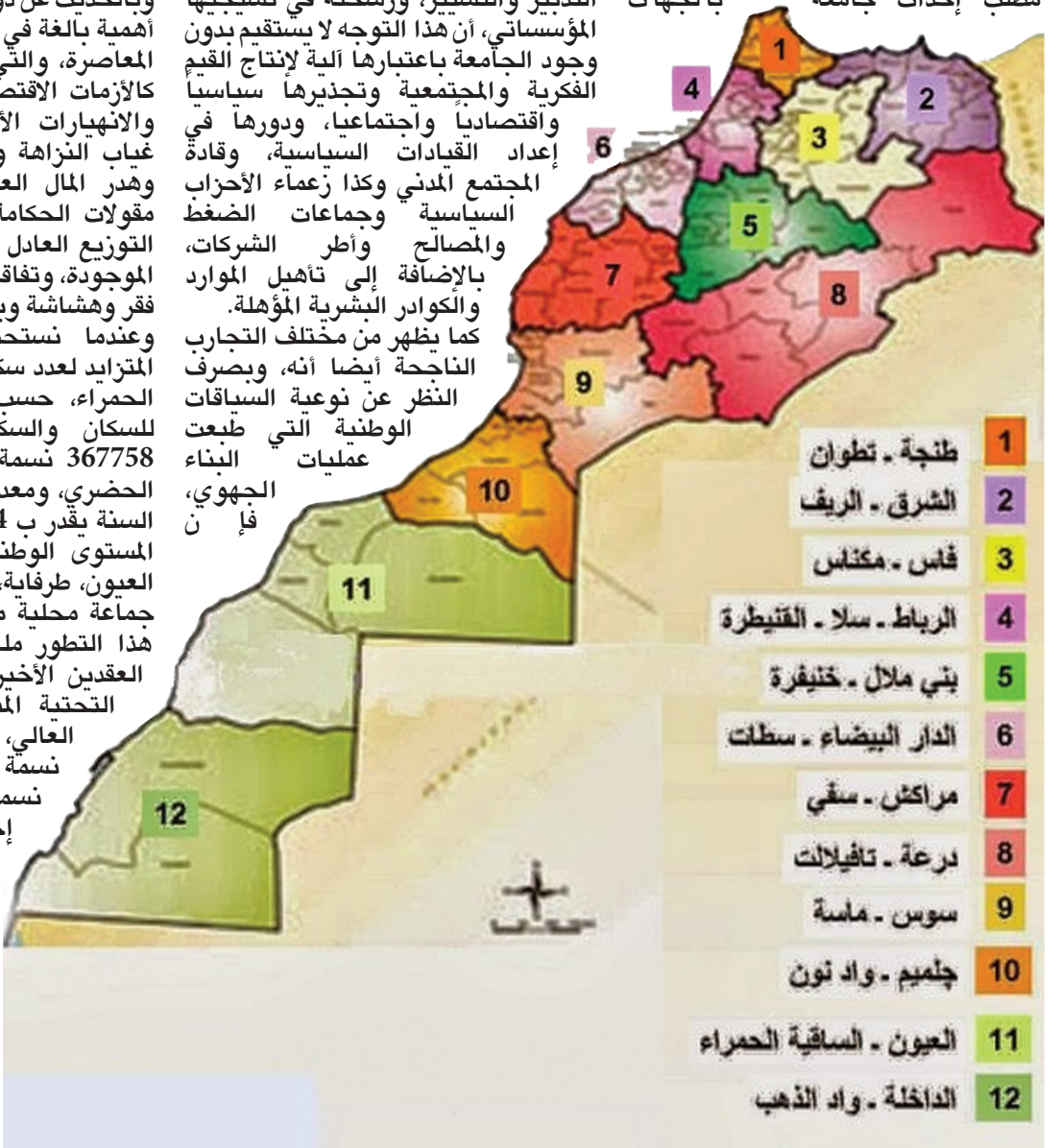

الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذي جودة

• الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

نسمة في أفق سنة 2030؛ مما سينعكس سلبا بسبب غياب الجامعة من حيث ارتفاع معدل الأمية بجهة العيون الساقية الحمراء تصاعديا حسب الفئات العمرية، والذي انتقل من 1.69 % عند أصغر فئة عمرية (14-10 سنة) ليصل ذروته عند السكان البالغين 50 سنة فما فوق (55.2%)، ويتجاوز معدل الأمية 29% عند السكان الذين تتجاوز أعمارهم 35 سنة.

ورغم توفر جهة العيون الساقية الحمراء، على البنيات التحتية الأساسية، والذي واكبه ارتفاع في عدد التلاميذ، حيث بلغ عددهم بالسلك الثانوي خلال الموسم الدراسي 2016-2017 بالجهة حوالي 13783 تلميذا وتمثل منهم الفتيات نسبة 51%، فإنها لم تواكب بتعليم عالي لهم ميسر وذي جودة.

من خلال هذه المعطيات والمؤشرات أصبح مطلب توسيع النواة الجامعية بمدينة العيون واقعيا بشكل كبير، بالنظر لتوفرها على بنيات تحتية من طرقات ونقل حضري ومطار وميناء ...، وموارد بشرية مؤهلة تتجاوز مائة دكتور في مختلف التخصصات، إلى جانب توفرها على أكبر نسبة من التلاميذ ب 62%، مقابل 19.9% بإقليم السمارة و15% بإقليم بوجدور و2.9% بإقليم طرفاية، موزعة نسبهم حسب المستوى الدراسي إلى 31% يدرسون بالجدع المشترك، و34.4% يدرسون بالسنة الأولى بكالوريا و34.4%يتابعون دراستهم بالسنة الثانية بكالوريا. في حين بلغ عدد التلاميذ الذين يتابعون دراستهم في التعليم الثانوي التأهيلي الخاص بهذا المستوى 1462 تلميذا تشكل الإناث منهم حوالي 40%.

وتجدر الإشارة الى أن الأقاليم الجنوبية بالجهات الثلاث العيون الساقية الحمراء والداخلة وادي الذهب وكلميم طانطان، والتي تشكل 59 بالمائة من التراب الوطني من حيث المساحة، لا تزال لا تتوفر على جامعة، وتتبع حاليا لنفوذ جامعة ابن زهر التي تعد أكبر جامعة من حيث شساعة الحيز الجغرافي الذي تغطيه، والممتد من الجنوب الشرقي إلى الأقاليم الجنوبية للمغرب بستة عشر مؤسسة جامعية موزعة على ثمانية مدن جامعية تنتمي إلى خمس جهات، ستستقطب منها ما يفوق 120 ألف طالب، حيث صار من الضروري تخفيف العبء عنها بإحداث جامعة بجهة العيون الساقية الحمراء باعتبارها قطبا اقتصاديا متنوعا، ومركزا إداريا متكاملا، دعم مكانته تنزيل الجهوية المتقدمة والنموذج التنموي للأقاليم الجنوبية ليتطور إلى مدار محوري يربط المغرب ببلدان إفريقيا.

من هنا نخلص إلى أن الاستحقاقات الكبرى التي ستقبل عليها المنطقة في أفق تنزيل الحكم الذاتي تستدعي لامحالة إحداث جامعة شاملة ومتكاملة لتوفير تعليم عالي وذي جودة بشكل عام، لتشجيع أبناء الأقاليم الصحراوية على الولوج للتعليم العالي على أساس تكافؤ الفرص، والإنصاف والعدالة المجالين، وضمانا للنجاعة في التحصيل الدراسي وتقليص الفوارق بين المؤسسات الجامعية ضمن عدالة مجالية طموحة، كما سيشكل مساهمة جوهرية لتدارك الهدر المدرسي والحرمان من التعليم العالي خاصة في صفوف الفتيات والنساء.

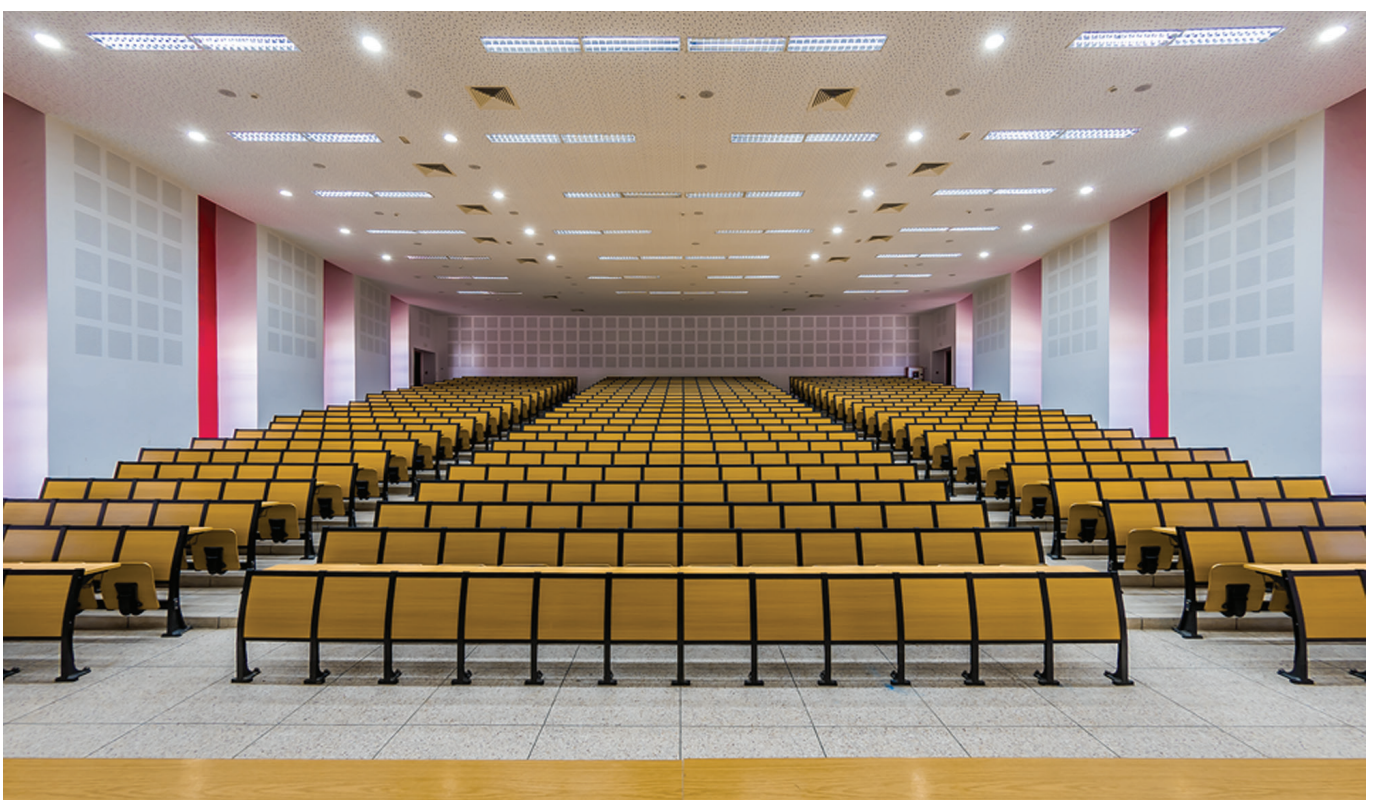

نزاع الصحراء ومسلسل المفاوضات

• فاطمة الأكحل
خريجة المعهد العالي للصحافة والإعلام

وقف إطلاق النار.. نقطة التحول..

دام الصراع المسلح بين المغرب وجبهة البوليساريو زهاء عقدين من الزمن، حصد آلاف الأرواح وأخر مسلسل التنمية في البلد، وبعد جهود حثيثة قبل الطرفان مخططا أمميا شكل محوره الأول وقف إطلاق النار في سبتمبر 1991، وهو نقطة تحول عميق.

ولسنوات حاولت الأمم المتحدة إنجاح خطتها بتنظيم استفتاء يقرر مصير الإقليم فلم تفلح، وعدا تثبيت وإدامة وقف إطلاق النار، لم تتجاوز الهيئة الأممية مستوى تحديد الهوية، ليدخل الوضع بالصحراء حالة جمود دامت سنين عديدة.

في سنة 1997 عين جيمس بيكر مبعوثا لهيئة الأمم المتحدة بالصحراء، وهو المحامي والسياسي الأمريكي المحنك ، حيث جال بالمنطقة والتقى كل الأطراف المعنية بالصراع، قدم اقتراحا جريئا تمثل في منح الإقليم وضعا دون الدولة وأكثر من مجرد الضم، غير أن ما يحسب له هو منهجية العمل التي انبنت على المفاوضات غير المباشرة بين الأطراف والبحث عن حل في إطار معادلة رابح/رابح، سيشكل نهجه وإطاره العام للحل مرجعية لمن سبقه من ممثلين للأمين العام، غير أن الجمود ولغة الرفض ظلت مهيمنة لتشمل كل مبعوث آخر في ملف الصحراء. تقدم المغرب خطوة إلى الأمام واقترح مبادرة الحكم الذاتي التي لقيت قبولا دوليا واسعا، واعتبرت لدى المحافل الدولية حلا معقولا وذا قابلية للتطبيق.

الخروج من الجمود..

تعيش قضية الصحراء حالة جمود طالت مدته في ظل إقليم متململ وعالم يعرف تحولات عميقة، ولأن بقاء الحال من المحال، لابد من مغادرة مربع الجمود هذا، بحل هذا الصراع الذي يمثل تحديا قاريا وجهويا كبيرا، وتمثل هذه القضية ثقلا بالنسبة للأطراف يتجلى في تأخر انطلاق الأوراش التنموية الكبرى بالمغرب. أما بالجزائر فقد ظهر هذا الثقل بشكل جلي في الحراك السياسي الذي طالب بفصل مشكل الصحراء عن المشكل القائم بين المغرب والجزائر، والمتمثل في إغلاق الحدود بينهما، كما أن قضية الصحراء تقف عائقا دون تغلب الإقليم على عدة تحديات منها الهجرة والإرهاب وحرب العصابات..

في أغسطس 2017 تم تعيين هورست كوهلر كمبعوث أممي جديد للمنطقة وهو رئيس ألماني سابق عرف بنجاحاته المتعددة في حل النزاعات السياسية، بدأ هذا الأخير بجولاته التفاوضية حول قضية الصراع بجمعه كل الأطراف المعنيين - المغرب وجبهة البوليساريو والجزائر وموريتانيا - وهو ما لم يقم به المبعوثون السابقون، وكان ذلك بمثابة خطوة حديثة من نوعها حيث كان لكل من موريطانيا والجزائر دور المراقب فقط.

وشهدت هذه المرحلة إصرار المغرب الصريح على مقترحه المتمثل في إقامة حكم ذاتي موسع بالصحراء، وأنه لا يمكن تقديم تنازلات في هذا الملف أكثر من ذلك، كان كوهلر ملزما أن يصوب جهوده نحو جبهة البوليساريو والجزائر، لعلهما يقدمان بعض التنازلات لتحريك الجمود في الملف، وهو ما فشل فيه، ليقدم استقالته في ماي 2019 لأسباب صحية.

وفي سنوات هذا النزاع عرف المغرب تطورات عميقة مع العهد الجديد على كل من المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من قبيل دستور2011 وإطلاق سلسلة من الأوراش الكبرى، كما عرفت بلدان الجوار والعالم العربي تغيير الأنظمة (ليبيا والجزائرومالي...)،وفي النهاية يبقى ملف الصحراء شائكا على اعتبار موقع الصحراء الذي كلما تأخر حله استدامت معه عقد المنطقة..

ممر الكركرات الاستراتيجي.. مستجدات الوضع

• مصطفى سلمة ولد مولود
ناشط حقوقي
ومعتقل سابق لدى البوليساريو

سنة 1979 وقعت موريطانيا التي كانت تربطها اتفاقية دفاع مشترك مع المغرب، اتفاق سلام مع جبهة البوليساريو من ضمن بنوده غير المعلنة تسليم إقليم وادي الذهب الذي كانت تديره موريطانيا وقتها لجبهة البوليساريو. بعد أسبوع من الاتفاق علم المغرب بتفاصيله، و بادر إلى ضم إقليم وادي الذهب بالقوة قبل حتى أن تنسحب منه موريطانيا. وتطرح قضية الكركرات حاليا إشكالية مشابهة لما وقع سنة 1979. فموريطانيا التي جعل منها اتفاق وقف إطلاق النار مراقبا للشريط الساحلي الصحراوي من منطقة الكركرات إلى نواذيبو، وبحكم أن مدينة نواذيبو هي العاصمة الاقتصادية لموريطانيا، حيث يتواجد ميناء لتصدير الحديد وأغلب قطاع الصيد البحري الموريطاني (صيد، تصدير، صناعة)، لا تريد موريطانيا أي توتر في المنطقة، ولا يخدمها وجود منافس قوي كالمغرب في منطقة لكويرة التي تتقاسم نفس البقعة الجغرافية مع مدينة نواذيبو. المغرب لم يعد صبورا أمام استفزازات البوليساريو المتكررة في منطقة الكركرات وما تشكله من تعطيل للمصالح. وقد نجح بفضل صبره في كسب المجتمع الدولي إلى صفه في هذه القضية. وصار التنصيص على احترام حرية الحركة في الكركرات من صلب تقارير الأمين العام للأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن. حيث أصبح استمرار البوليساريو وأنصارها في غلق المعبر بين الفينة والأخرى خرقا للقرارات الدولية ذات الصلة بنزاع الصحراء، و يعطي المبرر للمغرب لتمديد الجدار الدفاعي مسافة 5 كيلومترات ليصل الحدود الموريطانية، وبالتالي إحكام سلطته على كامل الشريط الساحلي من طنجة إلى لكويرة، فخطوة ضم كامل منطقة الكرارات إلى المغرب بالنسبة للبوليساريو تعني النهاية. لكن حليفتها الجزائر غير جاهزة لتمويل حرب في الظرف الراهن ولا يخدمها اشتعال فتيل في غربها مع الحرب في ليبيا و التوتر في مالي. والمغرب قادر على تحمل تبعات الكلفة الدولية مؤقتا إن أقدمت على مثل هذه الخطوة. و لا ينقصها سوى دعم الحليف الفرنسي الذي يلعب حاليا دور الحكم بينها وبين موريطانيا حتى لا تتعارض مصالح البلدين الحليفين لفرنسا في شمال افريقيا ومنطقة الساحل. موريطانيا مجبرة لحماية مصالحها على أن تلعب دور رجل المطافئ بين استفزازات البوليساريو وحزم المغرب ونفاذ صبره، لذلك تجدها تنصح قيادات البوليساريو بالتخفيف من استفزازاتهم في منطقة الكركرات، و تحاول أن تصل معهم إلى تفاهمات بهذا الشأن من خلال سلسلة اجتماعات أمنية متواصلة منذ فترة. وبالمحصلة يكون المغرب بفضل دبلوماسيته الهادئة، واشتغاله على مستوى الهيئات الدولية وكسبه موريطانيا التي باتت مصالحها مهددة في صفه، وهاته المعادلة قد أخرجت الكركرات من دائرة المزايدات، و لم يبق لقيادة البوليساريو التي أصبحت بحكم الواقع من أكبر المتضررين من الاستفزازات في معبر الكركرات، غير التباكي على أرصفة الأمم المتحدة، والتعلق بأوهام تحرير لم يعد ينسجم مع واقع 2020، تظهر الصورة بجلاء كم هو مكسب المغرب كبير من مد الحزام الدفاعي 5 كيلومترات ليصل الحدود الموريطانية، فسيصل بين طنجة ولكويرة عبر شريط ساحلي طويل غني بالأسماك، وستكون له اليد الطولى في موانئ غرب إفريقيا. على عكس موريطانيا التي سيتضرر اقتصادها بمحاصرة ميناء نواذيبو، ومشاركتها في الثروة السمكية في المنطقة التي كانت تستغلها منفردة. وسيحصل معها ما حصل مع سبتة و مليلية بعدما وسع المغرب ميناء طنجة المتوسطي. والبوليساريو والجزائر بالتأكيد آخر ما يتمنونه أن يحجب عنهم الحزام الدفاعي المغربي رياح المحيط الأطلسي.

• لحسن أوسي موح

لازالت دار لقمان بقصر المرادية على حالها

مرت لحد الآن حوالي أربعة عقود على اندلاع النزاع المفتعل في الصحراء المغربية، ورغم التغيرات التي شهدها العالم والمنطقة المغاربية، لا تزال بعض الأنظمة ومنها الجارة الشرقية الجزائر تؤيد انفصاليي البوليساريو وترفض الاعتراف بالوحدة الترابية للمغرب، بمبررات تفتقد لأساس تاريخي وقانوني وسياسي، وهو ما تسبب في استمرار مآسي بمخيمات تندوف وفي استمرار توتر العلاقات بين الجزائر والمغرب، بل أيضا في شل الوحدة المغاربية

السند المؤسس لمغربية الصحراء

في مقابل أطروحات البوليساريو المبنية على أسس واهية من قبيل «تقرير مصير الشعب الصحراوي» و«تصفية الاستعمار»، يواصل المغرب في كل المنتديات الدولية التأكيد على الأسس التاريخية والقانونية والأبعاد السياسية لمغربية الصحراء، بالتركيز على أن قضية الصحراء تتعلق بالوحدة الترابية والسيادة الوطنية للمغرب، لا بتصفية الاستعمار، وأنها لا ترجع إلى سنة 1963 أو 1975، كما تحاول الجزائر الإيحاء بذلك، ولكنها متجذرة في تاريخ المغرب وهويته،

فقبل الاستعمار الإسباني للصحراء في أواخر القرن التاسع عشر، لم تكن هذه المنطقة أبدا أرضا خلاء، وشكلت على الدوام جزءا لا يتجزأ من التراب الوطني للمغرب، وهو ما أكده الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية لسنة 1975 الذي أقر بوجود روابط البيعة بين سكان الصحراء وملوك المغرب وبسلطة المغاربة على هذه المنطقة، وكذا روابط البيعة مع السلطة المركزية للمغرب.

وحتى قبل تأسيس جبهة البوليساريو، فالمغرب وليس الجزائر أو أي بلد آخر، هو الذي أدرج قضية الصحراء في الأمم المتحدة سنة 1963 باعتبارها جزءا من أراضيه، حين كانت لا تزال خاضعة للاحتلال الإسباني على أساس أنها من الأقاليم غير المستقلة. وعندما انضم المغرب إلى منظمة الوحدة الأفريقية في نفس العام، كان الوحيد الذي عبر عن تحفظاته على مبدأ عدم المساس بالحدود الموروثة عن الحقبة الاستعمارية اقتناعا منه بشرعية مطلبه حول أراضي الصحراء.

ومنذ ذلك التاريخ، فان قرارات الأمم المتحدة، طلبت من إسبانيا تسليم الصحراء للمغرب من خلال التفاوض، وهو ما تحقق من خلال توقيع اتفاق مدريد سنة 1975 الذي تم إيداعه لدى الأمين العام للأمم المتحدة وأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة متوجة بشكل نهائي عودة الصحراء إلى الوطن الأم، المغرب.

ولحد الآن تتجاهل الجزائر الاتفاق الإطار لسنة 2001، وعرض الرئيس الجزائري السابق سنة 2001 على المبعوث الشخصي آنذاك مقترحا جزائريا بشأن تقسيم الصحراء كصيغة للحل وهو ما رفضه المغرب بشدة. ذلك ما واجه به ممثل السفير عمر هلال ممثل الجزائر في لقاء للجنة الرابعة للأمم المتحدة حين تساءل: «أين هو مبدأ تقرير المصير؟ وبأي حق يمكن أن تقترح دولة ما تقسيم دولة أخرى؟ وبأي حق يمكنها أن تقترح تقسيم السكان؟ لقد رد المغرب بأن هناك ساكنة واحدة متواجدة في الإقليم: ساكنة صحراوية مغربية، ولن يقبل المغرب أبدا تقسيمه بدعوى إيجاد حل.»

وعقب فشل جميع المخططات السابقة واستجابة لدعوة مجلس الأمن والمجتمع الدولي، تقدم المغرب في أبريل 2007 بمبادرة الحكم الذاتي من أجل تسوية نهائية للنزاع وهي المبادرة التي تم تكريسها في جميع قرارات المجلس منذ عرضها ووصفت ب «الجدية» و«ذات المصداقية.»

ويشدد الاتجاه في المغرب على الالتزام بإيجاد حل نهائي في إطار وحدته الترابية وسيادته الوطنية، وهو ما أكده المغرب، أمام الدورة الخامسة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، بإشارته أن المغرب يلتزم بالمبادئ المكرّسة في ميثاق الأمم المتحدة المتعلقة بالتسوية السلمية للنزاعات، واحترام السيادة الوطنية للدول ووحدتها الترابية، وأن البحث عن حل سياسي نهائي ينبغي أن يندرج في إطار معايير أربعة أساسية : أولا السيادة الكاملة للمغرب على صحرائه ومبادرة الحكم الذاتي كحل وحيد لحل النزاع المفتعل. وثانيا، المشاركة الكاملة لجميع الأطراف في البحث عن حل نهائي لهذا النزاع المفتعل. وثالثا، الاحترام التام للمبادئ والمعايير التي كرّسها مجلس الأمن في جميع قراراته منذ 2007، والمتمثلة في أن الحل لا يمكن إلا أن يكون سياسيا وواقعيا وعمليا ودائما ومبنيا على أساس التوافق. ورابعا، رفض أي اقتراح متجاوز والذي أكد الأمين العام للأمم المتحدة ومجلس الأمن منذ أكثر من عشرين سنة بطلانه وعدم قابليته للتطبيق والهادف إلى إخراج المسلسل السياسي الحالي عن المعايير المرجعية التي حددها مجلس الأمن. وقد استوعب مجلس الأمن أن هذه العملية هي الطريق الوحيد لحل سياسي واقعي وعملي ودائم وقائم على أساس التوافق لإيجاد حل لهذا النزاع الإقليمي».»

البوليساريو صنيعة الجزائر وسبب التوتر مع المغرب

تتحمل الجارة الشرقية الجزائر المسؤولية في نشأة النزاع الإقليمي بالصحراء وإطالة أمده، فالجزائر هي التي أوجدت «البوليساريو»، والجزائر هي التي تستضيفها وتمنحها عمليا أرضا خارج السيادة في مخيمات تندوف، والجزائر هي التي تسلحها، والجزائر هي التي تنفذ الحملات الدبلوماسية، وهي التي تدفع الأموال لـ «ديبلومات أنديباندن»، وهي مجموعة ضغط تتولى صياغة المذكرات والقيام بحملات لفائدة «البوليساريو»، ونشر التغريدات، ولذلك فإن قرار مجلس الأمن 2468، المعتمد في 30

لازالت دار لقمان بقصر المرادية على حالها

أبريل 2019، أتى على ذكر الجزائر أكثر من المغرب، وهو ما يجعل هذه الأخيرة تتحمل قسطا كبيرا من المسؤولية التي تم الإقرار بها وتسجيلها من خلال تواجدها في اجتماعي المائدة المستديرة بجنيف، لكل ذلك فان مجلس الأمن حدد الأطراف الحقيقية المعنية بهذا النزاع، وهي المغرب والجزائر وموريطانيا و»البوليساريو، وهي الأطراف التي شاركت في الموائد المستديرة بجنيف.

وقد أعاد تصريح الرئيس الجزائري الجديد عبد المجيد تبون العلاقات المغربية إلى سالف عهدها، ليؤكد بالملموس أن قادة الجارة الشرقية يصرون على عدم طي صفحة الأمس، ورفض فتح صفحة جديدة لمستقبل واعد للعلاقات بين البلدين

فالرئيس الجديد، ردد نفس محددات العقيدة السياسية لحكام الجزائر والمعادية للوحدة الترابية للمغرب، وذلك بإصراره على التأكيد كما قال أن «مسألة الصحراء الغربية هي مسألة تصفية استعمار وهي قضية بيد الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي»، رغم أن نزاع الصحراء ليس تصفية استعمار بعد أن استعادتها المغرب من الإسبان، وهو ملف معروض على مجلس الأمن الدولي وليس اللجنة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، ولا علاقة للاتحاد الإفريقي بمسار التسوية الأممي.

الحاكم الجديد لقصر المرادية لن يزيغ عن العقيدة السياسية للمؤسسة العسكرية لبلده والمعادية للوحدة الترابية للمغرب. وكل ذلك رغم كل التغيرات التي شهدتها بلدان المنطقة بعد ربيع الحراك.

إن «قضية الصحراء المغربية ابتدأت مع الجزائر لذلك يجب أن تنتهي مع هذه الجارة الشرقية التي غيرت في كل شيء، إلا عداءها للوحدة الترابية للمغرب وقضية الصحراء المغربية، وقد جددت الرسالة الملكية إلى الرئيس الجديد الدعوة إلى إعادة بناء الثقة وعلاقات تعاون بين البلدين، دون جدوى.

إنها ذات اليد الممدودة بمناسبة الذكرى 43 لخطاب المسيرة الخضراء، حين دعا الملك قادة الجزائر إلى حوار صريح وواضح لتجاوز كل الخلافات واقترح تشكيل لجنة للحوار لتجاوز الجمود مع الجارة الجزائر، لكن الجزائر تجاهلت المبادرة المغربية. وحين دعت الجزائر إلى عقد اجتماع لوزراء خارجية الاتحاد المغاربي، لم يتردد وزير الخارجية المغربي في التأكيد على أن المغرب «ظل متمسكا باستئناف البناء المغاربي، لكن أكد أننا نظل منفتحين ومنصتين لجميع اقتراحات الجزائر فيما يخص مستوى الحوار الثنائي، ومحاوره، وجدول أعماله، وطبيعته ووتيرته»، كما جدد طلب المغرب للسلطات الجزائرية، لتعلن، رسميا، عن ردها على مبادرة المغرب لإحداث آلية سياسية مشتركة للحوار والتشاور.».

ليس ذلك فقط، فقد رفضت الجزائر مقترحاً مغربيا للمشاركة بشكل ايجابي في مفاوضات تسوية النزاع مع «جبهة البوليساريو»، بمبرر «ثبات موقفها الداعم لنضال الشعب الصحراوي»، باعتبارها مسألة «تصفية استعمار في عهدة الأمم المتحدة.».

لقد كان وزير الخارجية المغربي، صريحا حين اعتبر أن من واجب الجزائر التدخل في مسار تسوية النزاع «ولم يتردد في اتهامها « بدعم واحتضان «جبهة البوليساريو». كما أن الرسالة الخطية من الملك التي سلمها إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس إبان أزمة الكركرات كانت أوضح حين قالت أن «الجزائر تتحمّل مسؤولية صارخة. الجزائر هي التي تمول، وهي التي تحتضن وتساند وتقدم دعمها الدبلوماسي للبوليساريو.».

وأضاف وزير الخارجية أن «المغرب طالب، ويطالب دوماً، بأن تشارك الجزائر في المسلسل السياسي، وأن تتحمل المسؤولية الكاملة في البحث عن الحل، وأن تلعب دوراً على قدر مسؤوليتها في نشأة وتطور هذا النزاع الإقليمي». لكن الجارة الشرقية تفضل سياسة الآذان الصماء وتدعي الحياد رغم أنها متورطة حتى أخمص القدمين في نزاع يعاني منه آلاف المحتجزين بمخيمات تندوف، بل يهدد الأمن والاستقرار في المنطقة كلها. وهو ما لن يتغير في عهد الوافد الجديد على قصر المرادية.

من تفاعلات قضية الصحراء بإسبانيا

مدريد تنزع الغطاء السياسي والدبلوماسي عن جبهة البوليساريو

إعلام جبهة البوليساريو في إسبانيا ينشر منذ مدة مقالات تهاجم الحكومة الإسبانية التي يتزعمها بيدرو سانشيز، بأسلوب غاضب متشكي وبنبرة تنضح تذمرا، مما أصبحت تعكسه سياسات الحكومة الإسبانية من مؤشرات ورسائل قوية تذهب جميعها في اتجاه حدوث تغيير عميق في موقف هذه الخيرة من قضية الصحراء، كما أبانت العديد من الوقائع بالملموس عن حقيقة أن العلاقات بين هذه الأخيرة وبين جبهة البوليساريو لم تعد على نفس الدفء الذي ظلت قائمة عليه طيلة الأربعة عقود ونيف التي عمرها نزاع الصحراء، وهو تحول يؤشر على أن مدريد لم تعد مصدرا لمد حركة الانفصال بالدعم المطلوب ونفس التعاطف السابقين اللذين حظيت بهما البوليساريو، وذلك منذ أن انسحب الجيش الإسباني من أراضي الصحراء عام 1975.

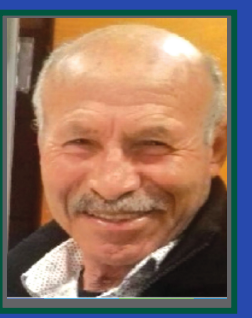

• الحسين فاتش - إسبانيا

فأولى الرسائل التي تلقتها جبهة البوليساريو من حكومة بيدرو سانشيز، عكسها تصريح له أكد فيه عن تأييده التام للحل السياسي لنزاع الصحراء وفق مبادرة الحكم الذاتي، مما حذا بالأبواق العالمية لجبهة البوليساريو بمهاجمة سياسة رئيس الحكومة الإسبانية وقائد حزب سياسي مرموق سبق لأحد زعمائه المرموقين فيليبي كونزاليس أن ذهب إلى أبعد حد في دعمه لحركة الانفصال في الصحراء، باستقباله لمحمد عبد العزيز زعيم ومؤسس جبهة البوليساريو، والذي وافته المنية في السنوات الأخيرة.

البوليساريو تؤاخذ على رئيس الحكومة وعلى الدولة الإسبانية ما سمته عدم وفائها بدينها التاريخي والتنصل من مسؤولياتها الإنسانية تجاه الشعب الصحراوي.. لكن الضربة الموجعة الأخرى التي تلقتها جبهة البوليساريو في ظل حكومة ائتلاف اليسار جاءت على يد الدائرة الأولى للمحكمة العليا الإسبانية، والتي اعتبرت في منطوق الحكم عدد 207/2020 الذي أصدرته بتاريخ 29 ماي الأخير أن الصحراء الغربية لا يمكن اعتبارها أرضا اسبانية، لكي يحصل ساكنوها على الجنسية الإسبانية وفقا للمادة 1 /17/ج التي تشترط أن تكون قد ولدت باسبانيا لكي تتقدم بطلب الحصول على الجنسية الإسبانية. هذا الحكم القضائي سبقه قرار آخر أصدرته المحكمة العليا الإسبانية قضى بمنع رفع علم البوليساريو في الفضاءات العامة وفوق المباني الحكومية، لأن رفعه يضيف منطوق الحكم لا يتوافق مع الإطار الدستوري والقانون الحالي ولا مع واجب التحفظ والحياد المفروض في الإدارات العمومية الإسبانية، وبموجب هذا الحكم سيكون على الهيئات الرسمية في الدولة وعلى ممثلي الأحزاب السياسية عدم رفع أو وضع علم البوليساريو سواء بشكل دائم أو مؤقت حتى أثناء مناسبات استقبالهم أحدا من منتسبي الجبهة الانفصالية..

وقد سبق هذا الحكم صدور مقرر قضائي آخر ألغى الاعتراف بجوازات السفر الدبلوماسية التي كانت تمنح لممثلي بوليساريو بإسبانيا، مما يعني نفي صفة الرسمية عن هؤلاء وتقييد مساحة تحركاتهم..

ومما يزيد في تأكيد فرضية تخلي مدريد عن جبهة البوليساريو، ما أقدمت عليه السيدة أرانشا كونزاليز اليا، رئيسة الدبلوماسية في حكومة بيدرو سانشيز، التي تدخلت لدى سكرتير الدولة في الشؤون الاجتماعية ناتشو ألفاريز، الرجل الثاني في حزب بابلو ايكليسياس ليحذف من حسابه بتويتر، الصور التي سبق أن قام بنشرها، والتي تظهر مراسيم استقباله لسويلمة بنت بيروك، عن جبهة البوليساريو، كما قدمت الوزيرة اليا اعتذارا ضمنيا عن الحدث الدبلوماسي العرضي لنظيرها المغربي وزير الخارجية السيد بوريطة. وطمأنت المغرب أن الأمور قد تغيرت في سياسة حكومة سانشيز تجاه حق المغرب في أرضه.

وإذا كان ما أقدمت عليه وزيرة الخارجية يترجم موقف حكومة بيدرو سانشيز من قضية الصحراء، والذي بدوره يعكس موقف حزب العمال الاشتراكي من البوليساريو، فإن سياسة غريمه الحزب الشعبي لا تختلف في شيء عن استراتيجية النأي بالنفس عن نزاع الصحراء، فالحزب الشعبي بزعامة بابلو كاسادو لم يشر لقضية الصحراء لا من قريب ولا من بعيد في أي من فقرات برنامجه الرئاسي المكون من 500 نقطة، عندما خاض حملة آخر انتخابات تشريعية جرت بإسبانيا. بالنسبة لحزب بوديموس والأحزاب القومية الإسبانية فهي أبرز الحلفاء الذين لا تزال

من تفاعلات قضية الصحراء بإسبانيا

مدريد تنزع الغطاء السياسي والدبلوماسي عن جبهة البوليساريو

جبهة البوليساريو تراهن على دعمهم.. فحزب بوديموس منذ تأسيسه في يناير 2014، لم يغيب عن برنامج توجهات الحزب الخارجية قضية الصحراء الغربية، بل رفع من سقف دعمه إلى ضرورة الاعتراف بالجمهورية الوهمية لبوليساريو، علاوة على تأييده لمراقبة حقوق الإنسان ورفع تقارير بخصوصها بكل المدن المغربية بالأقاليم الصحراوية المسترجعة، وكان حزب بوديموس من أكبر مساندي حركة اعتصام الانفصالية أميناتو حيدر بمطار لانزاروت بجزر الكناري.. حزب بوديموس يعبر في كل أدبياته على الاهتمام ومساعدة اللاجئين الصحراويين وقد أوفد في الآونة الأخيرة عدة نواب وعددا من منتسبيه لمخيمات تندوف الجزائرية، كما دافع دائما عن أحقية امتلاك كل صحراوي تطأ قدماه التراب الإسباني جنسية اسبانيا، بحكم الارتباطات التاريخية في إشارة منه إلى الحقبة الاستعمارية، وهو ما سقط مؤخر قضائيا ودستوريا. كما تعتبر الأحزاب القومية الباسكية والكطالانية أبرز حلفاء البوليساريو في اسبانيا، باستثناء حزب متحدون من أجل كطالانيا، الذي يتزعمه كبار الانفصاليين الكطالان منهم بوجدامونت الفار من العدالة الإسبانية والمقيم حاليا بمنطقة واترلو ببروكسيل.

وفي مجلس النواب أو الكونغرس تتقدم الأحزاب القومية المؤيدة للبولساريو بالعديد من مشاريع القوانين الداعمة لقضية الانفصال، من ضمنها قانون منح الجنسية للصحراويين، ناهيك عن بقية أشكال الدعم الإنساني والقانوني على مستوى البرلمان الأوروبي الذي تقدمه الأحزاب الباسكية وحزب اليسار الجمهوري الكطالاني على وجه الخصوص.. لكن صدور الأحكام القضائية والمخالفات للدستور الإسباني وكذا واجب التحفظ، يمكنها لإخماد هذا العداء لوحدة المغرب الترابية والوطنية.

إن من العوامل التي لها كبير المفعول في تراجع الحكومة الإسبانية عن دعم الانفصال في الصحراء الغربية، حتى أصبحت جبهة البوليساريو يتم التلاعب بها بين أرجل الأطراف الإسبانية، نجدها في الإكراهات الذاتية والموضوعية الطارئة، والتي استدعت إعادة النظر في العديد من سياسات الحكومة الإسبانية، لعل من أهمها خروج بريطانيا من التحاد الأوروبي، إضافة إلى وجود عوامل قضية كطالونيا التي تطالب بالاستقلال، ويشجعها في طموحاتها وجود طموحات انفصالية لدي إقليم الباسك الذي هو نفسه يحبس الأنفاس مع كل خطوة تخطوها قيادة برشلونة نحو تحقيق الانفصال عن إسبانيا وتحصيل الاستقلال، هذا بالإضافة إلى كون الاقتصاد الإسباني لم يتعافى بعد من مخلفات أزمة 2008 حتى بوغت بكارثة اقتصادية أكثر خطورة ووقعا من سابقتها على المجتمع، تجلت في جائحة فيروس كورونا المستجد بوقعها السلبي على مؤشرات الاقتصاد، خاصة البطالة والنمو والناتج الإجمالي.

الطيب الساسي، المحامي والنقيب السابق بهيئة المحامين بأكادير

محاكمة الطلبة الصحراويين بعد تظاهرة طانطان

يكشف تفاصيل

• النقيب الطيب الساسي

في شهادة للنقيب مبارك الطيب الساسي لطاقم فيلم «حياة مجاورة للموت»، والذي كتب سيناريوه عبد الواحد المهتاني (المدير المسؤول لجريدة الطريق).. يتحدث الساسي من موقعه كمحامي تم تنصيبه للدفاع عن الطلبة الصحراويين مصطفى الوالي ومحمد عبد العزيز وغيرهم ممن تم اعتقالهم على إثر تظاهرة طانطان في بداية السبعينيات من القرن الماضي، وتعرضهم للتعذيب في عهد أوفقير، وما سيترتب عن هاته المحاكمة من قرار للمجموعة سيؤثر على مسار القضية، وفي هذا الحوار يكشف المتحدث عن أطماع الجزائر التوسعية، وكيف تم التفريط في تندوف من طرف المغرب، فضلا عن عدم التجاوب مع مطلب المختار ولد دادة سنة 1958 مع جيش التحرير بالجنوب ليعين واليا على موريطانيا، مطلب سيقوده إلى الرباط ليعود خالي الوفاض، ليتجه إلى فرنسا من أجل المطالبة باستقلال موريطانيا.

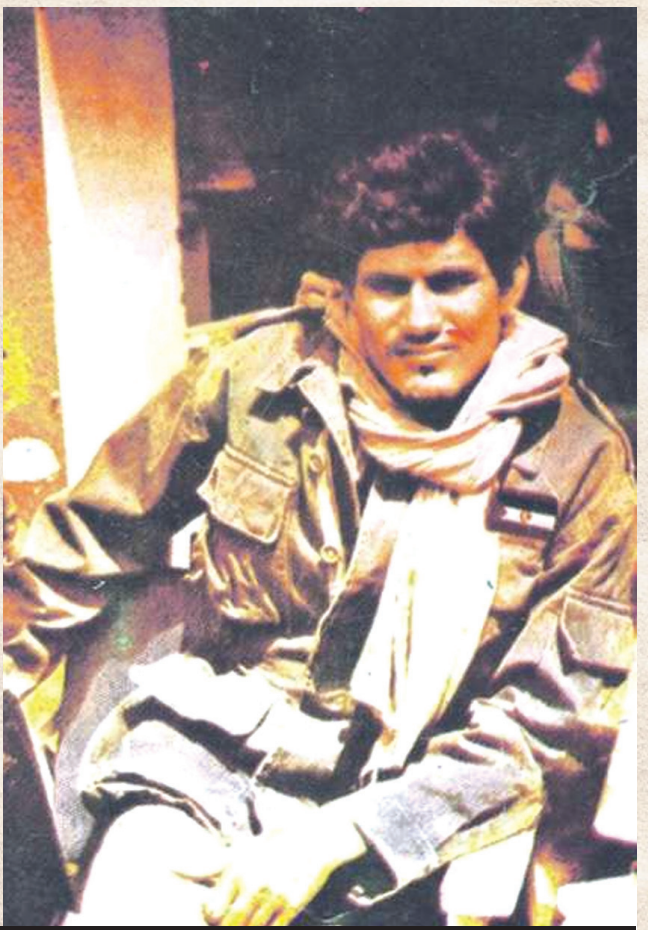

الوالي مصطفى السيد بدايات وحدوية حورت مسارها أطماع عسكر الجزائر

فيما يخص قضية الصحراء، للأسف الشديد كانت لدي مذكرات كتابية حول القضية الوطنية، وحول النزاع التنظيمي والأيديولوجي بين الاتحاد الاشتراكي اللجنة الإدارية والاتحاد الاشتراكي (حزب الطليعة) في مواجهة أطروحات المكتب السياسي، هذه الوثائق تم حجزها مني إبان اعتقالات سنة 1983.

كان لدي ملف متكامل للقضية بصفتي المسؤول الأول عن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بالجنوب، وقد حجز مني من طرف النجاري الذي كان مديرا إقليميا للأمن بأكادير، ولم يبق لدي من هذه الوثائق إلا ما رسخ في الذاكرة.

قضية الصحراء لم تكن في يوم من الأيام لا للجزائر ولا لغيرها، الجزائر كانت مستعمرة من طرف العثمانيين، ولما سلموها للفرنسيين لم يسلموها بالمرة تندوف، ثانيا الاستفتاء الذي قام به ديغول حول تقرير مصير الجزائر عن فرنسا، رفضت ساكنة تندوف المشاركة فيه، بدعوى أنهم مغاربة، وهنا يجب الرجوع إلى الوثائق الفرنسية الموجودة في فرنسا.

قضية تندوف مشكل سياسي، ...حسب تصريح بلعيد وزير الصناعة سابقا، يقول فيه إن الجزائر يجب أن تكون بمثابة اليابان على صعيد المغرب العربي وشمال أفريقيا.

فالعسكر الجزائري لم يكون في يوم من الأيام يرغب لا في وحدة الشعوب ولا في حل مشكل الحدود بصفة عامة.

ثالثا إن المفاوض الفرنسي في «إكس ليبان»، اندهش حسب ما ورد في مذكرات إدغارفور، في جزءها الثاني حول الصحراء، فلماذا لم يطرح المغاربة مسألة ترسيم الحدود؟

على إثر المفاوضات بين الفرنسيين والجزائريين، وقبله في مؤتمر الحركة الوطنية الذي عقد بطنجة برز قصور في التوجه العام لمعالجة المشكل بيننا وبين الجزائر، متناسين أن الجزائر لم تكن في يوم من الأيام دولة ذات قرار حتى يتم الاطمئنان إلى وعودها أو الاتفاقيات أو المواعيد معها. هذه الأخطاء هي التي أدت هذه النتائج.

رابعا أثناء تواجد جيش التحرير بالصحراء كان الاتصال مع الموريطانيين وضمنهم المختار ولد دادة، وبعد نقاش طويل مع هذا الأخير عبر لهم عن رغبته ليتم تعيينه واليا على موريطانيا من طرف المغرب، فأحالوه على الملك الراحل محمد الخامس، ليلتحق بالرباط رفقة الكولونيل وهبي والد نقيب المحامين سابقا حسن وهبي، وسيمكث

الطيب الساسي، المحامي والنقيب السابق بهيئة المحامين بأكادير

محاكمة الطلبة الصحراويين بعد تظاهرة طانطان

يكشف تفاصيل

الوالي مصطفى السيد في بداياته

هناك في أحد الفنادق في انتظار لقاء الملك، غير أن تدخل حزب الاستقلال سيحول دون ذلك، بعدها سيعود إلى موطنه ويتجه نحو فرنسا للمطالبة بالاستقلال.
خامسا كانت تندوف سوقا سنوية تحت راية المغرب، وعلال الفاسي حين يقول عن تندوف مغربية وأن الحدود المغربية تمتد إلى نهر السنغال له الحق في ذلك.
الجانب الجزائري كانت له طموحات توسعية، وكان لا يريد أن تكون دولة قوية بجانبه، وهنا طرح مشكل تندوف، و في إطار المساومة طرح المغرب استغلال المعادن بشكل مشترك، شريطة أن يعطي المغرب للجزائر ممرا نحو المحيط الأطلسي، ثم هيئوا اتفاقية إفران لاستغلال خيرات الصحراء، إلا أن الجانب الجزائري كان يتحجج دائما بعدم توقيع الاتفاقية إلى حين مصادقة البرلمان المغربي على اتفاقية تندوف، وهكذا سلمت تندوف إلى الجزائر بدون توقيع اتفاقية إفران، مع العلم أن تسليم تندوف إلى الجزائر يهم الشعب المغربي قاطبة من جنوبه إلى شماله ومن شرقه إلى غربه، لأن الأرض ملك للشعب وهذا ما لم يقع.
أما فيما يخص تداعيات ميلاد البوليساريو، فالجزائر كانت لها أطماع في التراب المغربي، ولا أقصد تحديدا الشعب الجزائري، بل النظام العسكري وجبهة التحرير الجزائرية، التي كانت لها أطماع بعيدة المدى في إفريقيا كلها وهو ما لم ينتبه إليه الجانب المغربي.
ففي سنة 1973 اتصل بي العبادلة ماء العينين، وقال لي هل يمكن أن تذهب معي إلى النيابة العامة نظرا لاعتقال مجموعة من الطلبة ومن ضمنهم أخي، وبحكم موقعي كمسؤول سياسي ومقتنع بحقوق الإنسان والحريات اقتناعا كاملا، اتصلت بوكيل الملك، الغزواني المراكشي، قلنا له يا سيدي لماذا اعتقلتم هؤلاء الطلبة، نحن نطالب بالإفراج عنهم، قرأ علينا المحضر، والذي تضمن تصريحات المعتقلين الطلبة الصحراويين، بما فيه محمد بن عبد العزيز والوالي مصطفى السيد وغيرهم، يقولون فيها نحن بصدد تنظيم تظاهرة لجلاء المستعمر الاسباني من الصحراء المغربية، هكذا، واللافتات موجودة بدهاليز المحكمة الابتدائية بأكادير. وقلت له: قبل أن تستمروا في اعتقالهم عليكم أن تتصلوا بوزارة العدل، لأن المشكل سياسي وليس إجرامي، فطلب الاستشارة مع الكاتب العام لوزارة العدل آنذاك، محمد الفاسي، فقال له أتل علي ما جاء في تصريحاتهم بحضورنا، جاء فيها نحن طلبة أكادير وطلبة الرباط كصحراويين، أتينا للمطالبة بجلاء الاستعمار الاسباني من الصحراء المغربية، ثم سأله عن المحجوزات، فقال له إنها لافتات كتب عليها نطالب بجلاء المستعمر الاسباني من الصحراء المغربية، وفي حينه ثم إطلاق صراح الطلبة وحجز الملف.
في المساء استدعينا لحفلة عشاء أقامها على شرفهم الأستاذ العبادلة بمنزله، واستدعيت أنا كذلك، وبعد مناقشة طويلة مع المجموعة حول الوضع السياسي في المغرب وشمال إفريقيا وغيرها، استقر رأيهم على أنهم سيبحثون في مسألة تشكيل تنظيم خاص حسب ما اكتشفت، لكونهم كانوا ساخطين على جميع الأحزاب آنذاك، وبعد مناقشة طويلة قلت لهم بأن مسألة التنظيم وإيجاد الحلول مسألة تقرر فيها الشعوب، لا يمكن لا نحن ولا أنتم كسبعة أشخاص أن نقرر في مصير الشعب، إن من يقرر في مصير الشعب هي الجماهير الشعبية المنظمة، ومهمتنا أن نقوم بإذكاء وعي هذه الجماهير حول مآسيها ومشاكلها ونترك لها أن تتخذ القرار وتسلك الطريق الذي ستختاره، وفي حينه أزالوا قمصانهم وكان الزمن صيفا، وكشفوا عن جروح وآثار التعذيب على أجسادهم، وقالوا هل تريد أن نعيش في وضع سياسي يتسم بالقمع.
وهكذا افترقنا على أساس أن نجري لقاءات متكررة، وما أن غادروا أكادير نحو الرباط حتى اختطفتهم المخابرات الجزائرية، وهذه ما هي إلا نتيجة لسنوات الرصاص، وشخصيا فقد اعتقلت ثلاثة مرات 1962 . 1981 . 1983.
الآن ما هو الحل؟ المشكل لن يتم حله لا بالريع ولا بالمساومات والامتيازات والمنح، بل في إطار ديمقراطي شامل...

حصري:

شهادة أحمد الطالبي من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

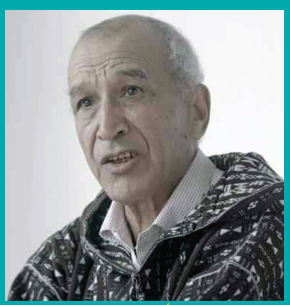

صورة أحمد الطالبي أحد أهم قادة الاختيار الثوري بالمغرب

نشر ضمن هذا الملف مقالا يستند إلى حوار كان أجراه الأخ أحمد الطالبي مع طاقم فيلم "حياة مجاورة للموت"، والذي كتب سيناريوه عبد الواحد المهتاني (المدير المسؤول لجريدة الطريق).. وقد زودتنا به الجهة المنتجة بعد استشارة مع صاحب الحوار، وهو لم ينشر كاملا من قبل، ونظرا لأهمية المعطيات المتضمنة والتي لا تعرفها إلا القلة القليلة، والمتعلقة بالعلاقة الثقافية والفكرية بين سوس العالمة والصحراء العالمة، فضلا عن اعتناء رجال المقامة بأبناء المقاومين وعلى رأسهم مصطفى الوالي، والذين تابعوا دراستهم بمعهد تارودانت، كما يكشف الطالبي عن علاقة قيادي البوليساريو قبل تبنيها لشعار الانفصال مع القيادة الحزبية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالداخل والخارج، من خلال بعض رموزها كالشهيدين إبراهيم التزنيتي ومحمد بنونة والمقاوم الحسين الخضار، كما يروي تفاصيل الصراع المرير مع النظام الجزائري من أجل استقلالية القرار السياسي للمعارضة المغربية بالجزائر، وخاصة الموقف من وحدتنا الترابية، الذي دفع أحمد الطالبي ثمنه غاليا باعتقاله لمدة سنوات بسجن "البرواكية" السيء الذكر، ثم الإقامة الجبرية، وتفاصيل أخرى عن كيفية تشكل العلاقة بين البوليساريو وليبيا ثم الجزائر، وهي جزء من مذكرات الكاتب التي يعكف الآن على إنجازها.

ترسخت علاقاتي بأهل الصحراء قبل مرحلة تجربة النضال السياسي، وهنا يمكن العودة إلى بيت الجد الذي نشأت فيه بمنطقة المعذر نواحي مدينة تيزنيت، وهو بيت محمد بن مسعود الطالبي المعذري، من علماء سوس، عالم وأديب ومتصوف، أصدرت حوله وزارة الأوقاف أخيرا كتابا يحمل نفس الاسم، وكان هذا البيت ملتقى مع زاوية سي سعيد أوهمو، والتي هي بجانبه. ويعتبر هذا الأخير مؤسسا للطريقة الدرقاوي في الجنوب، كما كان يشكل هذا المكان فضاء روحيا وعلميا للحاج علي الدرقاوي والد المختار السوسي، هذا الأخير كان هو أيضا يجلس في ركن من أركانه إبان تحضيره لكتبه كالمعسول وسوس العالمة، وهنا كان مجلسه مع الشاعر لحسن بولعماني الذي هو عمنا محمد بن مسعود المعذري، كانت له خصوصية في كونه كان أستاذا بمدرسة بونعمان، وقرى أخرى شكلت ثلاثية، وهي المعذر وإليغ وبونعمان، والمصطلح عليها بزوايا بونعمان. إذن الجد الأعلى كان بمدرسة بونعمان ومحمد بنسعيد أيت إدار المعذري كان يدرس لفترة طويلة بمدرسة سيدي بوعبدلي المجاورة لبونعمان. وتتحدث المصادر التاريخية بأن الطلبة الذين كان يدرسهم محمد بن مسعود، ينحدرون من منطقة سوس بالإضافة إلى الطلبة الصحراويين. وفي بونعمان سيتم له لقاء كذلك مع الشيخ ماء العينين، وسيتبادلان قصائد شعرية. وأشير كذلك إلى أن الجد الأعلى الذي هو مسعود بن محمد المعذري كان من الأصدقاء الحميمين للجد الأعلى لإبراهيم بصير الشاب الذي سيؤسس فيما بعد الحزب المسلم بالصحراء، وكانوا يفضون النزاعات والمصالحة بين القبائل في مرحلة السيبة.

كما كان الشيوخ وكذا الشعراء الصحراويون في علاقة دائمة ومستمرة مع المختار السوسي، وقد تبادلوا فيما بينهم قصائد شعرية طويلة.. وبالمناسبة فكتاب «مفيد الحاضرة والبادية» للشيخ ماء العينين، هو من جملة الكتب التي أهديت لجدي ومطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية، وهناك كتب أخرى بخزانتنا إلى جانب بعض المخطوطات.

إن العلاقة التي ظلت تربطنا مع الصحراويين هي علاقة عادية، كما أن جيش التحرير كان له هو الآخر اهتمام بأبناء الصحراء، خاصة بعد أن توقفت معاركه في الجنوب المغربي، وكثير من القادة والشهود الذين لازالوا على قيد الحياة كبوزاليم من مدينة أكادير الذي يتميز بذاكرة موسوعية، حين يتحدث عن المعارك التي خاضها جيش التحرير بالصحراء، أما الأموات منهم خاصة إبراهيم التيزنيتي الذي كان منفيا وعاش عدة معارك من أجل تحرير الصحراء. وهناك أيضا من هذه المنطقة والذي لا يذكره أحد، العربي بناجم الظريف وهو من كبار المقاومين ومن كبار قادة جيش التحرير. فهده العلاقة كانت على مستويين، على المستوى الثقافي والعلمي والتي لها أهميتها، ثم الجانب السياسي، وحين أتكلم عن الثقافي العلمي أعطي نموذجا لذلك بن

حصري:

شهادة أحمد الطالبي من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

سعيد أيت إيدر الذي كان يدرس بمدرسة سيد بوعبدلي كطالب، ليأخذه بعدها المختار السوسي إلى مراكش إلى جانب الكثير من الطلبة السوسيين، والذين التحق أغلبهم فيما بعد بالمقاومة أو الجيش الملكي، أخي المرحوم طالب بن مسعود وهو حاصل على الشهادة السادسة قبل بداية الاستقلال اختاره هو أيضا المختار السوسي لمتابعة دراسته بمراكش.

إذن عندما توقفت معارك جيش التحرير بالجنوب، اهتمت الحركة الوطنية والمقاومين وأعضاء جيش التحرير كثيرا بأبناء جيش التحرير، من أجل متابعة دراستهم بعدة مراكز، ومن ضمنها مركز معهد تارودانت، والذي عايشت فيه عن كتب المناضلين الصحراويين بما فيهم مصطفي الوالي الذي كان يدرس بمعهد تارودانت، الذي أسسه المختار السوسي بمساعدة لحسن بولعماني الباشا السابق على أكادير وهو عالم وشاعر، وتم ذلك أيضا بمساعدة المقاومين وجمعية علماء سوس ومنهم صاحب الفكرة العدوي والد السيدة زينب العدوي، وعمر الساحلي من كبار المقاومين والذي كان يشغل مديرا للمعهد الذي تم تأسيسه لإنقاذ أبناء سوس وإدماجهم في التعليم العصري وإلى جانبهم طبعا الطلبة الصحراويون، هؤلاء فتح لهم مجال آخر في حي الرميلة بالزاوية الدرقاوية، ومن بين الطلبة الذين يقطنون معي إبراهيم بصير وكان يتردد علينا بعض الطلبة أغلبهم الآن بجبهة البوليساريو لأنهم كانوا يدرسون بمراكش.

فيما يتعلق بمصطفي الوالي، فإن هذا الأخير سيقود إضرابا بمعهد تارودانت في فترة الستينات، وهذا الإضراب كان موجها من الناحية السياسية من طرف حزب الاستقلال وصحافة حزب الاستقلال وخاصة جريدة العلم، وكانت كلها تعمل على مواجهة التيار الاتحادي وتيار جريدة التحرير آنذاك، مصطفي الوالي ومن شاركوا معه في الإضراب، سيطردون رسميا من معهد تارودانت، وأتذكر أنه كان من بينهم الصديق الإعلامي أحمد احميمو، وتبعا لملفاتهم لم يتم السماح لهم بالدراسة، وسينتقلون نحو الدار البيضاء والرباط.

أبناء المقاومين من الطلبة الصحراويين، سيفسح لهم المجال أيضا لمتابعة دراستهم في الدار البيضاء، وسيتوفر لهم محل سكني خاص بهم في دار تسمى دار التوازني، وهي عبارة عن عمارة كبيرة وفرت فيها الحركة الوطنية كل شروط الاستقبال. سينظم هؤلاء الطلبة الصحراويون في بداية السبعينات مظاهرات في مدينة طانطان، وأخرى بمدينة طرفاية وسيتم اعتقالهم وممارسة التعذيب عليهم من طرف الجنرال أوفقير وقتها، نحن الآن نتكلم على سنوات الرصاص.

بصير اختطف من طرف سلطات الاستعمار الاسبانية بعد التحاقه بالصحراء وتأسيسه لحزب المسلم، وسيتم اعتقاله واختفائه، وإلى يومنا هذا لا يعرف له أثر، بينما مصطفي الوالي ورفاقه سيتوجهون إلى الرباط والدار البيضاء لمقابلة أطراف الحركة الوطنية للمطالبة بدعمهم من أجل مواصلة النضال ضد الاستعمار الإسباني، ولم يكن واردا لديهم شيء اسمه الانفصال، في هذه الفترة سيتم الاتصال بحزب الاستقلال في شخص علال الفاسي، الذي قال لهم نحن مستعدون لمساعدتكم، أنتم ناضلوا لكن حين تحل مرحلة التفاوض سنكون نحن جاهزين لها، كما وقع الاتصال بعلي يعته عن حزب التقدم والاشتراكية وكذلك عبد الرحيم بوعبيد، غير أن الطرف الاتحادي كان أذكى، لأن هؤلاء كانوا يطلبون من الحكومة المغربية مدهم بالسلاح من أجل مقاومة الاستعمار الاسباني، والحكومة المغربية لم تكن مستعدة للسير في هذا الطريق، والأحزاب كذلك لم تكن مستعدة لتبني الكفاح المسلح، وهنا ستأتي قصة ارتباط الوالي بالمنفى، فلما وقع الاتصال بعبد الرحيم بوعبيد سيحيلهم على محمد الخصاصي، وسيعقدون مقابلة أيضا مع محمد اليازغي. الذي كان آنذاك منسقا للاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع المنفيين بالخارج، كعبد الرحمن اليوسفي والفقيه البصري وآخرين. وما بين الداخل والخارج كانت قناة الاتصال التنظيمية هي اليازغي ومحمد الخصاصي، محمد الخصاصي سيسلم للوالي رسالة وسيسافر هذا الأخير إلى باريس لعقد لقاء مع المعارضة المغربية التي كانت لديها فكرة تبني الكفاح المسلح لتغيير الوضع بالمغرب، وبالتالي يمكنهم أن يساندوا الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب لمواجهة الاستعمار الاسباني، بعدها سيتم توجيه مصطفي الوالي نحو الجزائر و بالضبط نحو وهران للاتصال بالمقاومين وبالتنظيم الحزبي الذي كان يشتغل في إطار التنظيم السري، والاستعداد مستقبلا لخوض العمل المسلح، ومن المصادفات الغريبة، فإن أول شخص سيفتح الباب للوالي مصطفي هي زوجتي حسب ما حكت لي، لأنه في ذلك الوقت كنا لم نتزوج بعد، لأن بيت الحسين الخضار كان هو بيت المقاومين، بيت المنفيين، بيت الناس الذين يردون من خارج الجزائر كضيوف على الحزب، وسيتم استقبال مصطفي الوالي الذي مكث عدة أيام في بيت الحسين الخضار، حينها نظم له لقاء خاص مع شخصيتين هامتين، الأول هو محمد بنونة مهندس كهرباء من عائلة المهدي بنبركة كان مسؤولا في منظمة التضامن الإفريقي الآسيوي، وهو من بين المناضلين الذين استشهدوا

كان مناضل الحركة الاتحادية (الاختيار الثوري وبعده الطليعة) عبد الغني بوستة السرايري قد زود الوالي بآلة طباعة وبتمويل أولي.

حصري:

شهادة أحمد الطالبي من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

في أحداث 3 مارس، فهو من قاد مجموعة من المناضلين في إطار العمل المسلح في كلميمة وتمت تصفيته هناك، محمد بنونة صديق حميم رحمه الله، كان مطلعا وله تكوين نظري جد عالي ومطلع على تجارب الكثير من الشعوب. حيث لما اجتمعنا معه خلال التحضير لحركة 3 مارس المسلحة في إطار إعداد برنامج الثورة، كان بنونة مطلعا على التجربة الفيتنامية والتجربة الكوبية وغيرها، ليس فقط من الناحية النظرية بل عبر احتكاك مباشر مع هذه التجارب في إطار منظمة التضامن الإفريقي الأسيوي.

وسيلتقي الوالي، أيضا مع شخص أخر وهذه مفاجأة أخرى، إنه إبراهيم التزنيتي المعروف بالنمري، لما التقى بهم الوالي، أصيب بالدهشة أو الدوخة، فهم لم يقدموا له أنفسهم بأسمائهم الحقيقة، وسيستغرب لأنه وجد إبراهيم التيزنيتي يتحدث عن الصحراء كما يتحدث عن أصابع يديه، لأنه كان قائدا أساسيا في جيش التحرير في إطار تحرير الصحراء المغربية، بل إن الرجل أيضا كان مسؤولا على المحاسبة ومسؤولا عن تموين جيش التحرير، وله علاقة بكل القبائل وبكل الشيوخ.

الوالي فوجئ بلقائه بشخصيات من هذا العيار الثقيل، لينسق معها في إطار تحرير الصحراء، وسيتمحور النقاش حول سياق أن المناضلين في داخل المغرب والذين هم في مواجهة التعسف وانعدام الديمقراطية سيناضلون من موقعهم، والمناضلين الصحراويين سيتم دعمهم من طرف المناضلين الاتحاديين في إطار مواجهة الاستعمار الاسباني بالعنف. هكذا سيتم أول لقاء نوعي ولم يكن هناك أي حديث عن انفصال ولم يكن أي حديث عن نزوع ذاتي إقليمي، بما أن هؤلاء الناس لديهم تجربة كبيرة طلبوا من الوالي أن يقدم لهم شيئا مكتوبا، وسيقدم مذكرة مطولة في الموضوع نشرناها فيما بعد في جريدة الاختيار الثوري، وأصدرناها في الخارج وأنا الذي سميتها بالاختيار الثوري، نشرنا المذكرة في عدة حلقات تتضمن الوضعية في الصحراء، الوضعية من الناحية التاريخية وعلاقتها بالمخزن و بالملوك المغاربة، و تحدثت كذلك عن الفترة الاستعمارية وعن اتفاقية الجزيرة الخضراء والاتفاقيات الأخرى، التي تم فيها تقسيم دولي للمغرب طنجة، الصحراء، سيدي إفني، الداخل الذي استولت عليه فرنسا، وركز كذلك على الاهتمام الألماني بسوس جنوبا وبالصحراء خاصة، و كانت هناك شائعة بأن احمد الهبة كان يتلقى مساعدات عسكرية من طرف الألمانيين عن طريق البحر، فالمذكرة تضمنت كل هذا، ولم ترد فيها كلمة واحدة عن المطالبة بالاستقلال كلها ركزت على محاربة الاستعمار الاسباني.

بعد هذا اللقاء، أذكر أنه سيتم لقاء أيضا ما بين الوالي مصطفى والفقيه البصري، وكان النضال المغربي في ذلك الوقت في أوجه، والوالي نفسه احتك مع مجموعة من أطرف الحركة الوطنية والتقدمية في إطار الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كما أن هذه الفترة عرفت تشكل فصيلين جديدين، ما بين سنتي 1970 و1971، حينها كان الوالي طالبا في كلية الحقوق. إذن فالنقاش مع هؤلاء الإخوة كان نقاشا مع طرف من أطراف الحركة الوطنية المغربية.

سيتوجه الوالي إلى طرابلس وسيتم استقباله من طرف المسؤول آنذاك عن التنظيم الحزبي، إبراهيم أوشلح وسيصحبه إلى فندق البريد الذي كان يملكه أحد أصدقاء التنظيم من تونس سي الحبيب، هناك سيبقى مدة وهو ينتظر اللقاء والحصول على المساعدة، سيتدخل له هناك لدى مجلس الثورة في شخص عبد المنعم الهوني العضو بالمجلس ذاته، وفيما بعد سينفصل الهوني عن النظام وسيصبح منفيا في القاهرة، وقد كانت تربطه علاقة وثيقة مع الفقيه البصري ومع التنظيمات السرية التابعة للاتحاد الوطني والقوات الشعبية، فتم مده بالأسلحة الأولى عن طريق التنظيم الحزبي لأنه عومل كطرف من أطراف التنظيم الحزبي وليس كطرف مستقل، وسيعود إلى الجزائر، وصادفت هذه الفترة تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب التي عقدت في منطقة توجد ما بين موريتانيا والصحراء، كما ستصادف هذه الفترة أيضا الانتفاضة المسلحة بالمغرب سنة 1973 المعروفة بـ 3 مارس، مرحلة كانت صعبة داخل المغرب. وأغلب المناضلين بمن فيهم بنونة وابراهيم التزنيتي الذين تحدث عنهم سالفا كلهم التحقوا بالجبال ومناطق أخرى في إطار العمل المسلح داخل المغرب، بعض الإخوان الذين كانوا ضمن التنظيم السري داخل المغرب سيلتحقون بالخارج، وبالجزائر خاصة. هنا سيعقد لقاء آخر ما بين مصطفى الوالي وما بين الشباب الجدد الذين كان من ضمنهم الأخ المرحوم عبدالغني بوستة السرايري، إذن فأول آلة كاتبة سيحصل عليها مصطفى الوالي ستتم عن طريق بوستة (عضو الكتابة الوطنية لحزب الطليعة لاحقا)، وأول مساعدة مالية 2 مليون فرنك فرنسي ستسلم من طرف الأخ عبد الغني بوستة كذلك لمصطفى الوالي، هذه أول مساعدة يتلقاها هؤلاء الإخوة الصحراويون.

محمد باهي والفقيه البصري، تقاطع المسارات بالجزائر ووفاء لسيادة الوطنية على الصحراء المغربية

حصري:

شهادة أحمد الطالبي من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

وللتذكير فالوالي يتضايق بتواجده في الجزائر أكثر من تواجده في ليبيا. وهناك أمر لا يعرفه الكثيرون كنت قد أدليت به في استجواب سابق حكيت فيه بالتفاصيل ومصدر هاته المعطيات استقيتها من الرفيق عبد الغني بوستة نفسه، فلما تم اعتقالي في الجزائر وتدخل البوليساريو لأجل إطلاق سراحي مع أنهم يعرفون موقفي أن الصحراء مغربية، أخبرني بوستة أنه تم اعتقال مصطفى الوالي بالجزائر ذات مرة بسلاحه، فتم سجنه وعذب أبشع تعذيب، تبعا لرواية أفاده بها البشير مصطفى السيد الذي كان أنداك يتصل بعبد الغني بوستة ويخبره بأن «هذه القضية التي وقعت لأحمد الطالبي ليست الأولى من نوعها، فقد سبق ووقعت للوالي، إنه دخل إلى السجن رجلا طويلا وخرج مقوس الظهر». وهكذا سأخرج أيضا من سجن «البوروكية».

إبان اعتقال مصطفى الوالي سيكتشف الجزائريون أن الشخص الذي يعذبونه والذين ألقوا عليه القبض، من ورائه تنظيم صحراوي كبير، فقرروا الاحتفاظ به، وفتحوا الحوار مع تنظيمه، كأنهم وجدوا تنظيما قويا داخل الصحراء فاحتفظوا به كما أرادوا الاحتفاظ بي فيما بعد، حيث قضيت بعد مرحلة السجن عدة سنوات تحت الإقامة الجبرية بالجزائر. هكذا تمت العلاقة مع مصطفى الوالي تحت الضغط وتحت التعذيب، وستصبح العلاقات عادية... إلى أن تم اغتياله في ظروف غامضة.

في السياق ذاته أريد أن أفتح قوسا، وأنا أتذكر خلال تجربتي بالجزائر بعض الجلسات التي حضر فيها كل من أحمد دراية مدير الأمن الجزائري وسي محمد الميلي الذي كان مديرا لوكالة الأنباء الجزائرية، وحضر فيها بالضبط الراحل باهي محمد الذي كان اقترح عليه أن يؤسس تنظيما صحراويا سيكون مدعوما من طرف الجزائر، لكنه رفض وقد كتب في مذكراته عن هذا الموضوع من خلال جريدة الاتحاد الاشتراكي.

عطفا على ما سبق، سيقوم الوالي بزيارة لليبيا من جديد، ومن خلال علاقاته في ليبيا سيرتبط مباشرة مع النظام الليبي، ففي البداية تعامل معه الإخوة كطرف في التنظيم وسيتم تقديمه للجهات الليبية كمناضل في إطار الحركة وليس في إطار تنظيم مستقل، ففي هذه الفترة ستذاع مذكرة الوالي مصطفى في إذاعة صوت التحرير الموجهة للمغرب من ليبيا على عدة حلقات، على غرار برامج كان يتم إعدادها في بعض المناسبات، كذكرى حل وتصفية جيش التحرير بالجنوب، أو ذكرى احتلال سبتة ومليلية والجزر الجعفرية، كما كانت تذاع برامج تتناول قضية الصحراء المغربية من خلال إذاعة صوت التحرير لمساندة نضال المناطق المحتلة في الجنوب، هنا سيتعرف الوالي مصطفى على شخص يقول إن أصله من الساقية الحمراء وله نفوذ عند القذافي، اسمه الكشاط فعن طريقه سيرتبط بقناة أخرى، لأن الفقيه البصري كان مرتبطا بليبيا عبر جهاز أمن المخابرات، وكما تعلمون في كل دولة هناك مخابرات عسكرية، مخابرات أمنية، وفي نفس الوقت تكون الأطراف والمؤسسات السياسية منحازة لجهة من الجهات المخابراتية وتشتغل لحسابها، لكنها في النهاية تصب وتلتقي كلها عند القذافي، وهكذا لن يذهب عن طريق

ALIKHTIAR ATHAOURI
Revue Mensuelle Marocaine

الأختيار الثوري
جريدة شهرية مغربية

Numéro 19 العدد
Prix : 1,50 F الثمن
OCTOBRE 1977 أكتوبر

Corresp : Maurice BLANC - Poste Restante - 103, Av. de la République - 75011 - PARIS عنوان المراسلة

تشكيل الحكومة الجديدة :

ديموقراطية المخزن

في ذكرى المهدي بنبركة

في هذا العدد : مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء

جريدة الاختيار الثوري لسنة 1977 التي نشر بها الوالي مصطفى مذكرته.

حصري:

شهادة أحمد الطالبي من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

عبد المنعم الهوني عضو مجلس الثورة الذي كان في فترة من الفترات وزيرا للداخلية أو عن طريق الأمن الذي كان يديره عبد الرحمن الشيبي، لكنه سيرتبط مباشرة بعبد السلام جلود وهذا الأخير كانت له خلافات قوية مع الفقيه البصري لأن كل جهاز يحب شخصية معينة تشتغل معه.

الفقيه البصري كانت له نقاشات طويلة مع عمر الحمدي الذي كان واجهة سياسية لجهة جلود، وكان قريبا من جمعة الفزاني الذي يعتبر مفكرا قوميا واعتبروه كذلك مؤسسا معهم، لكنه تخلى عنهم، فأصبح الفقيه البصري يحاربهم وأصبحوا يحاربونه، فارتبط الوالي بالقناة التي تحارب الفقيه البصري وأبعد بشكل نهائي عن تنظيماتنا الحزبية.

بالنسبة للجزائر كانت ملجأ أساسيا للمنفيين المغاربة، لسبب بسيط جدا، هو أنه عندما تقطع الحدود «جوج بغال»، ها أنت في الجزائر وها أنت في أمان، في فترة القمع التي كانت في المغرب سواء بعد أحداث سنة 1973 وفي أحداث أخرى سابقة، كان المفر الوحيد للمناضلين المغاربة هو الجزائر ولهذا كان هناك ثقل، فأغلبهم من المقاومين كإبراهيم التزنيتي، الحسين الخضار، أومدا، حمو عبد العليم، مولاي عبد الله الفيلالي، حسن العتابي، زيد وأحماد.. وعدد كبير من المقاومين القدامى بنحمو بنفسه الذي كان قائدا كبيرا في جيش التحرير، المالكي جنحى، الذي أنقذ بومدين من الموت في حادث الباخرة دنيا.. كلهم كان منحاهم هو الجزائر، ولما جاءت قضية الصحراء أتيحت لي فرصة أخذ إحدى المبادرات، وكان لي الشرف بالعمل عليها، فلما وصلت قضية الصحراء إلى ذروتها، اتخذت مبادرة لأجل خلق تقارب بين الفقيه البصري وبن سعيد أيت إيدر، اللذان كانت بينهما خلافات حادة، وتمت المصالحة، وكان هناك تنظيمان، الأول عرف بالاختيار الثوري والثاني عرف بـ 23 مارس، وبما أن التنظيمين التقيا في عدة مواقف سياسية من النظام آنذاك وحول قضية الصحراء التي كنا نجمع على مغربيتها، سنجمع الشمل بين الزعيمين ونقوم بأول مبادرة بالتنسيق بين الطرفين، وهي إصدار بيان لقداماء المقاومين وجيش التحرير ينص على مغربية الصحراء، ومن سيوقع عليه؟ طبعا كانت أغلب التوقيعات من طرف المنفيين بالجزائر والذين كان لديهم موقف من النظام ويربطون بين السيادة الوطنية والسيادة الشعبية، بمعنى أنه لا يمكن أن نتكلم عن تحرر الصحراء دون أن تسود الديمقراطية داخل البلاد، كما لا يمكن أن تحرر الصحراء بمفهومها المخزني والمعتقلون في السجون، نقطة أخرى في الموضوع تتعلق بإقليم الداخلة، ففي ذلك الزمن طرح تقسيم الصحراء ما بين موريطانيا والمغرب، بإدراج جهة الداخلة تحت السيادة الموريطانية، تبعا للتقسيم الذي تم في السفارة الأمريكية بمدريد، فهناك سيوقع الاتفاق البروتوكولي لتقسيم الصحراء، والذي تم رفضه من طرف المقاومين من خلال نص البيان ذاته، ودار الزمن ليصبح التقسيم غير وارد.

بخصوص البيان المشار إليه، أذكر أنني تكفلت شخصيا صحبة سي محمد التوزاني بالاتصال بجميع المقاومين في الجزائر وأوربا، بمن فيهم المرحوم الفقيه الفكيكي أحد المؤسسين الكبار للحركة الوطنية المغربية والحسين الخضار وكل المقاومين الموقعين على البيان، ولدي نسخة منه. وفي ذلك الوقت ستثار ضجة لأن البيان صدر من الجزائر، حيث ساد اللبس عن ماذا سيكون موقف المقاومين، فحتى فرع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في الجزائر أصدر هو الآخر بيانا يؤكد فيه على مغربية الصحراء من قلب الجزائر، البيان نشرته الصحافة الجزائرية دون أن تذكر أن الصحراء مغربية حيث وقفت عند ويل للمصلين، كما نشرته جريدة لومانيتي الفرنسية وجريدة لوموند، وكتب علي يعته على إثر البيان افتتاحية خاصة، البيان وزعته أنا والتوزاني على جميع المقاومين لوضع التعديلات، وكان التحرير النهائي للمقاوم الشهيد عبد الفتاح سباطة فهو من قام بالصياغة النهائية، وأشير هنا إلى أن سباطة كان مقاوما وتعرض للمحاكمة إبان الاستعمار الفرنسي وهو لم يبلغ بعد سن الرشد (17 سنة) في فترة الاستعمار.

الوالي مصطفى كان ناشطا وحدويا بالجامعة المغربية.

نقطة أخرى متعلقة بالبيان، وجبت الإشارة أن الإعلان عنه بعقد ندوة داخلية حضرها جميع المقاومين بالجزائر، ولا زلت أحتفظ بتسجيلات لمداخلاتهم في شريط صوتي «كاسيت»، يشرحون فيه مواقفهم من قضية الصحراء ويتحدثون عن مراحل تحريرها.

مواقفنا المتعلقة بقضية الصحراء ظلت تشكل إحراجا للسلطات الجزائرية، والتي كانت في حاجة لأطراف من المعارضة تكون بجانبها، لكن شريطة استعمالها فقط كورقة ضد النظام المغربي، لكن هؤلاء المناضلين ظلوا متمسكين بوطنيتهم واستقلالية قراراتهم وسأسوق لكم بعض الأمثلة في ذلك.

فخلال هاته المرحلة كانت للإعلام أهمية كبيرة، لذلك كنا نصدر منشوراتنا باللغتين، العربية والفرنسية، وتتكفل الفروع الحزبية بأوروبا بترجمتها إلى باقي اللغات، كالإسبانية والهولندية والفلامانية..، وكان الموقف من الصحراء يتم توضيحه على هذه الشاكلة على المستوى الأوروبي، أي ربط النضال من أجل سيادة الشعب في إطار

حصري:

شهادة أحمد الطالبي من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

سبق لعسكر الجزائر أن اعتقل الوالي مصطفى السيد توجسا من استقلالية قراره عن مؤامرات الجزائر.

ديمقراطي، ورفض تقسيم الصحراء بين المغرب وموريطانيا.

هذا الموقف عبرنا عنه في إطار العلاقة مع الأصدقاء الجزائريين، ونقوم بتعميمه على مستوى النشر وفق هذه الصياغة داخل الجزائر.

في فترة من الفترات سيطرح على الجزائريين حاجتهم إلى إعلام مساند لهم، وسيتزامن ذلك مع توقف إذاعة صوت التحرير التي كانت موجهة إلى الشعب المغربي من طرابلس، وكان يتابعها الناس في البوادي والمدن ضمن أوقات معينة من الأسبوع، في البداية يوما في الأسبوع، ثم تحول البث إلى يومين في الأسبوع.

الجزائريون أرادوا أن يستلهموا هذا النوع من الإعلام، واقترحوا على فرع الجزائر إنشاء إذاعة مناوئة للمغرب، لكنهم رفضوا، وكان المشرف على هذا الموضوع هو الكولونيل سليمان هوفمان من قدماء الجيش الفرنسي ومهندس الانقلاب على بن بلة، وهو الشخص نفسه الذي كان مشرفا على ملف الصحراء، وكانت وهران بحكم موقعها الاستراتيجي، المنطقة المرشحة لإنشاء الإذاعة، فاقترحوا على المقاوم الحسين الخضار الذي هو صهري، بأن يعمل الفرع الحزبي على تأسيس إذاعة، حيث جاءه ضابط بالمخابرات العسكرية، كان يلعب في نفس الآن دورا مزدوجا بكونه يمثل جبهة التحرير، فقال له عليكم بفتح إذاعة، فرد عليه الحسين الخضار، «الصحراء نحن من ناضل فيها وإذا كان لجوؤنا نحو الجزائر فمن أجل بلدنا»، وأخذ النقاش بينهما مستوى من التصعيد، فقال له الحسين الخضار أريد أن أوقر في ذهنك شيئا: «هل بإمكانك أن تعض أذنيك»، حسب التعبير المغربي، مستأنفا، «إذا كان بإمكان ذلك، يمكننا نحن أيضا أن نقيم إذاعة ضد بلدنا في بلدك».

في فترة من الفترات سأنتقل إلى الجزائر وسأمارس عملي بشكل عادي، إطارا ضمن حركة التحرر العالمية، وكانت تضم تمثيليات لحركات التحرر بأمريكا اللاتينية ومن باقي أنحاء العالم، ثم حركة التحرر العربية، وتضم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير عمان وغيرها، في هذا الإطار قمت على مدى شهرين بتقديم عروض حول قضية الصحراء في الاتجاهين معا، وستقوم الجزائر في إطار مناورة إلى جانب البوليساريو، حيث كنا نجتمع في مكان اسمه القبة، وهي فيلا قدمت للمهدي بن بركة خلال فترة حكم بن بلة، وكان يستقر بها عبد الرحمان زغلول من منظمة 23 مارس، وكنا نعقد بها الاجتماعات في الوقت ذاته. الجبهة الشعبية بما أنها كانت مؤيدة للبوليساريو، ستنقل الاجتماع إلى مقرها، فاضطررنا إلى التوجه إلى مقرها، وحين وجدنا البوليساريو مدعوة للاجتماع، أعلنا انسحابنا، نفس الشيء سيتم القيام به في إطار اجتماع حركات التحرر العالمية.

في يوم من الأيام، سيلقى علي القبض وسأسجن لمدة عام ونصف في أبشع سجن بالجزائر، سجن «البرواكية»، الذي يعود إلى عهد مرحلة الاستعمار الفرنسي، وبعد انتهاء مرحلة الاعتقال، سأخضع للإقامة الجبرية. وسيقولون لي ستؤدي الثمن عنك وعن الحسين الخضار بالنيابة لأنه رفض التعاون مع السلطات الجزائرية.

• يوسف رزين

الجذور الوسيطية لقضية الصحراء

يحار المرء في فهم سلوك الدولة الجزائرية تجاه المغرب. كيف يعقل أن يشترك البلدان في اللغة والدين والعرق والجغرافيا، ومع ذلك تكون العلاقات بينهما بهذا المستوى من القطيعة والتدهور؟ كيف يكون هناك شعبان على هذا المستوى من التشابه والتماثل في العادات والتقاليد ومع ذلك يفصل بينهما جدار برلين من الريبة والتوجس؟ الواقع أن هذا التوجس ليس متبادلا بدليل إعلان المغرب عن رغبته المتكررة في فتح الحدود وتطبيع العلاقات وإنهاء الخلافات العالقة. لكن النظام الجزائري مازال مصرا منذ عقود على توتير علاقته مع المغرب، وذلك بمساندته لصنيعته البوليساريو في مطالبها الانفصالية بدعوى مساندته لحق الشعوب في تقرير مصيرها ! رغم أن هناك مطالب انفصالية في كل من إقليم الباسك بإسبانيا وجزيرة كورسيكا بفرنسا، ومع ذلك لا تلقى اهتماما من النظام الجزائري. فلماذا يا ترى يساند هذا النظام حركة البوليساريو الانفصالية ويرغب في فصل المغرب عن أقاليمه الجنوبية؟ و لماذا يستميت في ذلك جاعلا منه عقيدة سياسية وعسكرية لا يتزحزح عنها؟ ما السبب يا ترى؟ طبعا هناك من سيجيب عن هذا السؤال بالإشارة إلى الحرب الباردة وما اقتضته من حروب بالوكالة بين المعسكرين الشرقي و الغربي. وهناك من سيحفر قليلا في تاريخنا الراهن و يحيلنا على حرب الرمال سنة 1963 وما تركته من خدوش في نفسية أقطاب النظام الجزائري. غير أن الجواب على هذه الأسئلة يكمن في نظرنا في أحداث فترة أقدم بكثير من حرب 1963. فترة كانت هي المحدد الرئيس لسلوك من يحكم الجزائر تجاه المغرب مستقبلا، و هي الفترة التي تؤرخ لعصر الدولة المرينية. فكيف ذلك؟

• يوسف رزين

بداية نقول إن هناك مبدأ عاما في العلوم السياسية وهو أنه إذا أردنا أن نجد حلا لمشكلة سياسية مستعصية، فعلينا أن نعود إلى جذورها التاريخية. هكذا إذن نفهم كيف نشأت هذه المشكلة وكيف نسجت خيوطها الأولى وتحولت إلى عقدة سياسية مستدامة. وهو ما نعانيه مع جيراننا الشرقيين.

تبدأ رحلتنا إذن مع انهيار الدولة الموحدية وتفككها إلى دول مستقلة. في الشمال ظهرت دولة بني الأحمر بغرناطة، وفي المغرب الأقصى ظهر المرينيون، وفي المغرب الأوسط ظهر بنو عبد الواد، وفي المغرب الأدنى ظهر الحفصيون.

لم يكن استيلاء المرينيين على الحكم بالمغرب سهلا إذ قضوا فترة لا بأس بها في تمهيد البلاد والتصدي لهجمات الإيبيريين ومواجهة بقايا الموحدين ومعاناة دسائس ومؤامرات بني عبد الواد. وهو ما جعل السلطان أبا يوسف المريني مباشرة بعد تغلبه على الموحدين وفتح مراكش يقرر الانتقام من بني عبد الواد. و هو ما يعبر عنه ابن خلدون بالنص التالي «لما غلب السلطان أبو يوسف على بني عبد المومن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستمائة وعاد إلى فاس كما ذكرنا، تحرك ما كان في نفسه من ضغائن يغمراسن وبني عبد الواد وما أسفوا به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده»، فارتحل بجيشه يريد تلمسان.

لكن حدث أن استنجد به الأندلسيون لإنقاذهم من وطأة العدو القشتالي. كان أبو يوسف آنذاك قد وصل إلى أنكاد، وقرر أن يجنح إلى السلم مع يغمراسن إيثارا للجهاد. فأرسل جماعة من الأشياخ للإصلاح بينهما. لكن يغمراسن رفض الصلح وأصر على الحرب وهو ما كان، فانهزم رغم استعانته بالمرتزقة النصارى وفر إلى تلمسان محتميا بأسوارها، في حين حاصره السلطان أبو يوسف لمدة من الزمن ثم قفل راجعا إلى فاس.

رغم انتصار أبي يوسف على عدوه إلا أنه لم يقرر الجواز إلى الأندلس، لأنه في واقع الأمر لم يكن قد استكمل إخضاع كل أقاليم المغرب الأقصى، حيث تبقى له فتح إقليم سجلماسة. يذكر أن هذه المدينة خضعت للأمير المريني يحيى بن عبد الحق والذي جعل يوسف بن يزكاسن واليا له عليها وعلى بلاد درعة وبلاد القبلة. فهذا الوالي إذن كان يحكم المنطقة الممتدة من سجلماسة الى دولة مالي تحت راية الدولة المرينية المغربية. أي أن كلا من الصحراء الشرقية والغربية كان يتبع تاريخيا للمغرب منذ هذا العهد وما قبله أيضا. وبعد وفاة هذا الوالي تولى إدارة سجلماسة الوالي عمر بن عمر لكن بعد وفاته دخلها يغمراسن واستتبعها لدولته. ولهذا فما أن سيطر السلطان أبو يوسف على معظم بلاد المغرب حتى توجه لإقليم سجلماسة لإعادته إلى حظيرة الوطن وهو ما كان حيث انتزعه من يغمراسن بعد معارك ضارية. و هو ما يعبر عنه ابن خلدون بالنص التالي: «وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبي يوسف وتمت طاعته في أقطاره فلم يبق أي معقل يدين بغير دعوته»، ما يعني مرة أخرى أن الصحراء الممتدة من سجلماسة الى بلاد القبلة (مالي) تتبع تاريخيا للمغرب باعتراف ابن خلدون، الذي عبر عنه بالجملة التالية «وكمل فتح بلاد المغرب». و يضيف ابن خلدون قائلا: «ولما كملت له نعم الله في استيساق ملكه وتمهيد أمره انصرف إلى الغزو و إيثار طاعة الله بجهاد أعدائه واستنقاذ المستضعفين وراء البحر من عباده»، ما يعني أن ما كان يمنع السلطان المريني عن الجهاد في الأندلس ونجدة أهلها هو انشغاله باستكمال فتح بلاد المغرب والقضاء على الثورات بها ورد هجمات يغمراسن. و هو ما يعبر عنه ابن خلدون قائلا: «وفي أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادي بالمسلمين من وراء البحر والملأ من أهل الأندلس يفدون على أمير المسلمين أبي يوسف للإعانة والنصر.. فلا يجد مفزعا من إلى ذلك بما كان فيه من مجاذبة الجبل مع الموحدين ثم مع يغمراسن ثم تشغله بفتح المغرب وتدويخ أقطاره... استكمل أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة إحدى وسبعين وستمائة على أن بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون إليه وفي نفوسهم جنوح إليه وصاغية». و هو ما كان حيث أرسل السلطان المريني جيوشه الى الأندلس لملاقاة النصارى فحاربوهم وانتصروا عليهم و قتلوا زعيمهم دننه وبذلك تمت نجدة الأندلس.

لكن رغم ذلك فإن هذا الانتصار المريني على النصارى لم يرق لابن الأحمر. لقد رأى أمير غرناطة في هذا الانتصار مقدمة لسيناريو يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد. لذلك قرر بدون تردد تشكيل تحالف ثلاثي مع حاكم قشتالة ويغمراسن ضد الدولة المرينية لمنعها من إجازة البحر نحو الأندلس. يقول ابن خلدون : «لما أجاز أمير المسلمين الى العدوة إجازته الأولى ولقي العدو بأستجة و قتل دننه بأيدي عسكره وصنع له من الظهور والعز ما لا كفاء له، ارتاب ابن الأحمر بمكانه فبدا له من ذلك ما لم يحتسب وظن بأمير المسلمين الظنون واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الأندلس» ويضيف «واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الإجازة وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء

• يوسف رزين

الجذور الوسيطية لقضية الصحراء

البحر وراسلهم في مشاقة السلطان وإفساد ثغوره وإنزال العوائق به المانعة من حركته والأخذ بأذياله عن النهوض إلى الجهاد، وأسفوا فيما بينهم الإنصاف و المهاداة.. وأصفقت أيديهم جميعا على السلطان ورأوا أن قد بلغوا في إحكام أمرهم وسد مذاهبه إليهم واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش».

و حينما علم السلطان المريني بأمر الحلف الذي عقده يغمراسن مع ملك قشتالة وابن الأحمر بعث إليه من أجل الصلح حتى يتفرغ للجهاد في الأندلس، لكن غريمه رفض و أصر على العداوة. يقول ابن خلدون : «واستيقن ما دار بينه و بين الأحمر والطاغية ابن أخي ادفونش من الاتصال والإصفاق فبعث إليه في تجديد الصلح والاتفاق فلج وكشف الوجه في العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة مسلمهم وكافرهم من الوصلة، وأنه معتزم على وصل بلاد المغرب، فصرف أمير المسلمين عزمه إلى غزو يغمراسن.. وقفل إلى فاس.. و أعاد الرسل إلي يغمراسن لإقامة الحجة عليه والتحلي بمسالمة بني توجين والتجافي عنهم لموالاتهم أمير المسلمين فقام يغمراسن في ركائبه و لج في طغيانه».

وهنا حسم السلطان أبو يوسف أمره و قرر محاربة يغمراسن : «واشتد القتال سائر النهار وانكشف بنو عبد الواد عندما أراح القوم و انتهب جميع مخلفهم وما كان في معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط وبات معسكر أمير المسلمين ليلتهم في صهوات خيلهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدي بني مرين من نعمهم وشائهم ودخلوا بلاد يغمراسن وزناتة.. وأخذ هو بمخنق تلمسان.. ثم أفرج عنها وقفل إلى المغرب ودخل فاس.. ثم نهض إلى مراكش.. وسرح ابنه الأمير أبي يعقوب الى السوس لتدويخ أقطاره».

نلاحظ هنا أنه مباشرة بعد حصار أبي يوسف لتلمسان اندلعت ثورة الاعراب بالسوس. وهو أمر سيتكرر كثيرا في تاريخ الدولة المرينية. أي أن هؤلاء الأعراب القاطنين بالمناطق الجنوبية للمغرب منذ عهد الدولة الموحدية بأمر منها كان يتم تحريكهم من طرف الحلف القشتالي الأندلسي التلمساني لمشاغلة المغرب وصرف انتباهه عن هدفه الأساسي وهو الجهاد في الأندلس أو محاربة الذين يصدون عن هذا الجهاد كيغمراسن. فتلمسان تشغل المغرب عن الجهاد في الأندلس وحينما يقرر معاقبتها يقوم الأعراب في جنوب المغرب بمشاغلته.

لكن رغم هذه المشاغلة من طرف الأعراب تمكن الأمير أبو يعقوب من القضاء على تمردهم وهو ما يعبر عنه ابن خلدون قائلا : «وسرح الأمير أبا يعقوب ولي عهد بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه و اتبع آثارهم الى الساقية الحمراء اخر العمران من بلاد السوس».

و بعد تشتيته لجحافل الأعراب جنوب المغرب اتجه السلطان أبو يوسف إلى منازلة النصارى بالأندلس في جيوش ضخمة فهزمهم في عدة معارك وهو ما أجبر ملكهم شانجة على طلب السلم، فأرسل لأجل ذلك وفدا من بطارقتهم لكن السلطان رفض طلبهم. فما كان من ملك قشتالة إلا أن عاود مرة أخرى طلب الصلح منه. يقول ابن خلدون: «و أوفد على أمير المسلمين من بطارقتهم وقممامصتهم وأساقفتهم يخطبون السلم و يضرعون في المهادنة و الإبقاء ووضع أوزار الحرب، فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم. ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه، فأسعفهم أمير المسلمين وجنح إلى السلم لما تيقن صاغيتهم إليه وذلهم لعز الاسلام واشترط عليهم ما تقبلوه عن مسالمة المسلمين بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة». توضح الجملة الأخيرة من هذا النص ما كان يقوم به ملك قشتالة ممثلا في سياسة «فرق تسد» و إشغال المسلمين ببعضهم البعض كما يفعل مع بني عبد الواد وغرناطة ضد المغرب.

المثير هنا هو قيام ابن الاحمر سلطان غرناطة بمراسلة الطاغية (ملك قشتالة) للتحالف معه ضد المغرب. لكن ملك قشتالة سيرفض طلب ابن الأحمر وسيرده خائبا حذرا من إغضاب سلطان المغرب. يقول ابن خلدون : «ووفدت رسل ابن الأحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين وعلى مدافعته عنه فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان واسمعهم ما عقد لأمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال لهم، إنما انتم عبيد أبائي فلستم معي في مقام السلم أو الحرب، وهذا ملك المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا».

يلاحظ في هذه الأثناء خروج الثائر طلحة بن علي البطيوي بصحراء درعة متزعما قبائل بني حسان المعقلية فغزاهم السلطان وشتت جموعهم. ثم لما عاد السلطان إلى فاس خرج عليه ابنه ابو عامر بمراكش بمساعدة عاملها محمد بن عطو، ما أجبر السلطان على العودة إلى مراكش فهرب ابنه ووزيره محمد بن عطو إلى تلمسان. ما يعني أن هذا التمرد كان من تدبير عثمان بن يغمراسن ولذلك طلب منه السلطان تسليمه المتمردين الفارين لديه لكنه أبى، بل واعتقل رسوله إليه فقرر السلطان عندها غزو تلمسان.

نخلص مما سبق إلى أن هذه التمردات بالأقاليم الجنوبية للمغرب لم تكن عفوية أو وليدة الصدفة بل كانت من تدبير الحلف القشتالي الغرناطي التلمساني لإشغاله عن الإجازة إلى الأندلس. وهو ما يوضحه ابن خلدون في النص التالي: «ولما ارتاب ابن الأحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من الأندلس وحذره على ملكه وتظاهر مع الطاغية على منعه من الإجازة إلى عدوتهم ، خشوا أن يستقلوا بمدافعته، فراسلوا يغمراسن في الأخذ بحجزته وأجابهم إليها وجرد عزائمه لها، و اتصلت أيديهم في التظاهر عليه.»

يبقى القول أن دور تلمسان لم يقتصر على مشاغلة المغرب لمنعه من الجواز إلى الأندلس بل أيضا لمنعه من التمدد شرقا وربط الصلة بإفريقيا وبجاية وإعادة إحياء الدولة الموحدية. كان دور

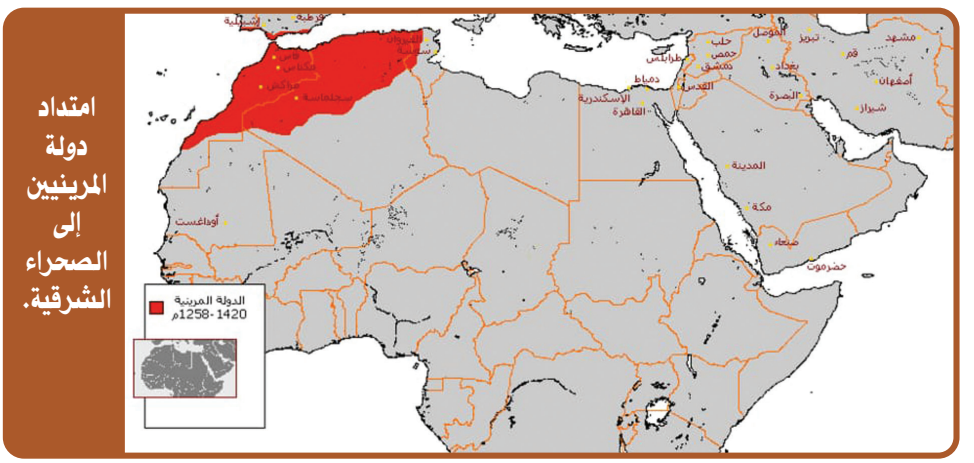

امتداد دولة المرينيين إلى الصحراء الشرقية.

• يوسف رزين

الجذور الوسيطية لقضية الصحراء

تلمسان إذن هو أن تحارب المغرب وتحارب بقايا الموحدين بشرق أرض المغارب وتمنع أي اتصال بينهما.

يقول ابن خلدون: «وهلك يغمراسن بن زيان... وأوصى ابنه عثمان ولي عهده... فلا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم، فليس لك في ذلك مقام معلوم... واجهد جهدك في التغلب على افريقية وراءك، فإن فعلت كانت المناهضة... وهذه الوصاة -زعموا- هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب افريقية ومنازلة بجاية وحربهم مع الموحدين». كما يوضح ابن خلدون كيف أن صاحب تلمسان شكل حلفا ثلاثيا مع قشتالة وغرناطة ضد المغرب فيقول: «كان عثمان بن يغمراسن بعد إخراج السلطان سنة تسع وثمانين وستمائة وانتقاض الطاغية وابن الأحمر عليه كما قلناه، صرف إلى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بريدي من صنائع دولته سنة اثنتين وتسعين وستمائة ورجعه الطاغية الريك ريكسن رسول من كبار قومه... واعتدها السلطان عليه وطوى على النكث».

و أمام هذا التآمر العبد وادي الذي لا يكل، قرر السلطان المريني غزو تلمسان. فحاصرها و بنى قبالتها مدينة المنصورة لتشديد الخناق عليها. كما قام الموحدون ببجاية بالتحالف مع السلطان يوسف بن يعقوب وساعدوه بأساطيلهم ضد يغمراسن. لكن في هذه الاثناء تدخل ابن الأحمر لاحتلال سبتة لإشغال السلطان عن فتح تلمسان وفك الحصار عنها، فأرسل أبو يوسف ابنه ابا سالم لمعالجة هذا الموقف. لكن وكأن هذا الإشغال في شمال المغرب لم يكن كافيا فاندلع بعد ذلك تمرد بني كندوز بنواحي مراكش فحاربهم الأمير يعيش بن يعقوب وشردهم بصحراء سوس ودمر قاعدتهم تارودانت.

نخلص مرة أخرى من كل ما سبق أن هذه التمردات لم تكن عفوية بل كانت بتحريض من الحلف الثلاثي : تلمسان وغرناطة و قشتالة. غير أن أعمال هذا الحلف لم تقتصر على تدبير الثورات عند أطراف المغرب بل امتدت الى اختراق أجهزة الدولة وشراء ولاء رجالاتها وتدبير الاغتيالات لسلاطينها. و هو ما حدث مع السلطان أبو يوسف يعقوب. فما دام أنه لم يفك حصاره عن تلمسان رغم مهاجمة سبتة من طرف ابن الأحمر وتحريض بني كندوز على التمرد والثورة، فإنه تم في هذه الحالة اللجوء ألى تحريض أحد خدم السلطان على اغتياله علما أن هذا الخادم كان من موالي ابن المليانى الذي سبق أن خان ثقة السلطان و سبب في مقتل أشياخ المصامدة الموحدين بتزويره كتابا عن السلطان يأمر فيه عامله على مراكش بقطع رؤوس هؤلاء الأشياخ، ثم فر بعد ذلك إلى تلمسان ثم بعدها إلى الأندلس. ما يعني أن البلاط المريني كان مخترقا على أعلى مستوى وأنه كان يعج بعملاء أعداء الدولة المرينية . و لذلك لم يكن صعبا عليهم اغتيال السلاطين المرينيين. وهو الأمر الذي تكرر بكثرة في تاريخ هذه الدولة.

إذن باغتيال السلطان أبو يوسف يعقوب انتهى أمر الحصار وتم فكه عن تلمسان. فتولى السلطان أبو ثابت الحكم وعاد إلى المغرب حيث سيجد نفسه مشغولا بتهدئة ثورات الأعراب في كل من مراكش وبلاد السوس و تامسنا ورباط الفتح وأزغار وبلاد الهبط وغمارة وأصيلة والعرائش وطنجة. كما حاصر سبتة و شيد لحصارها مدينة تيطاوين وأثناء ذلك اعتلت صحته وتوفي بعد أيام قلائل ما يجعلنا نرجح تعرضه للتسميم.

وتولى الحكم بعده السلطان أبو الربيع الذي رغم أنه وادع صاحب تلمسان وعقد معه السلم إلا أنه لم يسلم من مؤامراته وحمايته للخارجين عليه ما جعل المرينيين يعزمون على معاقبته مباشرة بعد تولي السلطان أبي سعيد.

قرر هذا السلطان سنة 714 ه غزو تلمسان جراء مؤامراتها المستمرة على المغرب واتجه بجيشه إليها و ترك ابنه أبا علي بفاس نائبا عنه. و لأن المخزن المريني لم يكن يخلو من اختراق فإن هذا الأمير تمرد على أبيه ودعا لنفسه مستعينا بخاله قائد المرتزقة النصارى بالجيش المريني. ما يعني أن هذا القائد النصراني كان له ولاء لقشتالة فمارس خطتها الأثيرة مع المغرب تحت شعار: إشغال الدولة المغربية كلما همت بمواجهة أعدائها.

لكن رغم تمرد الأمير ابو علي واستعانته بالمرتزقة النصارى فإن غالبية رجالات الدولة المرينية وعلى رأسهم الأمير أبي الحسن ظلوا على ولائهم للسلطان أبي سعيد. ما دفع الأمير أبا علي لطلب الصلح من والده. فتراضى الطرفان على أن يعود السلطان لحاضرة ملكه بفاس و ينتقل الأمير ابنه إلى سجلماسة حاكما لها باسم والده السلطان أبي سعيد.

يقول ابن خلدون : «ونزل الأمير أبو علي على سجلماسة فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستخدم ظواعن العرب من المعقل وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات و تيكورارين وتمنطيت وغزا بلاد السودان فافتتحها وتغلب على ضواحيها وأثخن في أعرابها من ذوي حسان و الشبانات وزكنة حتى استقاموا على طاعته وبيت عبد الرحمن بن الحسن بن يدر أمير الأمصار بالسوس في تارودانت مقره فافتتحها عليه عنوة و قتله و اصطلم نعمته وأباد سلطانه وأقام لبني مرين في بلاد القبلة ملكا وسلطانا».

يوضح هذا النص إذن المناطق الصحراوية التي كانت تابعة للدولة المرينية وهي توات وتيكورارين وتمنطيت وبلاد السوس وبلاد القبلة في إشارة مرة أخرى لنفوذ الدولة المغربية منذ العصر الوسيط على ما يسمى في الأدبيات الجغرافية بالصحراء الشرقية و الغربية.

ونعود إلى موضوعنا و نشير الى أن قشتالة لم تجرؤ على مواجهة الدولة المرينية بشكل مباشر لقضم أراضي الأندلس بالتتابع بل كانت تلجأ في ذلك الى خطتها الأثيرة وهي سياسة الإشغال وتشتيت الانتباه سواء من خلال دعم المؤامرات الغرناطية التلمسانية الأعرابية على حدود المغرب أو بتدبير الانقلابات والخيانات

امتداد الدولة المرابطية إلى الجزائر وحتى أقاصي إفريقيا.

• يوسف رزين

الجذور الوسيطية لقضية الصحراء

من داخل البلاط المخزني الحاكم، وذلك من خلال وزراء وأمراء خونة. كل ذلك من أجل إرباك سياسة الدولة المرينية وصرف انتباهها عن الخطة القشتالية الحثيثة في القضم التدريجي والمتواصل للأراضي الأندلسية. وهو ما يوضحه النص التالي: «كان الطاغية شانجة بن ادفونش قد تكالب على أهل الأندلس من بعد أبيه هرانده الهالك سنة اثنتين وثمانين وستمائة ومنذ غلب على طريف وشغل السلطان يوسف بن يعقوب بعدوه يغمراسن ثم تشاغل حفدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم. وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولى ابنه هرانده ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولا كاملا، و نازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين وراسل هرانده بن ادفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الأندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم. فنازل المرية و حاصرها الحصار المشهور سنة تسع وسبعمائة ونصب عليها الالات... واستقام أمرهم على ذلك، وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه، فاهتبل النصرانية الغرة في الأندلس وزحفوا إلى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأناخوا فيها بعسكرهم وأممهم».

كما أن انشغال المغرب بمشاكله الداخلية شجع تلمسان أيضا على قضم أراضي الموحدين في بجاية وتونس. يقول ابن خلدون : «واستقل أبو حمو بملك بني عبد الواد على راس الحول منها. وصرف نظره واهتمامه إلى بلاد المشرق فتغلب على بلاد مغراوة ثم على بلاد بني توجين... ثم زحف أبو حمو إلى الجزائر و لب ابن علان عليها ونقله إلى تلمسان... وردد البعوث غلى أوطان بجاية وابتنى الحصون لتجمير الكتائب، فابتنى بوادي بجاية من أعلاه حصن بكر... واستحثه أمراء الكعوب من بني سليم لملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبي يحيى فأغرس من مشاغلة بني عبد الواد للمغرب والقضاء على دولتهم للالتفات للمشكل الأهم الذي يؤرق الدولة المرينية وهو استعادة ما ضاع من أراضي الأندلس من يد النصارى والتي استولوا عليها في غمرة انشغال المغرب بمشاكله مع الأعراب و بني عبد الواد.

كان أبو الحسن يفهم جيدا أسلوب بني عبد الواد. فهو ما أن يحاصرهم حتى يلجأوا إلى مشاغلته بتمرد أخيه الامير أبي علي حاكم سجلماسة. ولهذا قرر أولا أن يستوثق من ولاء أخيه له، وهو ما كان. يقول ابن خلدون: «لما هلك السلطان أبو سعيد و كملت بيعة السلطان أبي الحسن وكان كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي علي. فأراد مشارفة أحواله قبل النهوض إلى تلمسان، فارتحل معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة وتلقته في طريقه وفود الامير أبي علي مؤديا حقه، موجبا مبرته.. قانعا من تراث أبيه بما حصل في يده طالبا العقد له بذلك من أخيه.. فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل، وعقد له على سجلماسة و ما إليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما..» ثم اتجه بعد ذلك الى تلمسان «... وانكفأ راجعا معهم جيوش زناتة... وكانت حروبهم سجالا».

وأمام هذا الواقع قرر سلطان بجاية أبو يحيى الاستنجاد بالمرينيين. وهنا سيتشكل ما يمكن أن نصفه بحلف الموحدين الجدد ضد تلمسان والممالك النصرانية، على اعتبار أن المرينيين كانوا يعتبرون أنفسهم استمرارا للموحدين و تونس وبجاية التي تصفها المصادر صراحة ب « الموحدين». وقد تمتن هذا الحلف المريني البجائي بالمصاهرة التي تمت بين ولي العهد المريني الأمير أبي الحسن وابنة السلطان أبي يحيى حيث «زفها إليه في أساطيله مع مشيخة من الموحدين».

توفي السلطان أبو سعيد وتولى بعده ابنه السلطان ابو الحسن فكان أمامه هدفان : الانتهاء الى تلمسان لإجابة صريخ الموحدين» لكن ما إن اقترب جيش السلطان من هدفه حتى أعلن أخوه الأمير أبو علي عن تمرده بتنسيق مع صاحب تلمسان. يقول ابن خلدون: «لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان وتجاوزها إلى تسالة لوعد مولانا السلطان أبي يحيى دس أبو تاشفين إلى الأمير أبي علي في اتصال البدو والاتفاق على السلطان أبي الحسن وأن يحتل كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه متى هم به وانعقد بينهما على ذلك.. و انتقض الأمير أبو علي على أخيه السلطان ونهض من سجلماسة إلى درعة فقتل عامل السلطان واستعمل عليها من ذويه وسرح العسكر إلى بلاد مراكش». وعلى إثر ذلك اضطر السلطان أبو الحسن إلى العودة مسرعا إلى سجلماسة ومحاصرتها واقتحامها بالقوة. ثم عاد بعد ذلك لمحاصرة تلمسان وبعد فترة تمكن من اقتحامها ليشرع بعد ذلك في الاستعداد للجهاد في الأندلس.

توضح سياسات الدولة المرينية أن شغلها الشاغل كان هو حماية الأندلس من تعديات النصارى و قضمهم التدريجي لأراضيها. والذي ما كان ليحدث لولا سياسة الإشغال التي اتبعها بنشاط عدوها بتلمسان وأعراب الصحراء. وهو ما يوضحه ابن خلدون في النص التالي : «لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما اتبع ذلك من الأحوال، صرف اعتزامه إلى الجهاد لما كان كلفا به. وكان الطاغية منذ شغل بنو مرين عن الجهاد منذ عهد يوسف بن يعقوب وقد اعتزوا على المسلمين بالعدوة ونازلوهم معاقلهم، و تغلبوا على الكثير منها، وارتجعوا الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرناطة، ووضعوا عليهم الجزية فتقبلوها وأسفوا إلى التهام المسلمين بالأندلس. فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وغلب على الأيدي يده و انفسح نطاق ملكه، دعته نفسه إلى الجهاد».

و هكذا سيتحد الأسطولان المريني و البجائي وينتصران على أسطول النصارى في معركة المُلند، لكن الممالك النصرانية ستنتصر على المسلمين في معركة طريف والجزيرة بفضل اتحادها و خيانة الوزير عسكر بن تاحضريت الذي تكاسل عن عمد في مدافعة العدو.

قرر السلطان أبو الحسن بعد هزيمة جيشه في طريف والجزيرة أن يركز أكثر على توحيد أرض المغارب ممنيا النفس ربما بإعادة الكرة مرة أخرى في الأندلس، فضم إليه بجاية وقسنطينة وتونس والقيروان، وفرض الأمن والنظام بها ومنع الأعراب من فرض إتاواتهم على التجار والمسافرين، فقرروا التمرد عليه وطبعا بمساعدة وتحريض من مملكة أراغون. فالممالك النصرانية لم تكن تجد أفضل من الأعراب لمشاغلة المرينيين

امتداد دولة الموحدين إلى كل شمال إفريقيا والأندلس.

• يوسف رزين

الجذور الوسيطية لقضية الصحراء

منعا لهم من التفكير في الجهاد في أرض الأندلس. وهو ما يوضحه النص التالي:
«وتوافت احياء بني كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من اعياص الملك من ينصبونه للأمر، فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من أعقاب أبي دبوس فريسة بني مرين من حلفاء بني عبد المومن بمراكش عندما استولوا عليها. وكان من خبره أن أباه عثمان بن ادريس بن أبي دبوس لحق بعد مهلك أبيه بالأندلس وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بن دباب وهو أسير برشلونة فلما انطلق من أسره صحبه إلى وطن دباب بعد أن عقد قمص برشلونة بينها حلفا وأمدهما بالأسطول على مال التزماه له».

و طبعا بقية القصة معروفة حيث انهزم جيش أبي الحسن بافريقية وتمرد عليه أشياخه وعادوا إلى المغرب وانقلب عليه ابنه أبو عنان معلنا نفسه سلطانا على المغرب، بينما توفي هو محاصرا بجبل هنتاتة. وعادت أرض المغارب الى التشظي من جديد. و تولى الحكم بعد ذلك أبو عنان و قرر بدوره استعادة السيطرة على المناطق المتمردة فغزا بني عبد الواد و «تقبض على أبي سعيد سلطانهم، فسيق إلى السلطان وآمر باعتقاله، وأطلق أيدي بني مرين من الغد على حلل العرب من المعقل، فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شرهوا إليه من النهب في المحنة في هيعة ذلك المجال. ثم ارتحل على تعبيه إلى تلمسان فاحتل بها لربيع من سنته واستوت في ملكها قدمه، و أحضر أبا سعيد فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليه، و أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا، فافتوا بحرابته وقتله، وأمضى حكم الله فيه، فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وجعله مثلا للآخرين». ثم تابع أبو عنان حملته فاستعاد سيطرته على باقي أرض المغارب.

نلاحظ هنا أن أبا عنان مباشرة بعد فتحه لبجاية سيندلع تمرد ضده من طرف أخيه أبي الفضل الذي التحق بملك قشتالة «و جهز له أسطولا إلى مراسي المغرب وأنزله بساحل السوس فلحق بالسكسيوي عبد الله ودعا لنفسه». نفهم مرة أخرى من تصرف ملك قشتالة بإرساله للأمير أبي الفضل مع دعم عسكري إلى جنوب المغرب أنه كان يلجأ لسياسة «الإشغال» لمنع السلطان أبا عنان من إتمام سيطرته على كامل أرضي المغارب. لأن هذا الهدف إذا تحقق معناه هو إعادة إحياء دولة الموحدين واتفاق شعوبها على محاربة الناصري في الأندلس. لقد كانت سياسة الممالك النصرانية في أوربا هو حصر الدولة المرينية داخل الحدود الترابية للمغرب الأقصى ومنعه من التمدد شمالا وشرقا. لذلك حوصر المغرب من طرف أعداءه الأندلسيين شمالا والتلمسانيين شرقا بدعم وتحريض من قشتالة.

كما لم تعدم قشتالة أمراء طموحين ومغامرين للاستيلاء على الحكم فكانت ترسلهم المرة تلو الأخرى بتنسيق مع غرناطة مع الدعم العسكري اللازم لهم للهجوم على المغرب، سواء من جهة الشمال كسبتة أو غمارة أو من جهة الجنوب كمنطقة سكساوة. المهم ان يظل السلطان في انشغال دائم مع الثورات المحيطة ببلاده من كل جانب فلا يفكر أبدا في توحيد أرض المغارب وإعادة بعث الدولة الموحدية ومواجهة الممالك النصرانية بأوربا الطامحة إلى الاستيلاء على الأندلس والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط دون المغرب.

و رغم أن السلطان أبا عنان قضى على هذا التمرد وتابع مسيره للسيطرة على تونس إلا أنه في النهاية فشل في تحقيق مسعاه حيث تمرد عليه أشياخه رافضين الاستمرار في حملته العسكرية و انتهى به الأمر مغتالا خنقا بتدبير من وزيره الحسن بن عمر.

سارت الأمور بعد ذلك في الدولة المرينية على هذا المنوال ولم تخرج عنه. فكلما تولى سلطان أو وزير حكم المغرب إلا وحاول السيطرة على تلمسان. كما أن الحلف القشتالي الأندلسي التلمساني الأعرابي كان لا يكف عن مهاجمة المغرب وتدبير الثورات في شمال المغرب وشرقه وجنوبه حتى انهارت الدولة المرينية وتقلص ظلها وصارت أرض المغرب طعمة لقبائل الأعراب، تعيث فسادا في سهولها كيفما شاءت. لكن في المقابل اختفت غرناطة من الوجود وهاجر أهلها منها وأتم القشتاليون حلمهم القديم في السيطرة على كامل أرض الأندلس . أما التلمسانيون فبعد طول معاندة و تآمر ضد المغرب فإنهم ارتضوا بدون مقاومة الاحتلال العثماني لبلدهم. وأما المغرب فقد نهض من جديد تحت اسم الدولة السعدية التي وإن كان قد فقد معها مجاله الأندلسي والمغاربي فإنه حافظ على امتداده الصحراوي الإفريقي واستمر ذلك حتى مع الدولة العلوية.

في المقابل فإن بني عبد الواد ظلوا مستكينين للأحتلال العثماني ومن بعده الاحتلال الفرنسي، حتى حصول الجزائر على استقلالها سنة 1962 مع ما يعنيه ذلك من انبعاث للإحن القديمة تجاه المغرب.

إذن بناء على ما سبق، نفهم أن الجزائر الحالية لا يمكن أن تنسى تاريخها المتوتر مع المغرب. لقد ترك هذا التاريخ رُهابا عميقا تجاه جارها الغربي. فهي تتخيله دائما على وشك الانقضاض عليها. لذلك فما من شيء لديها كفيل بتهدئة هذا الرُهاب غير إشغال المغرب بمشكل انفصالي على حدوده الجنوبية عن طريق صنيعتها البوليساريو. إن استمرار هذا المشكل هو بالنسبة للدولة الجزائرية الحالية استمرار لوجودها ونهايته معناه فراغ المغرب من أي عائق يمنعه من اكتساح الجزائر. هكذا إذن يتمثل حكام قصر المرادية علاقتهم مع جارهم الغربي ولا يبدو أنه باستطاعتهم التخلص من فوبيا العصر المريني. ولذلك فهم مستعدون لبذل الغالي والنفيس لاستمرار مشكلة الصحراء وصنيعتها البوليساريو، فهي بالنسبة لهم صمام أمان ضد اكتساح مغربي مفترض لبلادهم.

هذه باختصار قصتنا مع جارنا الشرقي وهذا سبب عداءه المزمن لنا والذي للأسف لا يمكن أن ينتهي بين ليلة وضحاها، رغم التأكيدات المستمرة للمغرب عن رغبته الجادة في بناء علاقات حسن الجوار مع جارتنا الشرقية أسيرة الرُهاب المريني.

ملحوظة: سيتم نشر هوامش المقالة في النسخة الالكترونية
www.attarik.net

الطريق إلى الصحراء

الوالي مصطفى السيد.. ماذا لو ؟

• كريمة خورشا بنعثمان

حلت في يونيو الماضي، الذكرى الرابعة والأربعين لوفاة الوالي مصطفى السيد، أحد أبرز مؤسسي البوليساريو وأبرز منظري أطروحتها في سنواتها الأولى وأول رئيس ل"جمهوريتها"، بعد صد بري وجوي من طرف القوات الموريطانية وحلفائها في منطقة تجكجة، التي تبعد عن نواكشوط ب حوالي 200 كلم، لهجوم شنته البوليساريو على موريطانيا سنة 1976.

سقط الوالي ضحية أفكاره وآماله الكبيرة في محاربة الجهل والأمية في مجتمع ارتبط جله بالترحال، وبمحاربة المستعمر الإسباني، وبتوحيد مستقبل المنطقة المغاربية... أفكار وآمال غذاها تشبعه بالفكر اليساري التقدمي الاشتراكي، وتعارضت جملة وتفصيلا مع جزائر بومدين التوسعية التي تبحث عن تبعية كاملة للشباب الصحراوي الثائر لمخططاتها، ومع طموح قيادات شابة رأت في ما يؤمن به الوالي مصطفى السيد حدودا لها وقيودا للتسيد والتسلط اللذان تعطش لهما البعض منذ الدفعات الأولى لسلاح القذافي.

آمن الوالي بأن القبيلة هي بطبعها معارضة للتنظيم السياسي ومناقضة له، ولا يمكنهما أن يتعايشا، فوجود نظام قبلي موازي لتنظيم سياسي كالدولة مثلا، يقوض كل ما تريد الديمقراطية أن تبنيه، حيث تستشري مظاهر الفساد والمحسوبية والانتهازية والتضييق على حقوق غير المنتمين للقبيلة السائدة، وهو ما يعني أن القبيلة تصبح نقيضا للديمقراطية والعدالة والكرامة والحرية، وتنتفي حقوق الفرد والجماعة لفائدة فئة لن ترعى سوى مصالحها الخاصة، والتي ستكون فيما بعد سبب ضعف "الدولة"، خصوصا التي تؤطرها الأفكار الثورية والتي ستقهر الشعب وخاصة إذا كان شعبا طامحا للتحرر والانعتاق.

ماذا لو بُعِثَ الوالي الآن؟ لو أتيح له أن يعيش زماننا لَصُدِمَ من هول ما آلت إليه أمور "الجمهورية" : اعتقالات واختطافات وتضييق على الحريات وأرصدة وحسابات لمسؤولي الجبهة في أوروبا وأمريكا اللاتينية وفي غيرها، وبقايا أغنيات كانت حماسية فأصبحت...

ماذا لو لم يمت بيد الغدر في صيف قائظ.. شاباً في الثامنة والعشرين؟ هل كان سيزج بأهله في قبر تندوف وقحطها لعشرات السنين؟ هل كان سيزرع براءة سنوات الأطفال في معسكرات كوبا؟ هل كان سيرهن مستقبل المنطقة لعقود؟ هل كان سيرضخ لإملاءات حكام الجزائر ويرضي نزعاتهم التوسعية على حساب مبادئه مثلما فعل رفاق الأمس؟

ماذا لو قبل الوالي أو اقترح صيغة ما من صيغ الكرامة التي تخرج الصحراويين من جحيم لحمادة وتندوف، وهو الذي كان يعيد ترتيب الأوراق عندما بدأ التحكم في الجبهة لرميها كسهم اتجاه المغرب بعد خروج إسبانيا من الصحراء، وهو الذي دعا قبل اغتياله إلى ضرورة الجلوس إلى مائدة الحوار مع المغرب؟ فمن قتله قد عرف كيف يجهض فكره الوحدوي، ولو إلى حين.

ماذا لو عاش الوالي؟

لكان جَنَّبَ الصحراويين والشعوب المغاربية كثيرا من الحروب بالوكالة، ولكان مناضلو حركات مثل "خط الشهيد" و"صحراويون من أجل السلام"، والذين أسقطوا ما تبقى من أوراق التوت عن قيادات جبهة البوليساريو، منخرطين الآن في بناء المستقبل الآمن الذي تستحقه كثبان الصحراء.

الوحدة الترابية، قضيتنا الوطنية.. وسؤال التحصين

• فاطمة تامني

لأن الأرض تشكل مكونا من المكونات الأساسية للذات الوطنية والحضارية، فاستكمال التحرير تؤطره رؤية كفاحية تاريخية من منطلق النضال الوطني لتحرير الأرض في علاقتها بتحرير الإنسان والتي شكلت وتشكل، إلى جانب النضال السياسي من أجل التغيير الديمقراطي، والنضال الاجتماعي من أجل مناهضة الاستغلال والقهر وهضم حقوق الكادحين، وكذا النضال القومي من أجل القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع الوجودي الحضاري مع الكيان الصهيوني، تعاقدات تاريخية تقتضي مواقف واضحة وقرارات نضالية مرتبطة بضرورات وطنية وسياسية، أدت إلى تبني خيارات ومواقف خاصة في لحظات زمنية معينة بنسق سياسي وفكري واقتصادي، وتفاعل مع الحاجة إلى البناء الديمقراطي.

إن المغرب اليوم يعيش على وقع أعطاب بنيوية طالت كافة المجالات والحقول، وأزمة مركبة تعمقت أكثر وتضاعفت تداعياتها على كل مناحي الحياة في ظل جائحة كورونا التي عرت واقع التهلهل الصحي والاقتصادي والاجتماعي ببلادنا، كما أبانت عن عجز المنظومة الرأسمالية في حماية المواطنات والمواطنين، أمام تغول الرأسمال واستشراء الفساد ومأسسة الريع، في ظل استمرار حالة الانحباس السياسي ورهن الديمقراطية التي أخلفنا معها الموعد مرة أخرى، ونحن أمام استبداد جديد تسلل الى المجتمع متوسلا بالفكر اللاعقلاني ومعاول التأخر التاريخي. وإذا كان تجاوز هذا الوضع المأزوم لن يتأتى بغير إطلاق إصلاحات سياسية عميقة تؤسس لملكية برلمانية وفصل حقيقي للسلط وربط للمسؤولية بالمحاسب ، في إطار تأسيس ديمقراطية حقيقية، فإن تحصين الوحدة الترابية لا يمكن أن يتأتى بالتدبير الانفرادي للدولة المستأثرة بكل تفاصيل الملف ومستجداته وتطوراته، واعتماد المقاربة الأمنية المبنية على التحكم وشراء الذمم وصناعة الأعيان، وتحريك تنظيمات المجتمع عند الأزمات، بدل الاعتماد على الذات الوطنية في كليتها، على اعتبار قضية الصحراء تهم الجميع وهي قضية كل المغاربة..

إن إشراك تنظيمات وهيئات وفعاليات المجتمع ، ينبغي أن ينطلق من مسؤولية واعية بكون قضية الوحدة الترابية قضية كل المغاربة فعلا، بجعلهم في قلب الدفاع عن القضية وتوفير المعطيات والأدوات اللازمة لذلك، بدل احتكار المعلومة وفتح المجال لاستغلال القضية الوطنية للاستفادة من الريع وتبذير المال العام والحصول على الامتيازات.

إن تحصين وحدتنا الترابية يتطلب شروطا ضرورية تستحضر البعد الإنساني في إطار التنمية الشاملة، مع القطع مع كل المقاربات الضيقة المؤطرة بالريع والابتزاز، أو الاحتواء بمنطق الزبونية. وبطبيعة الحال فالسياق والشرط الموضوعي يقتضي فتح ملف استكمال السيادة الوطنية على كل التراب الوطني، بما في ذلك مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما، لأنه لم يعد مقبولا أن تظل مناطق مغربية محتلة وخاضعة للاستعمار الاسباني.

إن الجواب العملي على الأطروحات الانفصالية والمحاولات الاستفزازية للبوليساريو مدعوما بالنظام الجزائري في منطقة الصحراء، واللذان يغذيان كل ما من شأنه أن يطور النزاع ويعمق التناقضات الموروثة عن القوى الاستعمارية والرد على المعادين لحق المغرب التاريخي في صحرائه، هو العمل على تقوية الجبهة الداخلية، وذلك بتأسيس ديمقراطية حقيقية والقطع مع الفساد والريع ونهب المال العام، ووضع حد لسن السياسات اللااجتماعية والتفقيرية لعموم الشعب المغربي، وذلك من أجل مغرب قوي قادر على مواجهة التحديات والإجابة على الانتظارات والتطلعات المرتبطة بالتنمية بأبعادها الشاملة، فتحصين الوحدة الترابية والترافع عن قضية الصحراء في كل المحافل والمناسبات هو فعل وممارسة تتطلب الوعي بالتحديات وإدراك المخاطر، وهو ما يقتضي قوة مجتمعية قادرة على خوض معركة مواجهة الأطروحات العدائية، وهي عملية غير ممكنة إلا في أجواء الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية والمواطنة الحقة من أجل المساهمة في إيجاد الحل السياسي الذي يتيح تدبيرا ذاتيا لسكان المنطقة، في ظل سيادة وطنية مؤطرة بالديمقراطية الشاملة، في إطار مشروع مكتمل العناصر والمقومات والشروط الضرورية والموضوعية للتدبير المجالي الترابي، وهو المشروع الذي يرتبط ارتباطا جدليا بالقيام بإصلاحات دستورية عميقة تقطع مع أخطاء الماضي وتضع المغرب في مصاف الدول الديمقراطية.

بوليفيا: ما خسرناه بالانقلاب سنعيده بالديمقراطية

• سفيان جناتي

من المعلوم والمعروف تاريخيا أن تجربة التحرر الوطني في أمريكا الجنوبية متميزة عن باقي مناطق العالم، وهذا نتيجة للعديد من الأسباب، على رأسها نجاح التجربة الكوبية وما رسخته من قيم في عموم شعوب أمريكا، وخاصة التجربة الفنزولية والبوليفية والأرجنتينية . حيث كل هذه الشعوب تتميز ببعدها الوطني وعدائها التاريخي للمركز الامبريالي، أي مركز الرأسمالية العالمية» أمريكا»، ونعتقد أن هذه التجارب هي بحاجة إلى دراسات موضوعية ونقدية للإستفادة من هذا الإرث النضالي.

فبعد الحصار الطويل على التجربة الكوبية ومحاولة تصفية الإرث الجيفاري، تم تأزم فينزولا عبر المؤامرات الأمريكية، والتدخل في شؤونها الداخلية وتنفيذ العديد من المحاولات الانقلابية، ولم تكتفي الإمبريالية العالمية بهذا فقط، فقد قامت بتأزم الأرجنتين والتضييق على اليسار هناك، أما البرازيل فبدورها لم تسلم من هذا التضييق والتدخل في شؤونها الداخلية، فقد تم عزل الرئيس «لولا داسيلفا» واتهامه ظلما وبهتانا بالعديد من التهم، تمت تبرئته منها فيما بعد، هذا الأمر حدث مع بوليفيا أيضا قبل سنة (خصوصا بعد اتفاق بوليفيا مع روسيا والصين)، حيث قامت أمريكا بدعم واضح ومفضوح للانقلابين، (تم تدبير هذه المحاولة الانقلابية الفاشية على الحركة نحو الاشتراكية) وزعيمها «افو موراليس» واتهامه بتزوير الانتخابات، وتم افتعال أعمال الشغب وتخريب واسعة في شوارع بوليفيا، على إثرها أجبر موراليس على التنحي وتم نفيه خارج البلاد، إلا أن الشعب البوليفي أعطى للعصابة الفاشية وعملاء أمريكا درسا جديدا بين مدى العداء الذي تحمله شعوب أمريكا الجنوبية لمركز الشر العالمي، ومن جهة ثانية بين عن إيمانه القاطع بالديمقراطية الشعبية والحركة الاشتراكية، وهذا يتضح بجلاء عند انحياز الشعب البوليفي ودعمه للمرشح اليساري «لويس أرسي» عن حزب الحركة نحو الاشتراكية، والذي ينتمي إليها الرئيس السابق «افو موراليس»، وأرسي هو خريج كلية الاقتصاد من جامعة بريطانيا ويمكن اعتباره الظل الاقتصادي للرئيس السابق، ووزير ماليته، وفاز أرسي بالانتخابات الرئاسية في بوليفيا من الدورة الأولى، لحصوله على أكثر من 52 في المائة من الأصوات. حيث تقدم صاحب السبعة وخمسين عاما بأكثر من عشرين نقطة على «كارلوس ميسا» وبهذا يكون الشعب البوليفي قد أعاد الحركة نحو الاشتراكية إلى الحكم عن طريق صناديق الاقتراع الانتخابية.

وصرح أرسي يوم فوزه الانتخابي في 2020/10/19 بمؤتمر صحفي: «بوليفيا عادت إلى الديمقراطية وسنعمل من أجل جميع البوليفيين وسنشكل حكومة وحدة وطنية»، وأكد على ضرورة إفساح المجال للمهنيين والشباب ذوي الالتزام، أما عن عودة الرئيس المنفي افو موراليس، فهو يعطي إشارة واضحة حينما قال «طبعا تحدثنا معه وكان سعيدا جدا» وبدورها رحبت رئيسة البلاد بالوكالة «جانين انيي» بفوزه وذلك عبر التويتر بتغريدة تقول فيها: «ليس لدينا تعداد رسمي لكن بحسب المعطيات التي بحوزتنا لقد فاز أرسي بالانتخابات». وحسب بعض استطلاعات الرأي أن أرسي نال 52.4 بالمائة مقابل 31.5 بالمائة لكارلوس مسيا، بهذا يكون الشعب البوليفي قد قدم صورة واضحة عن قناعته رغم كل المؤمرات والدسائس، وبدوره أعلن موراليس من الأرجنتين فوز حزبه قائلا «الحركة نحو الاشتراكية فازت بالانتخابات بفارق كبير بما في ذلك مجلس الشيوخ ومجلس النواب، أرسي هو رئيس بوليفيا».

وقد مرت الانتخابات الرئاسية هذه المرة بهدوء، على عكس العام الماضي حين ترافقت مع أحداث عنيفة خلفت 30 قتيلا، وأفقدت الانتخابات السابقة اليسار أحد معاقله الأساسية في أمريكا اللاتينية، لكن الشعب البوليفي يعيد اليسار إلى مكانته، وهذا نتيجة للعديد من الأسباب أهمها التراجع الاقتصادي والفشل في إدارة أزمة كورونا... فإرادة الشعوب لا تقهر.

حول تطبيع الحكومة السودانية مع الكيان الصهيوني

حوار مع الرفيق علي محجوب، قيادي الحزب الشيوعي السوداني ـ لندن

• علي محجوب

• أجرى الحوار : محمد رقي

الطريق : من خلال تتبعنا لبيانات ومواقف الحزب الشيوعي السوداني المناهظة للتطبيع مع العدو الصهيوني، هل يمكن لكم تنوير قراء جريدة الطريق، حول صحة «توقيع هذا السلام التاريخي المزعوم»؟

الرفيق علي محجوب : ما يحدث الآن للأسف جزء من التآمر على الشعب السوداني وثورته ومحاولة لإخضاع إرادته ومواقفه المبدئية بالتنازل الكامل عن سيادته لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وتابعيها في المنطقة (المحور الإماراتي، السعودي، المصري)، وإعطاءهم فرصة التحكم في سياستنا الخارجية. الولايات المتحدة وذراعها العسكري في المنطقة وعملائها يعملون بتخطيط محكم لإعادة رسم السياسات والتبعية لهم بمشروعات متعددة بمنطق العصا والجزرة، وكما هو معلوم فهناك مخطط في المنطقة تحت مسمى صفقة القرن، ويواكبه ابتزاز لحكومتنا الانتقالية والمساومة برفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب وحل الأزمة الإقتصادية. فما حدث مساومة وبيع لموقفنا المبدئي كشعب مقابل رفع اسم بلادنا من قائمة الدول الراعية للإرهاب، وهو خضوع لابتزاز رخيص من الولايات المتحدة الأمريكية و إدارتها الحالية، والذي سوف لن يسفر في نهاية المطاف إلى حل جذري لمشاكلنا الاقتصادية، ولكن الهدف الرئيسي هو ربط نشاط الرأسمال الطفيلي المسيطر على اقتصادنا بإدماجه في النظام المصرفي العالمي، وإلحاقنا بمؤسسات الاستنزاف الرأسمالي العالمي للشعوب. فموقف الحزب الشيوعي السوداني من التطبيع مع دولة الكيان الصهيوني الإسرائيلي موقف مبدئي وثابت، ويجد سنده في منطلقاته الفكرية والسياسية بالتضامن مع قضايا وقوى التحرر الوطني، والتي أستند فيها إلى دستوره حيث نصت المادة 26/4/3 منه على الآتي (دعم نضالات الشعوب التي تتعرض للقهر والاضطهاد والتضامن مع شعوب العالم المناضلة فى سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي..)، وهذا هو موقفنا من قضايا كافة الشعوب المضهدة والشعوب المناضلة. وهذا هو موقفنا وموقف شعبنا من القضية الفلسطينية وحقهم في السيادة على أراضيهم وقيام دولتهم. وقد أوضحت اللجنة المركزية رأينا في دولة «إسرائيل»: «والدور الذي لعبته في كبح جماح حركات التحرر الوطني بالمنطقة لدعم نفوذ الاستعمار فيها، ولاحقا وكالتها عن الامبريالية التي تغدق عليها بالأموال وترعى تفوقها العسكري والحربي على مجموع قدرات دول المنطقة، وتوفر لها حماية أممية وترعى حروبها التوسعية في دولة فلسطين والدول المجاورة، مقابل تدفق بترول دول منطقة الشرق الأوسط إلى أمريكا

حول تطبيع الحكومة السودانية مع الكيان الصهيوني

• أجرى الحوار : محمد رقي

حوار مع الرفيق علي محجوب، قيادي الحزب الشيوعي السوداني ـ لندن

وحلفائها في الدول الرأسمالية، وقد مثل ذلك أكبر عملية نهب منظم محمي بالقانون الدولي لموارد بلدان وشعوب المنطقة». إننا نرفض إذن التطبيع لأن «إسرائيل» دولة محتلة ومغتصبة لأرض الشعب الفلسطيني، وهنا ندافع على مبدأ الحرية والحق الإنساني في عدم التعرض للاحتلال، وهذا الموقف أقره العالم في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وهولا يختلف عن الموقف من الأبارتهيد في جنوب أفريقيا.

الطريق : كما هو معروف الرفيق علي محجوب، أن السودان كانت تاريخيا إحدى معاقل الثوار، والذين قاوموا إلى جانب الشعب الفلسطيني، ونتذكر الاجتماع التاريخي للدول العربية بالخرطوم سنة 1967، وموقف اللاءات الثلاث «لا صلح لا تفاوض لا اعتراف»، كمرجعية لجميع الشعوب العربية في المقاومة والتحرير والالتزام بقضيتنا المركزية، القضية الفلسطينية، ألا تضنون أن تصريحات المجلس السيادي السوداني الأخيرة مبالغ في جرعاتها : كإعلان حميدتي «أننا ماضون باتجاه بناء علاقات اقتصادية، مع «إسرائيل»، وليس التطبيع..» ألا ترون كذلك، أن التخفي والتحجّج بإزالة وشطب اسم الخرطوم من «لائحة الإرهاب» كلها تبريرات واهية قد تدخل شعب السودان العظيم، في متاهات خطيرة قد تأجج الوضع الاجتماعي والسياسي.. وتدخل السودان في أخطر مراحل الانحدار؟

الرفيق علي محجوب : تناول الحزب في وثائق مؤتمر الرابع في كتيب الماركسية وقضايا الثورة السودانية أكتوبر 1967م الوجود الإسرائيلي وأبان «ان قضية الوجود الإسرائيلي كحصان طروادة خطر حقيقي لضرب الثورة العربية التحررية من الداخل. فمنذ تقسيم فلسطين وقيام دولة إسرائيل صارت هذه القاعدة الاستعمارية سلاحاً بيد الاستعمار. فلقد استخدمت عام 1948م، لوقف المد الثوري الذي اعقب الحرب العالمية الثانية، واستخدمت عام 1956م لضرب مصر بعد تأميم قنال السويس، واستخدمت عام 1967 بعد فشل الردة الرجعية السياسية لوقف التغيير الاجتماعي.وبهذا يتجلى تماماً الدور الذي تلعبه نيابة عن الاستعمار القديم والحديث كأداة للثورة المضادة في المنطقة.» موقفنا وموقف شعب السودان ينطلق من درايته الكاملة بأن مشكلة اليهود لم تنشأ في فلسطين ولا في العالم العربي ولكنها نشأت في أوروبا مع نشأة الرأسمالية وتفاقمت بتفاقم الحياة في المجتمعات الأوروبية الرأسمالية. ولقد نشأت الدعوة اليهودية على أساس التزاوج بين النعرة الدينية والمصالح الاقتصادية للبرجوازية اليهودية.» والمحاولات المحمومة الآن الهدف منها الإلتفاف حول جوهر القضية وتمرير السياسيات الداعية الي جر اغلب الدول العربية والافريقية وربطها بالمصالح الرأسمالية والعسكرية في المنطقة والحكومة الانتقالية اصبحت مربوطة وتعبر عن مصالح المحور الأماراتي السعودي المصري والذي لا يختلف في أداء نفس الدور الذي تقوم به اسرائيل في المنطقة وكله له مقابل معلوم.

الخرطوم لها رمزيتها بمواقفها الثابتة من القضية الفلسطينية وقضايا التحرر الوطني وكما ذكرت أنها عاصمة اللاءات الثلاث، فأستهدافها يكسر هذه الرمزية ومحاولة لمحويها من الذاكرة الشعوب العربية والثورية في العالم.

الطريق : أليست هذه المبادرة تدخل في خانة المتاجرة بقضية فلسطين

الرفيق علي محجوب : هذه سياسة مخطط ومرسوم لها بإحكام منذ مدة، وهناك عناصر عديدة تتعاون في تنفيذها بالمنطقة، بل أصبحت شريكا أصيلا في هذا الجرم، وقد أكد الحزب الشيوعي أن ما يجرى الآن في المنطقة من حروب وتخريب، الهدف منه تمرير ما يسمى بصفقة القرن والتى يعلم الجميع ضلوع عدد من الدول العربية فى مباركتها والعمل على تنفيذها والضغط على حكومة الفترة الانتقالية في السودان ودفعها للتطبيع مع «إسرائيل» بدعاوي مختلفة. فشعبنا له مواقفه التاريخية التى استقر عليها وجدان الشعب بأسره، وبالطبع هذا الحدث سوف يكون له مآلاته وما بعده، وإنها لمعركة مستمرة ما دامت هناك حقوق للشعوب

حول تطبيع الحكومة السودانية مع الكيان الصهيوني

• أجرى الحوار : محمد رقي

حوار مع الرفيق علي محجوب، قيادي الحزب الشيوعي السوداني ـ لندن

والشعب الفلسطيني في سيادته على أرضه ولإزاحة الظلم والاحتلال.

الطريق : هل التركيز على التطبيع في هذه اللحظة من الحكومة الانتقالية يمكن أن يحل مشاكل الشعب السوداني؟

الرفيق علي محجوب : التطبيع مع إسرائيل لن يجلب أي منفعة لشعب السودان، ف «إسرائيل» كزراع رأسمالي ووكيل أمريكي، عينها على مصالحها الأمنية والاقتصادية وهي جزء من منظومة الصراع الرأسمالي في المنطقة، وخاصة مع التخوف من دخول الصين إلى إفريقيا واستحواذها على اتفاقيات اقتصادية يمكن أن تسحبت البساط عن استغلال المؤسسات الاقتصادية الغربية والأمريكية لأوطاننا. فالتركيز إذن على السودان والفترة الانتقالية يمثل هلعا للأمريكان والمحور العربي الملحق بهم، لأن ثورة شعبنا لها سمات متفردة وأصيلة في تحقيق الديمقراطية والرفاه الاقتصادي والحريات. أولا يريد محور الأمريكان إفراغ الثورة من محتواها الثوري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وإلحاقها بما آلت اليه ثورات الربيع العربي في المنطقة، وتدجينها حتى تصبح أداة طيعة لتنفيذ سياساتهم. فما يحدث لا يعدو أن يكون انفراجا فقط، عبر ضخ بعض الأموال كعروض طويلة الأجل وربما مساعدات عينية، تقلل من المعاناة لفترة، لكنها لن تعالج أزمة الاقتصاد السوداني المتمثلة في سيطرة الرأسمال غير المنتج ومؤسساته المتمثلة في شركات الجيش والأمن والشركات الرمادية على الاقتصاد. فالديون الثقيلة التي ورطنا فيها نظام الإخوان المسلمين والنشاط الرأسمالي الطفيلي هي التي أدت لتشوهات الاقتصاد السوداني. فالحل يكمن في تنفيذ شعارات الثورة المعلنة في إعلان الحرية والتغيير وقيام الدولة بواجبها في حماية مكتسبات الثورة والقيام بواجبها أيضا في إحداث التغيير الاقتصادي والاجتماعي، و تو سيع دائرة النشاط ا لا قتصا د ي الذي يؤمن للمواطن حقو قه المشروعة في التعليم والصحة والعيش الكريم. كان أنه على الحكومة أن لا تستكين للخضوع وللابتزاز.

الطريق : كيف تتوقعون، وقع هذا القرار أو الحدث على الشعب السوداني، وكيف تتوقعون ردّ فعل قوى المقاومة والتغيير؟

الرفيق علي محجوب : عجزت الحكومة بشقيها المدني والعسكري التسويق لهذا الموقف الرخيص، وقد ظلت ولا زالت تناور في طرح موقفها الواضح مما تقوم به من اتصالات واتفاقيات في الخفاء وفي الغرف المغلقة، فالشعب السوداني كان ينتظر من قادته الذين نصبهم في حكومة انتفاضته الباسلة الصدق والشفافية في القضايا التي تتعلق بمواقفه التاريخية التى استقر عليها وجدان الشعب بأسره. وللتنصل من فضيحتهم، فقد أعلنوا في أخر تصريحاتهم أنهم ينتظرون، وقد أنكروا أي اتفاق وذكروا أن التطبيع لا بد أن يوافق عليه البرلمان الانتقالي بعد تكوينه. فهذه معركة متواصلة، وشعب السودان انتفض على الظلم ولم يتنازل عن مواقفه المبدئية في مناصرة الشعوب المقهورة وحقها في الحرية والكرامة والعيش الكريم وسيادتها على أراضيها.

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

• رشيد سليم

الحدث

يتعلق الأمر بأستاذ فرنسي للتاريخ والجغرافيا يعرض- خلال حصة للتربية على المواطنة والأخلاق موضوعها حرية التعبير- بعض الرسومات الكاريكاتورية لمجلة شارلي إيبدو تخص الرسول محمد. بعد ذلك تتوالى مجموعة من الأحداث :

أحد أولياء الأمور وهو أب لتلميذة عند نفس الأستاذ يندد بما حدث أثناء الحصة ويتقدم بشكوى للإدارة ولدى الأمن. ثم يقوم بعد ذلك بنشر فيديو على النت يدين فيه تصرف الأستاذ ويعتبره إساءة وتهجما على الإسلام ويطالب بالانتقام منه، ثم يتصل بناشط إسلامي هو الصفريوي عبد الحكيم الذي يبث بدوره فيديو على النت يتحدث عن نفس الحدث ويستجوب التلميذة ذات الإثنى عشرا ربيعا.

يشاهد الشاب الشيشاني البالغ ثمانية عشرة سنة الفيديوهات ويقرر الانتقام للإسلام، فيعترض طريق الأستاذ على بعد أمتار من باب الإعدادية ويقوم بقتله وجز رأسه ثم يصور ذلك المشهد المرعب ويبثه على النت، متوعدا رئيس الجمهورية الفرنسية والفرنسيين بالمثل إذا عادوا للإساءة للرسول. وأخيرا يتعقبه الأمن ويرديه قتيلا ويلقي القبض على ثلاثة من أصدقاءه بتهمة تشكيل عصابة إرهابية والتآمر للقتل.

غالبية الحوارات والنقاشات بخصوص هذا الموضوع هي نقاشات جزئية عاطفية تركز على الحدث نفسه أو تقتطع بعض الحيثيات من هنا وهناك لإظهار هذا ظالما وذاك مظلوما في سبيل المرور إلى مرحلة الإدانة تنفيسا عن المشاعر السلبية. بينما تضيع الصورة الكلية الشاملة والأسباب الحقيقية الكفيلة بتقديم تشخيص حقيقي وحلول فعالة تقينا شر الدخول في حروب دونكيشوتية نحقق من وراءها نشوة انتصارات قومية وهمية تخدرنا حينا من الدهر وتبقينا في دوامة أزمة حضارية لا تنتهي.

تشخيص

يمكننا تلخيص الحدث الذي نحن بصدده كصراع هوياتي طرفيه هم: المهاجرون المسلمون من جهة، والسكان الأصليون الأوربيون من جهة أخرى. هذا الصراع يتصاعد ويزداد حدة، تارة حتى يتحول إلى أزمة يتحدث عنها الجميع. ثم ما يلبث أن يخبو ويخفت ليعتمل في الأعماق بعيدا عن التداول الإعلامي، مثل النار الهامدة التي يمكنها أن تشتعل في أي لحظة لسبب أو لآخر. فما هي الأسباب البعيدة التي تحرك هذا الصراع؟

أسباب الصراع

1 ـ الصراع نتيجة الاختلاف

لكل جماعة بشرية هويتها الخاصة. والتي تحدد كيانها وعلاقتها بباقي الجماعات وموقعها من القضايا المطروحة. وتشكل الهوية أساس الانتماء الذي يبني اللحمة بين أفراد المجتمع الواحد. ومتى ما انفكت عرى الهوية وتفسخت أذنت بتحلل المجتمع وتفككه ومن ثم نهايته. لهذا تنحو الجماعات البشرية طبيعيا نحو الانغلاق على ذاتها حفاظا على هويتها.

ومقابل هذه النزعة الانغلاقية، هناك نزعة مضادة تدفع في اتجاه الانفتاح على باقي الشعوب من أجل التعارف والتبادل والتلاقح الثقافي. فتفتح الأبواب أمام المهاجرين على اختلاف مشاربهم، ليلجوا أراض جديدة ويتعرفوا على أقوام مختلفة. ويتم استقبالهم واستيعابهم ودمجهم في ثقافة الشعب المستضيف.

لكن قد يقع أحيانا أن تكون موجات الهجرة البشرية قوية وبأعداد غفيرة. أو قد يتعلق الأمر بمهاجرين متصلبين متمسكين جدا بعاداتهم وتقاليدهم، أو حتى يسعون لنشر وفرض عقيدتهم واستئصال الهوية الدينية للشعب المستضيف، على اعتبار أنها مجرد ضلال وانحراف... في هذه الحالة تصعب عملية إدماجهم وتذويبهم في ثقافة الشعب المستضيف. لتصبح هوية هذا الأخير مهددة وتتحول الهجرة إلى غزو يهدد بنية المجتمع المستقبل، فتكون ردة الفعل الطبيعية هي العنصرية وكراهية الأجانب Xé-nophobie واحتقارهم.

2ـ أكثر من مجرد اختلاف

رأينا كيف تؤدي الهجرة بأعداد كبيرة حاملة معها عناصر الاختلاف غير قابل للذوبان إلى صراع هوياتي، إلا أن الأمر في حالتنا يتعدى مجرد اختلاف ثقافي شكلي (ربما قد يصدق هذا الأمر مثلا على الأفارقة جنوب الصحراء أو الغجر)، أما بالنسبة للمسلمين فالإشكال أعمق من ذلك بكثير. فهو يتعلق باختلاف على مستوى القيم والمبادئ نفسها، أي بالحق والباطل، الخير والشر، والذي لا يقبل القسمة على اثنين.

فمن جهة لدينا قيم غربية تعلي من قيمة الإنسان وتعتبره القيمة المركزية لتمنحه حرية العقيدة وحرية التعبير وتضمن له العدل والمساواة.. (وهي قيم ضحى في سبيلها الفرنسيون بالغالي والنفيس حتى تمكنوا من تحقيقها وإعلان شعار: مساواة، إخاء، حرية).

في مقابل ذلك لدينا منظومة قيمية تعتمد على أولوية المعتقَد على المعتقِد نفسه أي على الإنسان، ليفقد كل إنسان خرج من عباءة الإسلام إنسانيته وآدميته ويصير مستباح الدم والعرض:

فليست هناك حرية عقيدة: حيث يعتبر كل من خرج عن الإسلام مرتدا وجب قتله. ويعتبر كل من رفض الدخول إلى الإسلام ذمي ذليل (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

• رشيد سليم

حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ).
والحق في ممارسة المعتقد غير مكفول (اتفقت ثلاثة من المذاهب الأربعة على حرمة بناء الكنائس على أراضي المسلمين).
وحرية التعبير ونقد الأفكار غير مُسَلّم بها: كل نقد للأفكار الدينية هو بمثابة تهديد وزعزعة لعقيدة المسلمين ومحاربة الله ورسوله موجبة للعقاب: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض).
أما السخرية فهي من الكبائر (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ).
بالإضافة إلى كل ذلك ينظر المسلمون إلى الحريات الفردية نظرة توجس وريبة ويعتبرونها انحلالا أخلاقيا وتفسخا وعهرا. وأن من واجب الرجل الشريف العفيف أن يراقب بناته وأخواته صونا وحفاظا على بكارتهن، ما يساهم في احتقار المرأة (اختزالها في أعضائها التناسلية) واضطهادها تكريسا للامساواة بين الرجل والمرأة.
وكخلاصة فنحن أمام منظومتين لا تلتقيان: منظومة ترفع من شأن الفرد وتضعه كقيمة مركزية تدافع عن كرامته وحريته.
ومنظومة تعلي من شأن الجماعة بما هي فكر أحادي (التوحيد) ونظام صارم (شرائع وعادات...) يعتبر الحرية فوضى وانحلالا يهدد كيان الجماعة، ما يبرر سحق الفرد وقمعه ومحو أي اختلاف أو فردانية أو تميز أو إبداع (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار). والنتيجة على المدى البعيد جمود وتكلس فكري وحساسية مفرطة اتجاه أي تغيير فكري أو سلوكي ما يفتأ يواجه بسلاح التكفير (حتى بين المسلمين أنفسهم).
هذا الاختلاف الجوهري في القيم ما بين المهاجرين من جهة والغرب من جهة أخرى يؤدي إلى عديد اصطدامات يرصدها سريعا متتبع الأخبار اليومية على أعمدة الصحافة الفرنسية:
تارة يتعلق الأمر بموضوع النقاب والحجاب في الإدارات والمؤسسات. هذا يراه حرية فردية شخصية وعفوية، وذلك يراه هوية جماعية منظمة تسعى لغزو المجتمع وتغيير أسسه بما يمس جوهر العلمانية لفرض دولة ثيوقراطية.

وتارة يتعلق الأمر بحوادث اعتداء على شابات فرنسيات بسبب ارتدائهن لتنورات قصيرة.
ومرات أخرى بسبب البوركيني أو المطالبة بالفصل بين الجنسين في المسابح والمدارس والحافلات.
وتارة أخرى بسبب رفض السلام باليد على مواطنات أو مواطنين خلال حفلات ومراسيم رسمية.
وتارة أخرى أيضا بسبب تحول فرنسيين إلى مسلمين إرهابيين ومشاركتهم في حروب جهاد خارج فرنسا.
ومرات أخرى أيضا بسبب المواجهة بين فئة تصر على حرية السخرية من الأفكار وفئة تصر على قداسة الرموز الإسلامية والتي انتهت بمذبحة شارلي إيبدو، هذه الأخيرة تحولت بالنسبة للفرنسيين لرمز الدفاع عن حرية التعبير، وهذا ما يبرر استعانة الأستاذ ضحية الاعتداء ببداغوجيا بالرسوم الكاريكاتورية لشارلي إيبدو في درس حرية الرأي والتعبير.

3. التهديد الأمني المباشر

بالإضافة إلى التهديد الثقافي والقيمي يشكل المهاجرون المغاربيون في فرنسا أيضا تهديدا أمنيا مباشرا. فقد أبانت الإحصائيات أن نسبة المنحرفين بين المغاربيين هي أكثر ارتفاعا مقارنة بنظيرتها بين الفرنسيين، حيث يشكل المغاربيون نسبة 29% من مجموع عدد الموقوفين من طرف الأمن الفرنسي في سنة 2003، بينما لا تتعدى نسبتهم إلى مجموع الساكنة الفرنسية 6%. وتتنوع جرائمهم ما بين السرقة والتجارة في المخدرات وجرائم الاعتداء. ويرجع ارتفاع هذه النسبة إلى الفقر وتدني مستوى التعليم. البعض يرجع هذه العوامل إلى التهميش والإقصاء الاجتماعي الذي طال هذه الشريحة، لكن دراسة ديموغرافية بسيطة للفئات المهاجرة تنفض بعض الغبار وتبين أن نسبة كبيرة من هؤلاء كانوا أصلا فقراء بمستوى تعليمي بسيط وبدون تكوين مهني معتبر. اعتمدوا في غالبيتهم على العمل اليدوي لكسب قوتهم. وبالتالي فهذه الفئات لم تملك الوعي الكافي الذي يسمح لها بالتكيف مع الواقع الجديد كما لم تملك القدرة على مد أبناءها بتربية تسمح لهم بالتأقلم مع المجتمع، ورسم طريقهم نحو النجاح والترقي الاجتماعي. فكانت النتيجة هي التقوقع على الذات داخل أحياء هامشية في ضواحي المدن الفرنسية حيث يتفشى الانحراف والإجرام.

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

• رشيد سليم

لماذا ليست هناك ردة فعل من قبل المغاربيين نحو التغير والتكيف والإندماج رغم أزمة: "التصلب الهوياتي"

حسب هرم «ماسلو» Maslow فإن أول الحاجات التي يسعى الإنسان إلى تلبيتها هي الحاجة للأكل والاستقرار والأمن، لهذا ففي لحظة الهجرة يكون هَمّ المهاجر الأوحد هو البحث عن هذا الاستقرار الضائع، أما الهاجس الديني فيكون ثانويا بل من الكماليات التي لا يهتم لها، وكما يقول عبد الرحمان المجذوب (الخبز يا الخبز والخبز هو الإفادة *****لو ما كان الخبز ما يكون دين ولا عبادة)، لكن ما أن يتمتع المهاجر بالاستقرار حتى يرتقي إلى مستويات أعلى في هرم ماسلو فيبدأ في التفكير في إثبات ذاته من خلال إثبات هويته.

يتشكل كل منا في مجموعة من الهويات المتداخلة. فأنا مثلا أعتبر نفسي طبيبا مغربيا جديديا ذكرا من الطبقة المتوسطة بصحة جيدة. هذه الهويات تتسم بالليونة والديناميكية ما يسمح بتغييرها حسب المواقف: فأمام النساء أنا ذكر. وأمام المهندس أنا طبيب. وأمام التطواني أنا جديدي. وأمام الفرنسي أنا مغربي. وأمام الفقير أنا من الطبقة المتوسطة وهكذا.

إلا أن المسلمين وخصوصا في الخارج يتميزون بنوع من التصلب الهوياتي، حيث يعتمدون كليا على هوية واحدة هي الهوية الدينية والتي يجعلونها دائما في الواجهة، الشيء الذي له عواقب سلبية كثيرة، تفسرها الأسباب التالية:

أولها أن هذه الهوية متشنجة مطلقة لا تقبل التفاوض أو التنازل (أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض – ما كان لمؤمن أو مؤمنة الخيرة في أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمر).

ثانيها أن زاوية الرؤية الإيديولوجية الإسلامية هي زاوية جد ضيقة وتبسيطية بطريقة مخلة تختزل الوجود من خلال نظرة استقطابية ثنائية: (مؤمن/ كافر)، (شريعة/ طاغوت)، (معي/ ضدي)، وبالتالي فهي صدامية لأبعد حد، لا تعترف بالحلول الوسطى. بالإضافة إلى ذلك فالإسلام يتضمن كما هائلا من التشريعات الإلزامية التي تدخل صاحبها في صراع دائم مع قوانين البلد المستضيف.

لماذا الهوية الدينية لها دائما الأولوية؟

مرد ذلك لعدة أسباب:

أولا، لأن الهوية الإسلامية بطبعها هوية مهيمنة لا تقبل الشراكة (الشرك بالله)، وبالتالي تطغى على باقي مكونات الهوية. حيث أن جل المهاجرين المغاربيين (ورغم عدم التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي)، إلا أنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين قبل كل شيء (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ثانيا، هناك عدة عوامل تاريخية أججت وحفزت هذه الهوية الدينية من خلال تكريس نظرية المؤامرة الصهيونية الصليبية ضد الإسلام: ابتداء من العدوان على فلسطين مرورا بالحرب على العراق ومذبحة البوسنة وحرب الشيشان (وهي جنسية الشاب القاتل) وبورما... إلخ. (يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، دون أن ننسى طبعا الماضي الاستعماري القريب.

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

• رشيد سليم

ثالثا، تأطير المغاربيين في فرنسا من طرف أئمة من خارج فرنسا.

فخوف فرنسا من سقوط المسلمين على أراضيها في شرك الجماعات الإسلامية المتطرفة دفعها للتعاقد مع مجموعة من البلدان (المغرب، الجزائر، تركيا) من أجل توفير أئمة معتدلين يساهمون في تكوين المسلمين في فرنسا على الإسلام الوسطي. كما سمحت لهذه البلدان ببناء مساجد داخل فرنسا وتمويلها. إلا أنه اتضح للقيمين على هذا المشروع فيما بعد أن هذا الإسلام، قد يكون مناسبا في البلدان الإسلامية، لكنه لا يناسب فرنسا بلد العلمانية وحقوق الإنسانية وحرية العقيدة وحرية التعبير... إلخ. لهذا غيرت مؤخرا من سياستها للدفع نحو إسلام فرنسي يتعهده مسلمون مزدادون في فرنسا ومتشبعون بثقافة وقيم حقوق الإنسان.

وأخيرا من العوامل التي دفعت المسلمين في فرنسا إلى الارتماء في أحضان الهوية الدينية هي غياب البديل:

ففي الغرب يجد المغاربي مثلا نفسه في وضعية ضعف لا يُحسد عليها. من جهة يلاحظ هويته في بلاده الأصلي والتي يتمثلها بالفقر والجهل والعنف والإجرام بشتى أنواعه وغياب العدل الاجتماعي وتفشي النهب والرشوة والزبونية في بلدان متخلفة اقتصاديا وفكريا وتقنيا قلما تساهم في بناء الحضارة.

في المقابل هناك الآخر الغربي الذي يملك كل شيء يستحق أن تتباهى به، حضارة غربية عريقة فكريا وحضاريا وفنيا ودول متقدمة متحضرة منظمة تسودها الحقوق والاستقرار والعدل والنظام. هذا التفاوت يشكل بالنسبة للمغاربي صدمة حضارية ويولد لديه إحساسا بالدونية والنقص. تزيد من مرارته بعض التصرفات العنصرية من هناك أو هناك. ما يدفعه للبحث عن هوية تحميه وتمده بالإحساس بالتفوق كنوع من التعويض عن النقص، فلا يجد أمامه إلا الإسلام الذي يرفع من قيمته كمسلم ويعلي من شأنه وينقص من الآخر الكافر النجس الذي يمسح مؤخرته بالورق (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتهم...كنتم خير أمة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...).

أما لو نحى المغاربي عموما والمغربي خصوصا نحو هويته كمغربي مثلا للدفاع عن نفسه فلن يجد شيئا، لأن معظم تاريخ المغرب تم طمره، وتم ربط تاريخ المغرب بقدوم الإسلام أو الفتح الإسلامي، ليصير كل ما سبقه جاهلية وتخلفا، وبالتالي فكل الطرق تؤدي إلى روما أو الهوية الدينية.

لماذا الهوية الدينية لها دائما الأولوية؟

النتيجة هي استمرار الصراع وتزايد حدة التطرف والتزمت من الجهتين: جهة كلما ازدادت العنصرية اتجاهها كلما ازدادت أسلمة وغلوا في الدين. وجهة كلما تمت محاربة رموزها ومبادئها وكلما رأت تفشي علامات التطرف الإسلامي في المجتمع ازدادت عنصرية واستعدادا للمواجهة الحتمية دفاعا عن هويتها وقيمها. كل هذا يدخلنا في حلقة مفرغة غير محمودة العواقب.

• محمد بن طاهر

الايدولوجيا كتفسير للواقع.. الوعي والوعي الزائف

• محمد بن طاهر

إن تفكيك الأوصاف المعجمية بناءً على تحليل مجموعة نصية يسارية، يعطينا نظرة مدققة عن فحوى الكلمات والأفعال المستعملة في الكتابات المتداولة والتحقيقات الواردة في هذه الأوساط والتجربة اللغوية السائدة. فبشكل مستمر ومنهجي، نقرا كتابات حول الواقع المغربي تفيد أن الأوضاع التي يعيشها الشعب المغربي مزرية وأن المسؤولية ترجع إلى من يتحكمون بزمام الأمور.

وبشكل مستمر ومكرر تتم معالجة وتحليل الأوضاع استنادا إلى الفهم الإيديولوجي للأوضاع بالفوارق الطبقية، والتي في جوهرها تحيلنا على تشكيلة طبقية معروفة ومحددة مسبقا من طرف المنظرين والفلاسفة والاقتصاديين كماركس وإنجلز ولينين أو بيده ودومنيل. وهذا لا يفيدنا إلا القليل عن تشكيلتها وعن الخصوصية المغربية لدرجة أننا نجعل منها خيطا رابطا لتحليلنا للمستقبل.

فنحن نحتاج إلى معرفة دقيقة لهذه المعلومات حول التشكيلة الاجتماعية أو الهندسة الطبقية، كما نحتاج لكثير من المعلومات حول عددها ونسبها، مواقع تواجدها، مواقع الصراع، تحدياتها الصناعية والتكنولوجية، طبيعتها البشرية، بيئتها، فوارق الاضطهادات التي تعيشها، علاقتها بمشغليها ومعطيات التنقيب وتنظيم المواجهة، تقاليدها النضالية، تجربة انتصاراتها وإخفاقاتها.

هل الطبقة التي ندافع عنها وهي الطبقة العاملة وعموم الكادحين متعلمة أم لا؟ هل هي قروية أم حضرية؟، هل هي ملمة بحقوقها النقابية والاجتماعية؟، هل سبق لها أن واجهت المستغلين ولها تجربة في ملفاتها المطلبية وحققت مكاسب كمعركة سنة 1936 في فرنسا أو المجلس الوطني للمقاومة ل 1945؟

كما نحتاج إلى معرفة مدها وجزرها للتحقق من وضعها في مسلسل التغيير، ليس كما نريد إسقاطه عنوة عليها فقط لأنه منسجم فكريا مع قراءة لحظية، ولكن على أساس وضعها ومسلسل تراكم وعيها ومدى امتلاكها لثقافة المواجهة والانتصار على خصومها وأعدائها.

فهل نحن الآن في مرحلة إيجابية ومد للطبقة العاملة أم نحن في زمن التراجعات، خصوصا وأن محور الصراع يتنقل باستمرار فنجده وطنيا جامعا في لحظة من اللحظات، وتفريقيا في أخرى لدرجة يدفع فيها بعض المرات إلى احتداد الصراع، كما هو الحال إزاء قانون الشغل أو حرية التعبير أو تحسين القدرة الشرائية.

يقول ماركس في كتاب الإيديولوجية الألمانية: "إن أفكار الطبقة السائدة هي في كل عصر الأفكار السائدة أيضا، بمعنى أن الطبقة التي تمثل القوة المادية في المجتمع هي في الوقت ذاته القوة الفكرية السائدة. إن الطبقة التي تتصرف بوسائط الإنتاج المادي تملك في الوقت ذاته الإشراف على وسائط الإنتاج الفكري، بحيث أن أفكار أولئك الذين يفتقرون إلى وسائط الإنتاج الفكري تخضع من جراء ذلك لهذه الطبقة السائدة.".

نكتفي اليوم، وباستمرار على تحصيل حاصل، بإعادة مقولات أن الطبقة السائدة تسيطر كما بينه ماركس وإنجلز منذ أكثر من 150 سنة مضت، وتثبته المقولة السابقة، غالبا نردد ذلك بدون تدقيق معطيات الهيمنة وميكانزمات السيطرة كما يحدده مفهوم الطبقة السائدة، لذا تحدث إعاقات تأهيل نقيض الطبقة السائدة في مسار تفكيكها والقضاء عليها. أما الطبقة السائدة تتطور وتطور أساليبها باستمرار وتعرف كيف تتجاوز أية معارضة وصمود لهيمنتها باللجوء إلى آليات التقدم والضغط على القوى المضادة الممكنة.

إذن فهذه المعالجة للأمور هي معالجة إيديولوجية محضة، ضعيفة من حيث الواقع الملموس لإنزالها لمجال التنفيذ، وتفتقر إلى المعطيات اللازمة لفهم الواقع الحقيقي بعينات يمكن قياسها ومقارنتها مع المعطيات الوطنية والأممية، وليس فقط بترديد المقولات الكبرى.

وبهذا القصور في ملامسة الواقع، فإن الأيديولوجية، كما طورها ماركس تتحول لأفكار فوقية بدون تطبيق في الواقع، طالما أنها تعكس مصالح لطبقات معينة عاملا محددا للوجود الإنساني، وبهذا الشكل فقد جعلت هذه الأيديولوجية الوعي سلبياً زائفاً (سعد عبد مرسى بدر: الأيديولوجية ونظرية التنظيم، مدخل نقدي). لأن الاكتفاء على مر الكتابات بسرد وترديد ما هو مشروح في جميع الأدبيات والأطروحات

الايدولوجيا كتفسير للواقع.. الوعي والوعي الزائف

• محمد بن طاهر

التاريخية هو في حد ذاته وعي زائف، ما لم يترجم لخطاطة للتنفيذ.

يقول ارنست ماندل والاستشهاد به له ظروفه، إن موضوعة ماركس القائلة: "ليست الايدولوجيا المسيطرة في مجتمع ما إلا إيديولوجيا الطبقة المسيطرة"، تتعارض للوهلة الأولى مع وصف الثورة البروليتارية بأنها قلب واع للمجتمع تقوم به البروليتاريا، ونشاط ذاتي لجماهير المأجورين. يمكن لتفسير سطحي لهذه الموضوعة أن يقود إلى استنتاج مؤداه أنه من الطوباوية بمكان أن نتوقع من الجماهير المسيّرة في ظل النظام الرأسمالي والمعرضة لتأثير الأفكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، أن تنخرط في نضال طبقي ثوري ضد هذا المجتمع، أو حتى في ثورة اجتماعية. ليس هربرت ماركوز (مؤقتا) إلا الأخير في القائمة الطويلة للأيديولوجيين الذين يطرحون للمناقشة الطاقات الثورية الكامنة لدى الطبقة العاملة، منطلقين من التحديد الذي يعطيه ماركس للطبقة المسيطرة.. ويضيف، إيديولوجية الطبقة المسيطرة تسيطر على وعي الجماهير الخاضعة، طالما تكون السيطرة الطبقية فتية، مستقرة وبالتالي غير مطروحة للبحث. في المراحل الأولى للصراع الطبقي، يلجأ المستغلون (بفتح الغين) غالبا لصيغ المستغلين (بكسر الغين) ومثلهم العليا وإيديولوجياتهم. لكن كلما طرح النظام الاجتماعي على بساط البحث، وأصبح الصراع الطبقي أكثر حدة والسيطرة الطبقية أشد اهتزازا، كلما تحررت أقسام من الطبقة المضطهدة (بفتح الهاء) من أفكار المسيطرين. إن الصراع بين إيديولوجية الطبقات المسيطرة والأفكار الجديدة للطبقات الثورية يسبق الثورة الاجتماعية، ويسرّع من جهته الصراع الطبقي العملي بمقدار ما يساعد الطبقة الثورية على بلوغ وعي بمهامها التاريخية الخاصة بها وأهداف نضالها المباشرة، وهكذا يمكن أن ينشأ الوعي الطبقي لدى الطبقة الثورية عن الصراع الطبقي على الرغم من إيديولوجية الطبقة المسيطرة وبمعارضتها.

انطلاقا من هذا يتبين أننا، وفي احتداد الصراع، نحتاج إلى تأجيج الوعي الطبقي على الرغم من أن الطبقة السائدة تكشر عن أنياب الصراع بلا هوادة، لأن الأزمة متفاقمة وشروط الانتفاضة متوفرة وما أزمة كورونا إلا عاملها المحفز. فكفانا من التكرار وترديد المقولات وإعادة المسلمات رغم أحقيتها. نحن في حاجة إلى عقل وليس إلى نقل.فقد انتهى زمن النقل وحلت محله الحداثة، فالعقل له مهمة أخرى غير النقل البسيط، العقل يعيش ضمن الطبيعة والمجتمع وله حيويته الخاصة في إبداع مسار التغيير.

الطريق الثقافي

(إبداع وفنون)

صمت الثمانينيات

◆ سلوى ياسين

حوار سينمائي

◆ عبد الواحد المهتاني

نساء جوديث

◆ محمد بوتنبات

تتويج "طفل الحب"

◆ الهواري غباري

Wassily Kandinsky — Above and Left, 1925

في المرآة...

• ذ. عبد الغني عارف

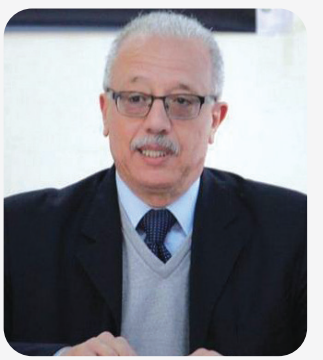

المهدي بنبركة: شهيد الوعي الثقافي المبكر...!

بحلول الذكرى 55 لاختطاف واغتيال الشهيد المهدي بنبركة يُعاد من جديد طرح ذلك السؤال العريض والمركب: من اغتال المهدي ولِمَ تمَّ اغتياله؟..

وإذا كان الشق الأول من السؤال بيد المؤرخين – وإلى جانبهم السياسيون والحقوقيون - لاستجلاء حقيقة الاغتيال، فإن الشق الثاني يبقى دوما سؤالا مفتوحا على كل التأويلات، خصوصا إذا استحضرنا أن الشهيد المهدي كان يبدو أنه يشكل جزءا من ترتيبات مرحلة ما بعد خروج الاستعمار المباشر في إطار السعي إلى بناء المغرب كدولة حديثة.

إن واقعة الاغتيال في حد ذاتها لم تكن غريبة، بمنطق ملابسات المرحلة وتداعياتها المتداخلة، فقد كانت للمهدي شخصية كاريزماتية قوية وجذابة، وطنيا وأمميا، وظروف المغرب آنذاك لم تكن تسمح بتزاحم صور رمزية لأكثر من شخص واحد، بالإضافة إلى أنه كان معارضا شرسا بمنطق ومواصفات المرحلة التي عاش فيها، بخصوصياتها و» أسرارها « الكثيرة والتي من المؤكد أنه لم يكتب تاريخها بمداد الحقيقة بعد.

النبش في الأسباب الحقيقية لاغتيال الشهيد المهدي يضعنا أمام حقيقة لا غبار عليها، وتتمثل في أن اغتياله لم يمكن فقط لأسباب سياسية مباشرة ومرتبطة بالصراع حول تدابير تدبير دفة حكم المغرب الموروث عن الاستعمار، بل أكثر من ذلك ، لقد كان « اغتيالا استراتيجيا»، بالمعنى الذي يفيد أن الجهات التي خططت عملية الاغتيال ودبرت تفاصيلها ونفذتها، كانت ترى في المهدي، ليس فقط رجل سياسة، بل رجل فكر بالدرجة الأولى، ذلك أن أخطر ما كان يقوم به المهدي في نظر أعدائه وخصومه هو أنه كان يعمل من أجل «تحرير الوعي»، أي بناء وعي جديد يستجيب لمتطلبات المرحلة التي كانت تستوجب في رأيه القضاء على بينات الاستعمار الجديد، فضلا عن كونه أسهم بقوة في واضع أرضية متينة للفكر التقدمي بالمغرب، وهو ما جعل التيارات التقليدية والمحافظة داخل الحركة الوطنية تنتبه لما يمكن أن يشكله فكر المهدي من خطورة على مصالحها الطبقية آنا ومستقبلا.

ولعل وثيقة الاختيار الثوري التي حررها، والتي كان من المفترض ان تقدم أمام مؤتمر حزبي، تبرز بالملموس وبالقوة الكافية طبيعة هذا الرجل المفكر، لذلك لم يكن غريبا أن تتم عملية الاغتيال خارج المغرب وبتنسيق محكم بين جهات متعددة كانت ترى في فكر المهدي خطرا على مصالحها وعلى مستقبلها، على الصعيدين الوطني والدولي.

في ضوء ما سبق نتساءل: كيف إذن يمكننا اليوم أن نقرأ فكر المهدي بمعزل عن حدث الاختطاف والاغتيال. بمعنى آخر: كيف يمكن أن نقرأ فكر المهدي قراءة أكاديمية متحررة نسبيا من الجاهز السياسي المؤطر لهذا الفكر إلى حد الأسطرة. إننا إلى هذه اللحظة لا نتصور في المخيال السياسي والحزبي المغربي المهدي إلا شهيدا تم اغتياله، دون أن نعطي لتصورنا هذا مزيدا من الإضاءات الكاشفة عن مناطق قوية في فكر المهدي وتنظيراته، ولذلك يبدو أنه رغم كل التداول الإعلامي والسياسي الذي أحيطت به شخصية المهدي طوال العقود الماضية من تاريخ المغرب، فالحقيقة تقول إن فكره لم يحظ لحد الساعة إلى المعالجة العلمية المطلوبة.

في المرآة...

المهدي بنبركة:
شهيد الوعي الثقافي المبكر..!

ومن باب الكشف عن بعض مناطق القوة في التراث النضالي والفكري للمهدي يتبين أن هاجسه الأساس كان يتمثل في كيفية إيجاد صيغة تحقق الملاءمة الضرورية بين استراتيجية التغيير والثورة والتاكتيكات المناسبة لتلك الاستراتيجية. وكان يعتبر أن حل هذه المعادلة لا يمكن أن يتم فقط بواسطة المواقف والشعارات، بل هي تحتاج في العمق إلى رؤية واضحة. في سياق محاولته تشييد أسس هذه الرؤية في أبعادها الشمولية والمتكاملة، نجد أنه خصص مجهوده السياسي والتنظيمي والفكري لبناء مجتمع متحرر ديمقراطي واشتراكي بناء على استراتيجية واضحة هي استراتيجية التحرير، مسترشدا في ذلك بمجموعة من الموجهات، منها أساسا:

- الوضوح الإيديولوجي والسياسي في المواقف، باستثمار المعطيات العلمية الملموسة في قراءة الوقائع واقتراح البدائل، علما أنه حاصل على شهادة الإجازة في الرياضيات عام 1944؛
- إيمانه ببديل ثوري قائم على أساس النقد العلمي لكل مظاهر الواقع المراد تغييره، أي أنه كانت لديه – ليس فقط أفكار ثورية - بل أطروحة ثورية متكاملة في التغيير.. كان ينطلق من منظومة أفكار وتصورات منسجمة في أبعادها الوطنية الداخلية ومتكاملة مع البعدين القومي والأممي آنذاك. وهو ما يسمح لنا بالقول إن المهدي كان بصدد إنتاج نظرية في الثورة؛
- إنجاز قراءة نقدية لأعطاب الحركة الوطنية، وهو ما جعله يقدم أطروحته النضالية بناء على ما أسماه: الاستعمار التقليدي والاستعمار الجديد.

لقد اتسم فكر المهدي بخاصيتين أساسيتين:

- أولا أنه فكر نسقي، أي أنه فكر يرتكز على النظرة الجدلية والشمولية لمجموع مكونات الصراع محليا وقوميا وأمميا، وهو ما جعله يربط دوما بين البناء الديمقراطي واستكمال التحرير الشامل للوطن؛
- ثانيا أنه فكر يستند إلى التحليل العلمي الذي يميل إلى تفكيك الظواهر والقضايا التي يعالجها، أي أنه كان يطبق بمهارة ثلاثية الأطروحة والنقيض والتركيب في قراءته للأحداث وتحليله للمواقف، مع القدرة على المزاوجة بين النقد والنقد الذاتي.

ونحن نخلد ذكرى اغتيال الشهيد المهدي بنبركة لابد من القول بأننا مطالبون اليوم باستحضار فكره ليس كمرجعية مقدسة، ولكن كمنتوج فكري وثقافي ونضالي قابل للاستثمار والإبداع من داخله.

إن الوفاء للمهدي يتطلب الوفاء للمبادئ والأفكار التي استشهد من أجلها والاستفادة من تصوره الثقافي المتكامل لأطروحة التغيير والنضال في إطار الصيرورة العامة للصراع الطبقي في المجتمع في كل أبعاده الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية والثقافية.

حوار :

جوديث باتلر Judith Butler

[جوديث بتلر - Judith Butler- فيلسوفة أمريكية لها إسهامات في مجالات الفلسفة النسوية، نظرية النوع والمثلية، الفلسفة السياسية، والأخلاق. وهي أستاذة في قسم الأدب المقارن والبلاغة في جامعة كاليفورنيا (بركلي). حصلت بتلر على دكتوراة الفلسفة من جامعة يل عام 1984، وكانت أطروحتها التي نشرت فيما بعد بعنوان موضوعات الرغبة: تأثيرات هگلي على فرنسا القرن العشرين. في أواخر الثمانينات تقلدت بتلر عددا من المناصب، وكان لها اسهامات في تأثيرات ما بعد البنوية في النظرية النسوية الغربية حول تحديد ماهية "المصطلحات الافتراضية" للنسوية.]

◆ ترجمة: محمد بوتنبات

النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء...

• ماذا يعني بالنسبة لك أن تكوني امرأة؟ ونسوية (Féministe) ؟

لست متأكدة من كوني امرأة. كيف لي أن أعرف؟ أقبل أن أتحدث «باعتباري امرأة» في بعض الظروف، بالتزام نسوي، لكن لا يعني بالنسبة لي شكلا من الهوية «الاولية». أن أكون نسوية هو شيء آخر- فليس من الضروري أن أكون امرأة أو حتى «معرفة» ما يعنيه أن أكون امرأة، كي أكون نسوية. النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء- بما فيهن النساء ا لمتحو لا ت . النسوية هي أن تناضل من أجل حرية المرأة في أن تفعل وتتحرك سواء في الفضاءات العمومية أو الخاصة. هي المطالبة بسلطة لإقامة مجتمع عادل. غير أن المذهب النسوي باعتباره حركة، يشير أيضا إلى شكل من التحالف. في هذا المعنى حُدد في أكبر جزء منه بالمعارك التي خاضتها النساء السود. بالفعل، هؤلاء توجدن في الصف الأول، وأنشأن شبكة للتحليل المتقاطع [كلمة مقترحة من طرف المناضلة الأفرأمريكية كيمبرلي وليامز كرينشاو لوصف الثقل المتراكم لمختلف أنواع القمع (المترجم)] الذي يضع مسألة العنصرية، وحقوق الإنسان، ونقد عنف البوليس، والاعتقالات التعسفية، علاوة على العدالة الاقتصادية في قلب النضالات. كما يرتبط المذهب النسوي ارتباطا وثيقا بالمعارك ضد الاستعمار. كيف سيكون الأمر خلاف ذلك، بالنظر إلى الخضوع المزدوج للنساء، وأيضا للمجموعات التي لا تتوافق مع الثنائية الغربية للجنس، في مناطق تخضع للاحتلال والحرب، حيث لازالت آثار الاستعمار تفوح منها؟

• في فرنسا، تقدم الدراسات النسوية نفسها أحيانا كإرادة للقضاء على ثنائية رجل-امرأة. هل هذا هو الحال؟

القليل من الناس، في مجال دراسة الجنوسة، من يبحث عن القضاء على التمييز بين الرجل والمرأة. الأغلبية تحاول فقط فهم تنوع الدلالات التي تنسب إلى كونك رجلا أو امرأة، وكذا مختلف السياقات (العمل، الأسرة،

جوديث باتلر
Judith Butler

النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء...

• ترجمة: محمد بوتنبات

السياسة...) التي تأخذ فيها هذه الأصناف م عنى. ولما كان الأمر كذلك، فمن الصحيح أن بعض الأشخاص يعتبرون أنفسهم غير ثنويين (حالتي مثلا) [أي لا تفصل بين الجنس والجنوسة، بين ما هو بيولوجي وما هو نفسي اجتماعي ثقافي]، ومن الملائم بدون شك، اعتبار النوع كطيف بدلا من اعتباره كتعارض ثنائي رجل/امرأة. باختصار، أدرك حقيقة أنه سيكون دائما اختلاف في مسألة الجنوسة. ومع ذلك، أرفض فكرة أن يكون اختلاف وحيد فقط في مسألة النوع، هو الاختلاف بين الرجال والنساء.

• قالت سيمون دو بوفوار "لا تولد الواحدة من النساء امرأة، ولكنها تصير فيما بعد امرأة". لكن في العمق، هل تصير فعلا امرأة في يوم ما؟ أليس النوع بناء مستمرا؟

[ضحكت] لا واحدة تكون امرأة مطلقا. القول بأن النوع بناء مستمر للذات، لا يعني بأننا نبني ذاتنا بأنفسنا كرجل أو امرأة أو غيرهما، في كل الأوقات. هذا يعني بالأحرى أننا متأثرون بلا انقطاع بقوى، وبمعايير تاريخية متحركة، وغالبا ما تكون في صراع فيما بينها. إذا كنا نتشكل بأنفسنا، فهذا لا يتأتى إلا في سياق تاريخي، فضائي وزماني الذي يشكلنا بصيغة أو بأخرى. إن دلالة الجنس تتطور باستمرار، سواء أكان بالتواصل أم بالتبادل الثقافي أم بتحول الحقوق أم بالصراع الاجتماعي، لكن كذلك بالمجهود المبذول من طرف الكنائس الرجعية وبعض قوات الدولة للزيادة في سلطتها.

• لقد طوّرتِ فكرة "أداء الجندر" للتفكير في بناء الذات ...

لا يرجع "أداء الجندر" إلى البناء الذاتي. فلا أحد في العمق يبني ذاته: إن كلمة بناء تسبق كل فعل نريد القيام به. وبالعكس، فأداء الجنوسة يسائل الفعل: إنه يصلح للتفكير في النضال من أجل العثور على طريق، ولاسترجاع سلطة صودرت في وضعية اقتصادية معطاة، حيث كانت قدرات الفعل عند البعض، قد تم تعطيلها بصورة ظالمة. إننا نوجد في هذا العالم بتسميات النوع التي تحددنا بشكل متكرر. إن الرهان هو الدخول في عملية التكرار هاته، لنرى أي اختلاف نحن قادرون على فعله جماعيا.

• في كتابك "اضطراب الجندر" تقدمين النوع الأنثوي كما لو يُبنى بالرغبة الجنسية المغايرة hétérosexuel ومن أجلها مع النوع الذكوري. فهل العلاقات بين النوعين هي دائما علاقات تحَكُّم؟

الحقيقة أن «اضطراب الجندر» قد مرت على كتابته إلى اليوم ثلاثون سنة، وأفكاري قد تطورت بعض الشيء منذ ذاك التاريخ. فأنا مؤلفة حيوية للأفضل والأسوأ ... يوجد قالب للعلاقة الجنسية المغايرة يتم من خلاله التفكير في الجندر: إطار للمرجعية، بنية اجتماعية يتموقع فيها الرجل والمرأة أحدهما بالنسبة للآخر طبقا لفرضية معيارية مسبقة صارمة هي التغاير الجنسي. ومع ذلك، لا أعتقد أن المشكل هو الرغبة الذكورية في العلاقة الجنسية المغايرة. إن الرهان هو إنتاج نوع من الذكورية والأنوثة تنعتق من هذه الخلفية التي تشكل التغاير الجنسي المعياري المفروض. فكثير من الرجال ذوي علاقة جنسية مغايرة غير معياريين. إنهم يحبون علاقاتهم الجنسية المغايرة، أو يقبلونها ببساطة، لكن لا يعيشونها على نمط الهيمنة، مع القناعة التامة أن الرغبة ينبغي ان تكون رغبة الجميع.

جوديث باتلر Judith Butler

النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء...

• ترجمة: محمد بوتنبات

• كيف التخفيف من آثار معايير الجنوسة؟

في السياقات التقليدية والمعيارية ينبغي توفر شجاعة كبيرة للتحرر. نادرا ما يتعلق بممارسة فردية. أعتقد أن الحركات الاجتماعية هي الطريقة المثلى – أو على الأقل الأكثر سهولة - لتحقيق ذلك. ربما السؤال الحقيقي هو التالي: هل بإمكان الحركات الاجتماعية فتح طرق جديدة لنعيش جنسنا وعواطفنا، أنماط لم يسبق لها مثيل، وكانت تعتبر في السابق مستحيلةً وغير واردة؟ لا يتعلق الأمر بفتح إمكانات جديدة، ولكن إبداع أنماط للعيش لا تسبب أي ضرر، وتؤكد على تعقد الرغبة الانسانية، وتحمي الأشخاص "الذين لا يتطابقون مع هذا النمط" من التمييز والعنف أو اعتبارهم مرضى أو مجرمين وحبسهم. وأعيد القول إن وضع معايير الجندر موضع تساؤل تبرز مع الحركات الاجتماعية وفي قلبها، من خلال شبكات تجتهد في تخيل بدائل لرباط معياري لا يحتمل.

• يرضى بعض الأشخاص بجعل الجنوسة بناء اجتماعيا، لكنهم يعتبرون التقسيم البيولوجي للجنس كمعطى طبيعي. أليست هذه حالتك؟

بالطبع، البيولوجيا والفيزيولوجيا وعلم الجينات جزء منا. لا أنكر هذا. لكن أن تؤخذ لذاتها، فإن هذه المظاهر المختلفة لا يمكنها أن تفسر الدلالات الاجتماعية والثقافية للجنوسة. ينبغي ان نفكر في التفاعلات غير المسببة بين مختلف هذه الميادين. لا يوجد عامل يحدد الجندر بطريقة أحادية: لا تحدد البيولوجيا تعدد دلالات الجنوسة، بيد أن الجندر ليس مفعولا بسيطا للثقافة. يظهر تعقيد الجنوسة في التشابك الفريد لهذه الميادين – تشابك تكون نتيجته دائما غير متوقعة.

• ترى الفيلسوفة الأمريكية نانسي فريزر أن النضالات النسوية (LGBTQI) غير كافية لتحدي الرأسمالية، لأنها قبل كل شيء تتعلق بالاعتراف وليس بإعادة التوزيع. ما رأيك؟

لم تنتم نانسي فريزر في يوم ما لحركة (LGBTQI) [ما يصطلح عليهم تجاوزا بالشواذ من كل الأنواع]، وبالتالي فعلى أي مقياس نأخذ كلامها بجد؟ ما القول في جماعة الدفاع عن Queers [من لم يحس بالانتماء إلى جنس معين] والفقراء والمشردين [بدون مأوى]؟ ما القول في الارتباطات بين الأوساط الماركسية ونظرية (كويرز)؟ والتحالفات العديدة بين (كويرز) والحركات ضد الرأسمالية؟ إن الأشخاص (LGBTQI) كثيرا ما يكونون محرومين من حقوقهم، ومن الفرص المهنية، وحتى من المسكن. ربما يكون المشكل هو أن نانسي فريزر قد أذابت ماركسيتها في فكرة "إعادة التوزيع". هل يسمح هذا الإطار بالتفكير حقيقة في الاستغلال والتهميش والعنف البوليسي؟ فريزر تفكر مثلها مثل (حمْلة حقوق الإنسان) [جماعة الدفاع عن حقوق LGBT، تأسست في (و.م. أ) سنة 1980] في إطار ليبرالي، فلا هي ولا هم يدافعون عن المعارك الراديكالية التي اندلعت في جميع أنحاء العالم. وبالمناسبة، وأثناء الحديث عن "التوزيع"، سيكون من الحكمة التطرق إلى التوزيع غير العادل للقيمة التي تنسب للكائنات الحية: إن حياة أشخاص (LGBTQI) المستهدفة بالعنف والاقصاء، كثيرا ما تعتبر أقل "أهمية" من حياة الآخرين. انظر إلى العنف الذي يتعرضن له النساء والمتحولين بأمريكا اللاتينية وتركيا! لا يتعلق الأمر بمسألة "الاعتراف" بقدر ما يتعلق بمسألة الحق في عيش حر، دون وجوب الخوف على حياته.

• ما هو أكبر رهان للحركة النسوية حاليا بالنسبة لك؟

كما هو الأمر دائما: الفقر والأمية والعنف.

المشاركة السينمائية المغربية
في الدورة 24 بمهرجان الشاشات السوداء بالكاميرون

" الدورة 24 عصارة الإنتاج السينمائي جنوب جنوب "

• ثلاث عبد العزيز صالح

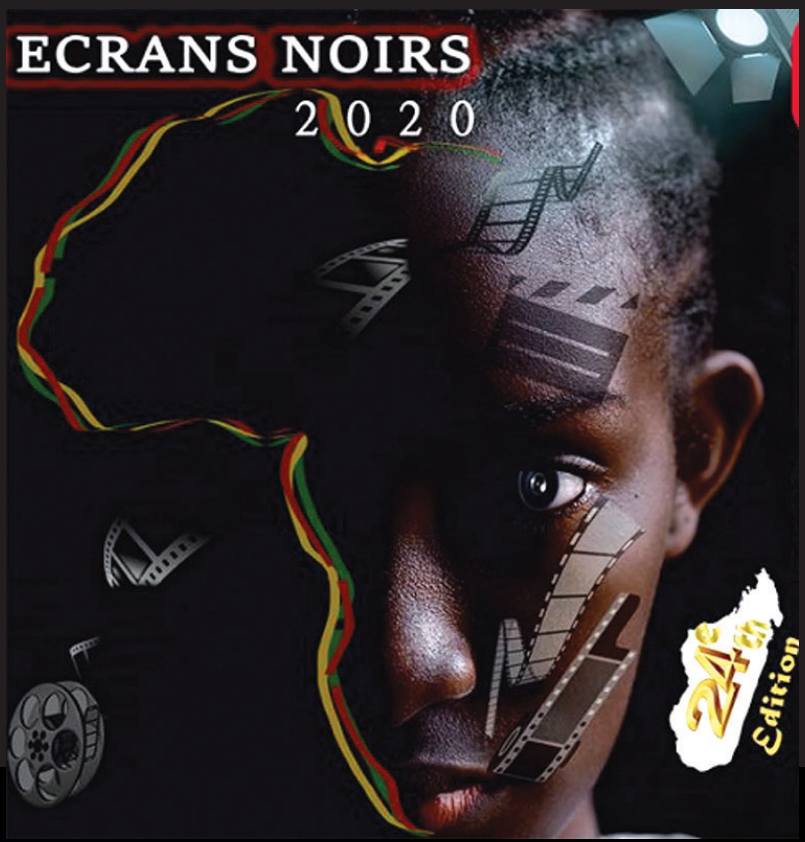

بعد تأجيل الدورة الرابعة والعشرون نتيجة انتشار « الجائحة القاتلة » وبعدما كان منتظرا تنظيم الدورة في شهر يوليوز الماضي ستحتضن مدينة، "ياوندي"، عاصمة الكاميرون، دورة جديدة للمهرجان خلال الفترة الممتدة مابين 31 أكتوبر و7 نوفمبر 2020. دورة جديدة لمهرجان يعني بالانتاجات السينمائية والتلفزية سواء الروائية أو الوثائقية القصيرة والمطولة. ومن خلال قراءة أولية لبرنامج المسابقة والذي يبزر بشكل جلي، وبشكل يمنح لكل الأفارقة بالافتخار «بإفريقيا الحرة»، حيث أن أكثر من نصف الانتاجات المشاركة في هذه الدورة هي من «عصارة جنوب جنوب » وهذه التوجهات صارع من اجلها الرعيل الأول لصناع السينما الإفريقية والذين ترافعوا في عدد من المنتديات وقدموا ملتمسات للحكومات الإفريقية.

اليوم الرعيل الأول اغلبهم غادرونا نهائيا، وهذا المكسب « الإنتاج جنوب - جنوب » تحقق مع التطورات الرقمية التي عرفتها صناعة الصورة وتخلص مدراء التصوير من «رعاب مختبرات التحميض "، وأصبحت فرص ربح زمن التصوير متاحة والخسائر اقل ويمكن أن يكون متحكما فيها. طبعا خطوة « الإنتاج جنوب - جنوب » هي قديمة منذ كانت الصناعة السينمائية ميكانيكية ومع التطور الرقمي للصورة سيتيح ذلك إمكانيات التعاون شرط التخلص الإجراءات الإدارية المعقدة، وقد نعيد الحديث عن هذا الموضوع الذي ألهمني إياه لوائح المسابقات لهذا المهرجان يهدف إلى «الرقي بالسينما في إفريقيا، وبالخصوص بدول إفريقيا الوسطى « المهرجان يتضمن مسابقات مفتوحة لصانعات وصناع الصورة في الكاميرون ودول إفريقيا الوسطى وباقي دول القارة ومن بين فقرات الدورة المسابقات:

المسابقة الدولية، والتي تتضمن ثلاث أصناف، الروائي والوثائقي المطولة والشريط القصير:

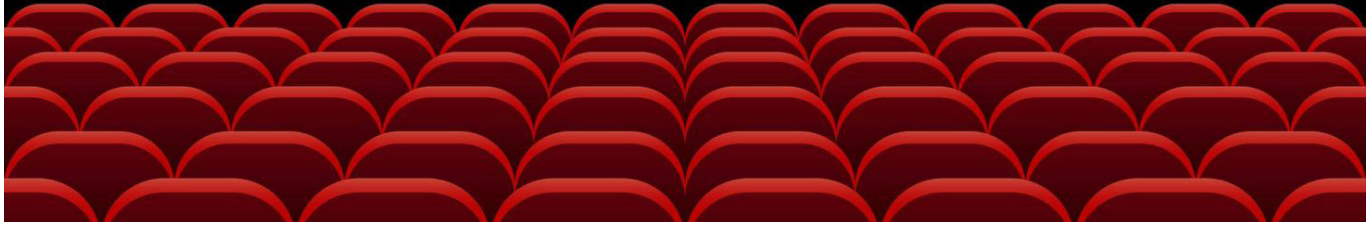

المشاركة السينمائية المغربية

في الدورة 24 بمهرجان الشاشات السوداء بالكاميرون

" الدورة 24 عصارة الإنتاج السينمائي جنوب جنوب "

• ثلاث عبد العزيز صالح

أ - في صنف الروائي المطول

وفي صنف الروائي المطول تشارك عشرة أشرطة من الكاميرون البلد المنظم وغانا وزيمبابوي والكونكو الديمقراطية وأوغندا ونيجريا وناميبيا والمغرب الذي يشارك بشريط: هلا مدريد.. فيسكا بارصا لمخرجه عبد الإله الجوهري الذي يعالج فيه وبطريقة كوميدية الزواج ما بين الدين والسياسة والرياضة من خلال أحد محترفي السياسة من أنصار فريق ريال مدريد وقد حول الشغف بالفريق إلى مقياس لمعرفة إتباعه الحقيقيين من المنافقين له.

ب - في صنف الوثائقي المطول

أول ما يثير الانتباه في هذه الفقرة هو الانتاجات المشتركة ما بين دول الجنوب والتي تهم أفلاما ما بين الجزائر والطوغو وإنتاج و ما بين تونس وبوركينا-فاسو وأخر ما بين انغولا والكونغو الديمقراطية والبقي من الكاميرون وتونس والسنغال ومدغشقر ويشارك الشريط المغربي : أشمخان لمخرجه عامر الشرقي، و أشمخان هو احتفاء بأحد الأصناف الموسيقية المغربية ذات الامتداد الإفريقي ويتعلق الأمر بالموسيقى الكناوية الشريط له اول مشاركة دولية والتي ستعقبها مشاركة دولية أخرى بالمهرجان الرقمي لمدينة «كوطون البنينية» خلال شهر دجنبر القادم، وشريط اشخمان عرض لأول بالدورة الثامنة للمهرجان الوثائقي لمدينة زاكورة وخرج بجائزتي السيناريو والنقد .

د- في صنف الشريط القصير

وضمن فقرة المسابقة الخاصة بالشريط الروائي الطول الدولي يترشح لجوائز هذه الدورة 19 شريط من الطوغو،واريتريا ، وساحل العاج ، والبنين ،وبوركينا-فاسو، وتونس ، وإفريقيا الجنوبية، والكونكو الديمقراطية، وكوادالوبي، والانتاجات مشتركة «جنوب جنوب » تهم دولتي الكاميرون وهايتي ومابين رواندا وكينيا والمشاركة في هذه الفقرة تخص المخرج بلال طويل بشريط يحمل عنوان « شرخ » ويقارب المخرج احد المشاكل الأسرية الحديثة، مشاكل وليدة الصناعة الرقمية والتي زحزحت العلاقات ما بين مكونات الأسرة داخليا وخارجيا في علاقتها مع المحيط. الشريط مرشح كذلك للمشاركة بالدورة الأولى لمهرجان الهواة ببوركينا-فاسو أخرى بالمهرجان الرقمي لمدينة «كوطون البنينية» في دجنبر القادم وحصل على الجائزة الثالثة بمهرجان وادي زم للسينما والتراث (فبراير 2020).

وللإشارة فالمهرجان تنظمه « جمعية الشاشات السوداء» منذ سنة 1997 تاريخ أول دورة له، ومن المنتظر أن يناقش في ندوته الرئيسية موضوعا آنيا : « ازمة السينما، السينما في أزمة كوفيد 19 وفرص استعادة الرهانات السينمائية « ، ومن بين فقراته كذلك : «شاشات الأطفال « والتكوين السينمائي « 10 أيام لإنجاز شريط سينمائي حول الجائحة « والمهرجان جاء بالخصوص كرهان استراتيجي ثقافيا لدول إفريقيا الوسطى المتكونة من 8 دول ودولة الكاميرون من بين هذه المجموعة الإفريقية والتي تطمح لتكون متكاملة فيما بينها عبر اتفاقيات اقتصادية بتوحيد العملة فيما بينها واتفاقيات ثقافية ويعتبر هذا المهرجان واحدا من بين نتائج تقارب دول إفريقيا الوسطى .

أكثر الأيام صمتا في الثمانينيات...

«لم تتم تسمية الكثير من الأشياء في هذا العالم، وحتى تلك التي تمت تسميتها لا يوجد لها وصف دقيق»
سوزان سونتاغ

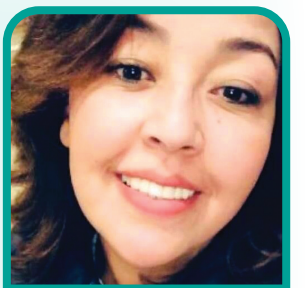

◆ سلوى ياسين

لم يكن يوم الجنازة ولا الْيَوْمَ الذي تلاه ولا الشهر الذي بعده. كان يوما آخر تصرف في حياتنا مثل العقدة في المنشار. ستة أبناء و بنا ت ينتظرون الأشياء التي توضع عادة على المائدة في هذا الوقت الغامض من العشية، أطول يوم في السنة على الأرجح. "سويس" ينبح في الخارج نباحا متواصلا كان لغة خاصة بي، صراخ اليأس القاتل الذي التف حولنا، ونحن ننتظر "رابحة" لتضع "الصينية" على مائدة أكلنا حولها ساعة من الصمت. مائدة ظلت أمي لسنوات تردد أنها من خشب الزان، من يكترث؟ فهمت حينها ما شكل وكيف هي رائحة خشب الزان، الآن فقط لأن الحزن هو أفضل المحاليل الكاشفة.

كنّا قبل ذلك بدقائق نتحدث ونضحك بصخب. ثم فجأة ودون مقدمات بدأنا طقس صمتنا المريب. لم يستطع أي واحد منا إضافة جملة واحدة. تذكّرنا على الأرجح صخب أبي صيفا محاطا بنا سعيدا كطفل. مرّرنا بيننا ذلك الصمت المشحون مثل سيجارة محشوة شربنا منها بالتناوب كل واحد يأخذ نفسا ولا يتعداه حتى يترك قسطا للذين بعده، صامتين ومتضامنين ككل المدمنين. صمت، ولا شيء غير الصمت، لم يتجاسر أحد على كسره، ظللنا قافلين أفواهنا بحزم شككنا أننا قد أصبنا بوباء رغم أن الصمت لم يرد في قائمة الأوبئة. لم نقدر على فك حصار هذا الوجوم، خائفين من الانهيار لو نبسنا بكلمة واحدة، ألقي بي في تلك اللحظات داخل بئر. مددت يدي نحو إناء الماء وأوشكت على أن أختفي بالكامل. تذكرت البطلة في رواية كنت أقرؤها، تعيش في باريس ما بين الحربين، داخل فندق "الريتز" تحديدا، البطلة التي تصمت فجأة لأنها اكتشفت دما على المنديل الذي بصقت فيه، ستختفي في نهاية الجزء الثالث من الرواية بعد جزئين من السعال المريب، حاولت أن أسعل بعد شربة الماء لأقطع الطريق على البكاء. لم أستطع. كان صمتا طويلا بخيال واسع، وداخل رأس كل واحد منا حكاية عن حياة دون أب، لم يكن لعبة ذلك الاختفاء المفاجئ للكلمات في أفواهنا بل خوفا من أن نحزن إلى الأبد لو نطقنا بكلمة واحدة. مددت يدي نحو إناء الماء للمرة الثانية كمن يبحث عن نور كشّاف داخل جبّ.

هذا المرتفع الشاهق الذي تسلقته من بمشقة وعذاب طيلة أكثر من عشرين سنة أنظر إلى ذلك الْيَوْمَ الصامت كما لو أنه الوحيد في سنة ألف وتسعمائة وثمانين، وما سيصير بعده حوّل كل ذلك الحزن إلى مجرد خصلة واحدة من جديلة الأيام المتشابكة التي تلته. لا تكفي تسميته الموت، إنه موت الأب، لا يكفي أن تشرح ذلك لأبناء أصغرهم في الخامسة من العمر ولا لابنة في الرابعة عشر، وحتى لو صاروا في الثلاثين، لا نفع يرجى من ذلك. شرّح ذلك الموت وإن استطعت، أرسم له حدودا وفيزياء.

الوشم والكتابة

يعد الوشم أو التوشيم ممارسة اجتماعية، ارتبطت بالثقافة الإنسانية منذ القدم؛ إذ استعمل كنوع من التعبير عن أغراض مختلفة من قبيل: استعراض التاريخ، الانتماءات القومية، جذب الحظ وزينة للنساء... وتتحول هذه الأغراض بحسب الثقافة والفترة الزمنية.

وقد ارتبط الوشم أيضا بالعصابات والقراصنة، فمثل هوية أشخاص منبوذين أوخارجين عن القانون.وإذا نبشنا في تاريخ الإغريق نجد أن التوشيم كان وسيلتهم في تمييز العبيد عن سواهم من الأحرار، والرومان اعتمدوه في كشف هوية الجنود الذين لهم رغبة في الفرار.تستخدم في اللغة الإنجليزية للدلالة على وصمة العار(stigma) وماتزال الكلمة اللاتينية.

عرفت الثقافة المغربية انتشار هذه الظاهرة بشكل موسع عند الأمازيغ، خاصة النساء؛ إذ كن يستعملن الوشم رمزا للخصوبة ودلالة على إمكانيتهن على تحمل مسؤولية الزواج والأمومة، من خلال رموز لها علاقة بالطبيعة والحيوان, كما استعملنه زينة لإبراز جمالهن.

إن الوشم و سيلة للتواصل والتعبير ا للغو ي غير اللفظي، يتيح الإمكانات نفسها التي تتيحها اللغة في التعبير، بل يكون أحيانا أكثر بلاغة واقتصادا. إذ يضحى الجسد مكانا مميزا للكتابة، يمكن النظر إليه كنص حاضن لعناصر اللغة المختلفة؛ النحوية»اسم/فعل /صفة»، الهندسية»أشكال هندسية»، نباتية وأيقونية. فتنتقل الكتابة بذلك من نرجسيتها الثقافية إلى مستوى أيقوني رمزي(الوشم) ممثلا بذلك نحتا لذاكرة الإنسان وبوحا بمكنونات عمقه من آمال وآلام.

◆ ذ: المسكين خديجة

قصة

حُمى الحب

• محمد بلحميدي

«أول خطوة. فلتكن مباركة. ها أنا سأقتحم هذا العالم الذي لطالما نسجت أحلامي داخله دون أن أراه». التَفَتَ ليرى الحافلة كأنه يودعها أو يشكرها، فقد أوصلته إلى برِّ الأحلام التي ستتحقق أو لا تتحقق. المهم أنها الآن تجربة لابد أن يخوض غمارها. لا يدري لماذا تذكر خطوته الأولى بالمدينة. تلك الخطوة التي قطعت مع الأحلام الريفية في ليالي القرية الطويلة، فاسحة المجال لأضواء الحياة الجديدة لتنير طريقه. نفحة من الشوق لفحت قلبه المتمرد. طافت به هذه الأنثى أمامه. أشرقت ابتسامتها الساحرة من ثغرها ترمي خيوط شبكة لتصطاد قلبه العنيد.

كانت تضع رأسها فوق صدره تتوسده. تحب أن تَعُدّ دقات قلبه، تُطربها، تَحسب أنّ لدقات القلب رسائل مشفرة يمكن أن تفهمها. كانت أنامل يديه تسبح في خَصلات شعرها الحريري المغدودن في حركة بطيئة بطء اللحظة. افترشا حشيش حديقة قرب كلية الآداب. تحوم فوق رأسيهما عصافير بزقزقتها كأنها زغاريد عرس، وينصتان إلى نشيش شجرة الزيتون التي ضللت قصتهما الفتية. ينتظران محاضرة قادمة. همست بصوت أنثوي خافت:

- من منا يحب حبيبه أكثر ..؟

فاجأه السؤال . احتاج إلى همهمة طويلة ليفكر، ليطوع الكلمات، علّها تنجده. تنقذه من هذا الموقف. هَمَّ ليطبع قبلة على جبينها ربحا لمزيد من الوقت. أحست بروحها في وفاق تام مع جسدها بفعل القبلة. أضافت بعد أن لاحظت ملامح وجهه المكفهرة:

- هل صعب هو سؤالي ...إلى هذه الدرجة؟

كان كل زملائه في الجامعة يتهافتون على نصائح منه فيما يخص استدراج الأنثى. اغتابه صديق له مرة: « محظوظ هذا اللعين، جمع بين أقصر طريقين نحو قلب الأنثى: وسيم وكذاب.» قاطعه آخر: «وجه أبرار وفعل أشرار، لكنه ذكي أيضا وفيلسوف».

لُقب ب "وسيم القرية». في صباه، كانت أمه تَسعد في مجمع النساء حين يتمازحن فيما بينهن، كل امراءة تتمناه زوجا لابنتها وترجو من الأم أن تعتني بصهرها المستقبلي، ثم يقهقهن وتتعالى زغاريدهن فرحا بالعريس الوسيم. فارع الطول، عريض المنكبين، شعره أميري خفيف، ملامحه الملائكية تتوسطها عينا ساحر بابلي. وسامته لا تتفق وملابسه التي يغلب عليها الطابع الريفي. جسد فلاح رغم أنه لم يحمل يوما معولا ولا فأسا. تمتم ثم أجاب:

- قلبا عاشقين لا يمكن أن يوضعا في ميزان إلاّ ومالت إحدى الكفتين..

لوّحت له بوردة ابتسامتها هنيهة ثم أخفتها، كأنها تعاتبه لأنه توقف عن الكلام. فتاة تكاد أن تُطل على العقد الثالث من عمرها. أزهر ربيع أنوثتها مبكرا. تُقبل على الحياة بعفوية بدوية. بها آثار من جمال القرى الأطلسية الساحرة. عيناها لؤلؤيتان، عُصبتاهما صافيتان، كأنهما لم تدمعا قط. وبؤبؤا عينيها بلون الليل. سحناتها تشتهي العين أن تفترسها طويلا، طُبع على خديها نونتان خفيفتان، حمرة رُمّانية تُوشح وجنتيها، عرنين أنفها اللطيف، وجه كأنما جمع كل محاسن الأنوثة. وعنقها الطويل التالع تحته عظمتا الترقوة ساحر كشلæال تشتهي أن ترتشف منه «جُغمة» ماء بفمك، ثوبها الليلكي زاد من نصاعة وصفاء لون بشرتها. كانت أنثى. وأشد الأعضاء أنوثة فيها هو قلبها النسوي. أحبت اللغات، الإنجليزية بالتحديد. كانت تحلم بأن تصبح مدرسة. سألت:

- كَفَّتُكَ التي تميل أم كَفَّتي؟

أجاب:

- تُحرك يد الحب الميزان فتميل كفة.. تميل كفة القلب الذي وسع الأرض والسماء.

كانت من أولئك اللائي تثيرهن عذوبة اللسان وسحر الكلمات ونسقها. لكنها نهلت من الروايات والقصص ما لا يحصى من ذلك كله، فلم تكن مستعدة لتحب أي رجل يريد الزواج. سألت:

- ممم، هل هذه فلسفة للحب !؟

كان والده الفلاح يحلم أن يرى ابنه شرطيا يرتدي الزي الرسمي، ليتباهى بين أقرانه الفلاحين في القرية بمرتبة ابنه. لكن الابن فاجأ أباه حين اتصل به في صباح يوم مبكر وأخبره أنه لم يلتحق بمعهد الشرطة كما جرى الاتفاق، وأنه سيدرس الفلسفة في الجامعة. ثارت ثائرة الأب الفلاح وهو يحمل منجلا فوق كتفه في طريقه إلى الحقل. «فلسفة». «وماهي هذه «الفلسفة « يا بني»؟

الفلاح والفلسفة. هل من رابط يجمع بين الاثنين؟ لماذا حلت هذه الفلسفة هاهنا فجأة في حياة الفلاح؟ شبّهَها ابنه بالأسمدة التي ينثرها على الأرض لتجود عليه من باطنها. فكّر الفلاح بأنه سيستغني عن الأسمدة مستقبلا، لأن ابنه كما قال سيصير فيلسوفا، ولا شك سيحظر معه الكثير من الفلسفة. «ما أحوج هذه الأرض إلى الفلسفة.»

أيقن هذه المرة بأنه أمام أنثى مختلفة. «ما لها لا تشبه البقية ممن عرفتهن، أصبح غبيا وطفلا طيِّعا أمامها، لا أدري ما أقول». لجَّت إلى تلابيبه فأيقظت شيئا كان نائما في أحشائه. « هل اخترت أن أكون عبدا؟". يقال أنّ «الحب رق وديٌ وعبودية اختيارية». أجاب:

- لا يا حمقاء. إنّ من وضع قلبا داخل صدري هذا الذي تتوسدينه لم يضع مثله بين أضلاعك أنت.

أرادت أن تنصت إلى كلماته وهي تنظر إلى عينيه، تؤمن أن العين تفضح كل ما هو مبطون، فجلست القرفصاء قبالته ثم ردت:

- ما الفرق إذن؟ كلاهما يضخان دما ويحبان.

بنبرة الفيلسوف المحب قال:

ـ الفرق في الحب. قلب الأنثى يَتغدى على الحب. يَضُخُّ الحب. غايته الحب. يُعذبه الحب. يَمْقُت الحب. مع ذلك لا يعيش إلاّ بالحب. قلب الأنثى زهرة ماؤه الحب وقاطفه المحبوب. حبيبا كان أو زوجا أو ابنا.

سرى الدفء إلى أوصالها وازدهاها دبيب الكلمات وهي تغازل أذنها، أحست بسعادة عارمة فأسبلت أهدابها، كأنها ستغط في نوم عميق بحلم لذيذ. تبتغي خلود اللحظة وتوقف الزمن. تداركت:

- لابد لكل ذي قلب أن يحب...

نظر إلى السماء، بينه وبين زرقتها طائرا. ربما مهاجران « كيف اتفقا على أن يهاجرا معا هل بينهما ميثاق؟ هل خيط قلباهما بخيط مخصوص لكيلا يفترقا؟ خيط الحب الذي لا ينقطع «. أطرق نحوها ثم قال:

- نحن. نحن الرجال نستطيع أن نبقي أحاسيسنا في النقطة الميتة، أن نمارس الحب من طرف واحد ونكتفي، كالأرض القاحلة العطشى تنتظر مياه أخر الشتاء لترتوي وتزهر. أما حب الأنثى فهو نداء روح وجسد، حب أسمى وأبقى. أرض مروية امتلأ جوفها، ففاضت تسقي ما حولها.

كانت نبرة صوته حلوة وعذبة توقظ الروح وتحرك النفس من خمولها كما توقظ رائحة العطر شهية الناقهين.

أمسكت بيده، تحسستها، لينة أصابعها. أرادت أن تستفزه:

- أصابع قلم. لا يظهر بتاتا أنك ابن فلاح، هل كنت تهرب وقت حمل المناجل والمعاول...!!

امتعض، ولكنه ردّ باتزان:

- كان أبي الفلاح الحكيم يقول: «المعول أحمله عنك اليوم فاحمل أنت عني القلم «

نظر إلى ساعته اليدوية بعفوية استعاد شيئا من وعيه. دَوَّخت هذه الجميلة رأسه، سحرته، بدا أبله يجيب عما سألته وما لم تسأله. قال:

- .... إنها الثانية، لابد أن المحاضرة بدأت.

انتفض، فكر في أن يحضنها قبل أن يذهب، شيء ما داخله منعه. « أنا أحبها. لكن كيف؟ أنا لم أختر أن أحبها. وهل الحب اختيار؟ نختار من نحب أم هم يختاروننا! اكتفى بتحية باردة، لكنها بادرت هذه المرة، شدّت على معصمه بقوة حتى تصلب في مكانه... فم فاغر وكف على الخد... أفاق من دوخته فهرول في اتجاه باب الكلية...

شعر

فتوى...

◆ آمال الرحماوي

طوّقتِ الريح
خاصرتها
تشبثتْ بالأرض كي
لا تقع
كابرتْ / تمايلتْ
تمنّعت / تململت
سقط الورق
تعرّت السوءة
بانت الفاكهة
هبّت الريح
عصفت الريح
ما أبقت ولا
درأت
ثم.....
سقطتْ أمامه
شجرة هامدة
***
أفاقتْ من الريح
تذكّرتْ
اصفرت من
الوجل
اخضرت من
الخجل
في غفلة أورقت
أثمرتْ / نضجتْ
كَدُرّاق تدوَّرتْ
ثم.....
دنت إليه

شجرة غاوية
***
طوّقت الريح
خاصرتها
لا تشبثتْ بالأرض
كي لا تقع
لا كابرت و لا
تمنّعت
سقط الورق
تعرت السوءة...
بانت الفاكهة
هبت الريح
عصفت الريح
ما أبقت ولا
درأت
ثم....
سقطت من عينه
شجرة غانية
***
هدأت الريح
خمدت الريح
استغفرت
بمسك الليل
اغتسلت
ثم.....
بفتوى تبجّحتْ :
كُلُّهن من شجرة
زانية...

تتويج مغربي لفيلم طفل الحب ببروكسيل

توج فيلم طفل الحب للمخرج الهواري غباري بجائزة الجمهور لمهرجان أفلام الجنوب الذي ينظم بالعاصمة البلجيكية بروكسيل في 16 أكتوبر 2020، وهي الجائزة الوحيدة التي يمنحها المهرجان، وجاء التصويت على فيلم طفل الحب بعد نقاش مفتوح مع الجمهور بحضور مخرج الفيلم، نقاش دار حول تيمة الفيلم وجانبه التقني.

وبخصوص الأفلام المشاركة حافظ المهرجان على تنوعه باختيار أفلام من مصر، لبنان، فرنسا، بلجيك،ا لوكسمبورغ، سوريا، الجزائر، إيطاليا وتونس بالإضافة إلى المغرب، حيث شارك كل من فيلم «مداد أخير» ليزيد القادري، وفيلسوف لعبد اللطيف لفضيل، و «الدار البيضاء جميلتي» لليلى لمسفر.

عن الجائزة يقول المخرج الهواري غباري : «سعيد جدّا أن يفوز فيلمي برضى لجنة الاختيار وأن يتوجه الجمهور بجائزة، خصوصا أنها المشاركة الأولى للفيلم في ظل الظروف الراهنة وأيضا من مهرجان له مكانته وحضوره.

تجدر الإشارة إلى أن «طفل الحب»، فيلم يقارب إشكالية الحريات الفردية، وهو من بطولة آنسة لعناية، أمين بنجلون، راوية، عبد الهادي طالب، مبارك المحمودي، رانيا التاقي، مصطفى التوباتي، فاطمة أكلاز، فاطمه الزهراء أبرباش والممثل قادم عبد الرزاق ولد عامر، وكتب السيناريو كل من كريمة الحايك والهواري غباري، وأنتجته شركة رحاب برود لعبد الواحد المهتاني.

الزجل كتعبير عن الخوالج والإحساسات

كتاب صدر

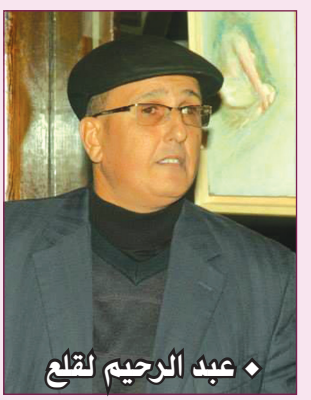
• عبد الرحيم لقلع

صدر للشاعر الزجال « عبد الرحيم لقلع « ديوان زجلي جديد اختار له عنوان « السلطانة لهلالية « عن مطبعة دار القرويين بالدار البيضاء، وهو الديوان الثالث بعد ديواني «الراس بحر» و»سلطان لحروف».

وعن هذا الديوان الجديد يقول الفنان التشكيلي شفيق الزكاري الذي صمم غلافه:

« عادة ما لا ننتبه للغة زماننا، ولا لحيويتها وعدميتها إلا في وقت لاحق، أي بعد مرور حقبة زمنية تأتي بما بطن منها وما ظهر، من خلال كتابات تعيد استنبات مفهومها معنى واصطلاحا، سواء عن طريق æ المؤرخين والنقاد المهتمين بالتراث الشفوي، أو عن طريق الشعراء الزجالين الذين يحفرون في أسرار اللغة بسمك عمقها ودلالتها، مع إحيائها لتصبح محط انبهار الأجيال اللاحقة، لما كانت تحتوي عليه من دلالات وتشبيهات تحمل تعددا في المعنى والخيال، وهذا ما لمسناه مؤخرا في النصوص الزجلية لبعض الشعراء من بينهم أحمد لمسيح، مراد القادري، ادريس أمغار المسناوي، ادريس الزاوي، ادريس بلعطار، عزيز محمد بن سعد، محمد مومر، عزيز غالي، عبد اللطيف البطل، بوعزة الصنعاوي وغيرهم..

لكن تجربة الزجال عبد الرحيم لقلع، باستقلاليتها وتميزها، هي التي أثارت فضول اهتمامي بهذا المعطى التراثي، الذي يحبل بالمشاهد الوصفية للأمكنة والأزمنة، وهي التي تركت في ذاكرتي شذرات من تفاصيلها، على مستوى التركيب اللغوي في شقه الإبداعي والفني، بعدما سمعتها من خلال الإلقاء الممتع والمتكرر لهذا الشاعر المخضرم في إبداعه الآتي من تخوم التاريخ القديم والحديث، من مدينة (فضالة) (المحمدية حاليا)، التي تركت في وجدانه شرخا عميقا، والتي استوحى من فضاءاتها كل الدلالات والمعاني والأفكار، محملا بثروة لغوية غابرة أو تكاد تنعدم، ليحيي وينقذ ما تبقى منها، مستعينا بحسه وإدراكه المعرفي بكل الأجناس الإبداعية المرتبطة بقول الزجل، من الطرب الغرناطي والأندلسي مرورا بالملحون والشكوري ووصولا إلى مملكة العيوط بكل أعلامها وأصنافها وأصولها وأمكنتها مع دراسة حيثيات وظروف وجودها، تلك الظروف التي نشأت في أحضان سوق فضالة بكل ما كان هذا الفضاء يحتويه من فرجة بأنواعها المختلفة، وبصناع الفرجة أمثال (خليفة) وغيره من (الحلايقية)، ليجعل من هذا الفضاء موضوعا لأحد نصوصه الزجلية الممتعة، التي أرخت لفترة زمنية بطقوسها وعاداتها وحرفها..

لكن ما يميز هذا الديوان الجديد، هو أنه أخذ منحى مغايرا على مستوى الشكل والمضمون، حيث تناول جانبا جماليا في التعبير عن الخوالج والإحساسات بنبرة تكريمية للذين تركوا بصمة واضحة في مشروعه الشعري، وخاصة أبويه، مما جعل الشاعر أن يختار عنوانا دلاليا عن هذا الاعتراف الجميل. «

غدر الزمن في رواية "حيث لا تسقط الأمطار" لأمجد ناصر

• عبد المجيد الحسيب

جاء أمجد ناصر إلى الرواية عن طريق الشعر لأنه يعد واحدا من رواد الحداثة الشعرية، وقصيدة النثر خاصة، في العالم العربي. رواية «حيث لا تسقط الأمطار» هي رواية عن الاستبداد والنضال والمنفى والحب والانتهازية والشعر والصداقة وغيرها. غير أن موضوعة غدر الزمن تبقى، في نظري، واحدة من أهم الموضوعات التي حاولت، هذه الرواية، مقاربتها.

تبتدئ الرواية بعودة السارد من المنفى بعد عشرين سنة من الغياب ليبدأ مرحلة جديدة في اكتشاف ما افتقده من أصدقاء وأماكن وأهل وذكريات. غير أنه سيكتشف أن مياها كثيرة جرت تحت الجسر وجرفت ما كان يعتقد أنه ثابت لا يريم. فكيف تفاعل السارد مع وطأة الزمن في هذه الرواية؟ وكيف وجد الأماكن والناس والأشياء التي تركها خلفه منذ عشرين سنة؟ وهل توفّق في رتق ما كان يحسّه في أناه من تمزق وانفصام؟

تتحدث، هذه الرواية، عن عودة بطلها وسارد أحداثها إلى بلده «الحامية»، بعد عشرين سنة من المنفى. ومن خلال عملية السرد، الذي يأتي عن طريق الاسترجاع والتذكر، نتعرف على أهم الأحداث والشخوص والأماكن التي حفل بها هذا النص. تجري الأحداث في فضاءات وجغرافيات متباينة ومتعددة آثر السارد أن يسميها بتسميات رمزية غير حقيقية مثل:» الحامية»، «المدينة الرمادية والحمراء»، «جزيرة الشمس»، «بلاد السندباد»..... وغيرها من الأماكن التي احتضنت رحلة السارد وبعض رفاقه لما يربو عن عشرين سنة.

انطلقت الأحداث من بلاد «الحامية» التي تشبه في نظامها السياسي أغلب البلدان العربية المحكومة من طرف أنظمة ثيوقراطية مستبدة تمارس الرقابة المطلقة على كل ما من يسائل سياستها. اختار السارد، في هذه الرواية، أن يتحدث عن نفسه بصيغة المثنى: يونس وأدهم. الأول ذاق مرارة المنفى والابتعاد عن الأهل والوطن، والثاني لم يهاجر إلى الخارج. وبين أدهم ويونس توجد الكثير من التشابهات إلى درجة يصعب التمييز بينهما أحيانا. لعبة القرين هي واحدة من أهم الخصائص الفنية التي اعتمد عليها الكاتب في تشكيل الهوية الملتبسة والمتشظية لبطل روايته. ينتمي يونس الخطاط إلى أسرة قريبة من الأسرة الحاكمة، إذ كان والده من المقربين من دائرة الحكم. أحب يونس، منذ يفاعته، الشعر والأدب وقضايا السياسة، وسحرته الأفكار اليسارية الثورية. فانخرط في حزب سري قصد النضال من أجل الحرية والعدالة. وبعد محاولة فاشلة للتخلص من»الحفيد»، حاكم البلاد، تم تهريبه بمعية مناضلين آخرين خارج البلاد. غير أن فشل محاولة اغتيال «الحفيد» عرضت التنظيم لمحنة غير مسبوقة. فمن خلال المسار السردي للبطل يتضح أن الهاجس الأساسي الذي ظل يؤرقه طيلة حياته هو الانحياز الجذري للحرية رافضا كل ما من شأنه أن يحد منها أو يعوقها. فقد ظل يبتعد، منذ يفاعته، عن سيرة والده الذي كان يشتغل كخطاط لدى الحاكم.

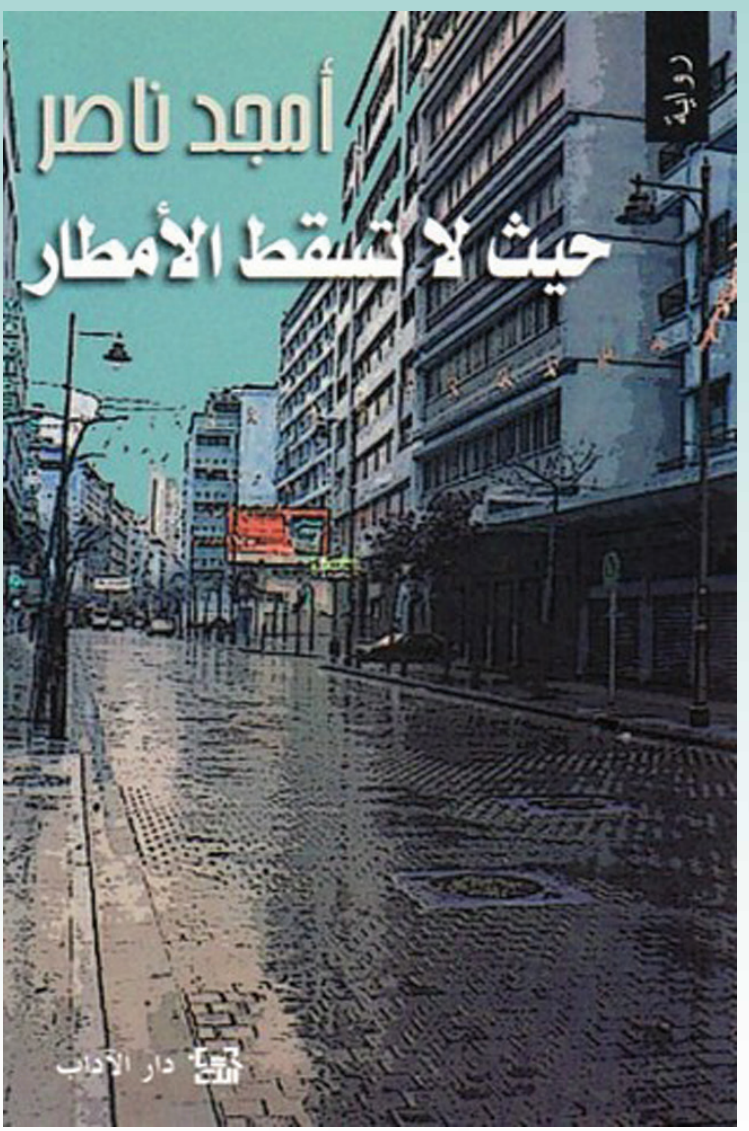

غدر الزمن في رواية
"حيث لا تسقط الأمطار" لأمجد ناصر

ورغم أن الأب لم يكن شخصا عاديا، بل كان مثقفا متصوفا وخطاطا فنانا مولعا بسيرة «ابن مقلة» الخطاط العربي الشهير الذي انتهت حياته بطريقة مأساوية إلا أن كل هذه المزايا لم تستطع أن تقرب بين الابن ووالده. كما كانت سهرات يوم الخميس التي دأب الأب على تنظيمها ويستضيف فيها بعض أصدقائه لمناقشة قضايا الخط والسياسة والأدب والتصوف بمثابة حصص للتعذيب للابن الذي كان يفرض عليه حضورها. يقول:»... كان والدك يجبرك، أحيانا، على حضور بعض تلك الخميسات وكنت تنوس بين السأم والنعاس وسط رجال بدوا لك طالعين، للتو، من العصر الوسيط. فلا الموضوعات التي يناقشها مع أصحابه كانت تهمك، ولا الأسماء التي كانت تتقاذفها أفواههم أليفة إليك، ولا الموسيقى التي كانوا يستمعون إليها ويميلون رؤوسهم طربا أو غيابا كانت تحرك فيك ساكنا...»(الرواية ص 186). ثقافة الأب ومرجعياته لم تكن تعني الابن بتاتا. لذلك خط لنفسه مسارا ثقافيا مغايرا محفوفا بالكثير من المخاطر، إذ كلفته محاولة تهريب كتاب ممنوع للينين كي ووسم جسده بالنار من طرف السلطة وسما سيطبع جسده إلى الأبد. كان هذا العقاب العنيف أول عقاب تعرض له السارد، منذ كان مراهقا، بسبب إصراره على أن يكون حرا في اختياراته.

أما على المستوى الإبداعي فقد اختار الشعر كوسيلة للتعبير عن الذات وما يتنازعها من أهواء ورغبات. وحتى على مستوى الكتابة، لم يلتزم بالطرق المعتادة والمألوفة، بل ظل يبحث، باستمرار، عن أشكال مغايرة ومختلفة. يقول في هذا الصدد:» أمام نافذة تطل على شارع، حيث رأيت طائرا يرصد هدفا لا تراه، رحت تدبج كتابك الأخير. كتاب كتبك كلها. قررت أن تنحو منحى مختلفا هذه المرة. لأن هذه المرة مختلفة. فليست هناك صحيفة أو مجلة تنتظر أن تلقي إليها بضعة من لحمك (وهذه كتابة متطرفة عن الكلمات، استخدمتها كثيرا من دون أن تدرك معناها، كان يعجبك جرسها فقط).(الرواية ص41).كما أنه لم يلتزم بطريقة واحدة في الكتابة إذ ظل يحاول، باستمرار، اجتراح طرق جديدة كلما أحس أن طريقته السالفة ،في الكتابة، لم تعد تسعفه في التعبير. وتحتوي الرواية على العديد من التأملات والآراء النظرية حول الكتابة والشعر والخط الشيء الذي جعل النص يتغذى بخطابات نقدية كثيرة سرت في أوصاله وأنعشتها.

أمجد ناصر يوقع روايته.

أما على المستوى السياسي فهو لم يكتف باختيار تنظيم سياسي معارض للحكم بطريقة جذرية وعنيفة فحسب، بل اضطلع، داخل التنظيم، بأكثر المهام خطورة ومغامرة. فقد سبق له أن حمل رسالة، من شأنها أن تؤدي بحياته، من التنظيم إلى الزعيم المنفي خارج البلاد، وعاد برسالة لا تقل مضامينها خطورة عن الأولى. كما تم تكليفه بأكثر العمليات خطورة في تاريخ التنظيم، الذي ينتمي إليه، وهي اغتيال الحفيد.

إن هذا النزوع الجذري في شخصية يونس يبين مدى توقه إلى القضاء على كل ما من شأنه أن يحول دون الإنسان وحقه في أن يكون حرا متحللا من جميع القيود. ولم يكن ثمن هذا الاختيارات هينا، فقد عاش قسطا طويلا من حياته في المنافي بعيدا عن وطنه وأهله وحبيبة عمره «رلي». لذلك عاش ممزقا بين ذاتين: يونس وأدهم. واحدة بالخارج وأخرى بالداخل..» دفعتما، أنت وقرينك، أو الشخص الذي كنته، ثمن فعلتك. هو بقي شبحا، أو مسخا، لا يكبر ولا يصغر، محتفظا باسم وحياة «قصفا في المهد».»(الرواية ص 23)

لا يتجلى نزوع يونس نحو الحرية في علاقته بالأب أو السياسة أو الكتابة فحسب، بل علاقته بالمرأة، هي الأخرى، كانت تشوبها الكثير من الالتباسات. فقد كانت تجمعه ب»رلي» علاقة حب حقيقية عندما كان ب»الحامية» وعندما هاجر تزوج فتاة مناضلة متحررة تتقاسم وإياه الكثير من الأشياء لكن رغم ذلك لم تكن علاقتهما دائما على ما يرام بسبب إصراره على أن يكون حرا. عندما عاد إلى «الحامية» بموجب عفو شامل على المعتقلين والمنفيين بعد وفاة «الحفيد»، وجد يونس الكثير من الأشياء تغيرت ولم تعد كما كانت في الماضي. فاليسار كما كان يعرفه تغير بشكل كبير ولم يعد عدوا للسلطة لأنه ظهر عدو آخر أشرس وأعنف وهو الحركات الإسلامية. فبدأت السلطة تنفتح على أعداء الأمس

غدر الزمن في رواية
"حيث لا تسقط الأمطار" لأمجد ناصر

لتواجه الأعداء الجدد. في هذا السياق سيكون لقاء يونس برفيق الأمس « محمود أبو طويلة» الذي كان من كوادر التنظيم إلا أنه اقتنع بالاشتغال مع النظام وصار مسؤولا إعلاميا نافذا. حاول محمود إقناع يونس بشتى السبل بحكمة التقارب مع النظام من أجل التغيير من الداخل معتمدا في ذلك على ما كان يسميه ب»نسبية الشر». إذ أن شر النظام، في نظره، أهون من شر «الموجة الظلامية الكاسحة» غير أن يونس لم يكن مستعدا أن يقايض على حريته كيفما كانت المبررات.

عشرون سنة لم تكن كفيلة بتغيير العديد من رفاق الأمس فحسب كمحمود، بل تغيرت فيه الكثير من الأشياء سواء منها الأماكن أو العادات أو الشخوص أو غيرها. فقد كان للزمن، في هذه الرواية، وقعه الحاد على نفسية يونس. فالوالدان توفيا، والكثير من الأصدقاء جرفتهم مشاغل الحياة نحو مسارات أخرى. أما «رلي» عشيقته في زمن الشباب فقد صارت امرأة أخرى بعد وفاة والدها في محاولة اغتيال الحفيد... وغيرها من التحولات التي كان السارد يتعرف عليها سواء من خلال «خلف» أو من خلال الطفل يونس ابن شقيقه.

لقد أضحى يونس الصغير بمثابة عين ثالثة يرى، من خلالها السارد، الأشياء بعد عشرين سنة من الغياب. قاده، في البداية، إلى مرسم الأب، وحكى له الكثير من الأشياء عن والديه قبل رحيلهما، كما ظل يجيب عن أسئلته حول ما طال البلدة والناس من تحولات. وفي الأخير أخذه إلى المقبرة لزيارة قبري والديه. وقد انتهت الرواية نهاية لا تخلو من دلالة، فبينما هما في المقبرة كان طائر جارح يحوم حولهما مما اضطرهما إلى مغادرة المقبرة. وقبل المغادرة منح السارد حارس المقبرة الأخرس قطعة نقدية تنتمي إلى زمن ولى. فهذه النهاية تبين أن يونس لم يستطع أن يتفاعل مع الحاضر وظل سجين الماضي. كما أن الطيور الجارحة لا تنقض إلا على جثث الموتى، وكأن يونس، بدوره، لم يعد كائنا حيا فاعلا، بل صار مجرد جثة تتحرك لأنه لم يستطع أن يتحرر من ماضيه وينخرط في مسارات جديدة.

تجربة يونس، في هذه الرواية، ليست تجربة فردية، بل هي تجربة جيل من أبناء اليسار الذين حلموا بالثورة والتغيير إلا أن قساوة الواقع كانت أقوى من تطلعاتهم. لذلك فإن خيبة يونس هي تعبير عن خيبة جيل برمته، وخيبة مرحلة بأمانيها وتضحياتها وآلامها. وما التركيز على الحالة الصحية ليونس الذي كان يسعل باستمرار ويبصق الدم بين الحين والآخر إلا تكثيف لهذه الخيبة. ولم يكن يونس يحس بهذه الخيبة على المستوى السياسي أو الاجتماعي فحسب، بل كان يحس بمرارتها أيضا، على المستوى العاطفي. فهو لم يستطع أن ينسى «رلي» لذلك عندما رآها تمر بالشارع، ذات مرة، بعث خلفها يونس الصغير ليستقدمها إلى المنزل بدعوى أن عمته تود رؤيتها. فظلال هذا الماضي هي التي كانت تشوش على علاقته بزوجته في أكثر من مناسبة. ولعل مرد هذا الإخفاق يعود إلى جرعات الحلم والقلق والتوثب التي كانت تطبع شخصيته منذ كان طفلا. وقد كانت أمه دائما تتنبأ له بهذا المآل لأنه كان كمن يسير على أرض ملتهبة. وبقي على هذا التوثب والتحفز، حتى في مرحلة اليفاعة والشباب، شأنه شأن أحد أبطال دوستويفسكي الذي كان يردد بأن اثنين في اثنين ثمانية. يعد هذا النزوع الحاد والمتشدد في شخصية يونس سمة مميزة له لذلك كان التنظيم يقترحه للمهام الأكثر خطورة كما سلف.

رواية « حيث لا تسقط الأمطار» ليست مجرد رواية عن الصراع الضاري والعنيف الذي عرفه العالم العربي بين المثقفين والسلطة، وليست مجرد رواية عن المنفى وأوجاعه....بل هي، أيضا، رواية عن الزمن ومكره ومفاجآته التي تباغت الإنسان من حيث لا يدري. وقد تم تشخيص هذا المكر، الذي ينطوي عليه الزمن، بسرد ذاتي ينبلج من أعماق الذات ويرد إما بصيغة المخاطب أو بصيغة المتكلم ويرشح بالكثير من الشجن والأسى خاصة لأنه كان يحاول إعادة تركيب أجزاء الماضي ليس بدوافع الحنين والنوستالجيا، بل بالرغبة في إعادة قراءة الأشياء وفهمها بطريقة أخرى.

كان يونس ينزل، بين الحين والآخر، لمرسم والده، ويطيل التأمل في الخطوط واللوحات والكتب التي خلفها. وكأنه، بهذا الصنيع، كان يود، لا شعوريا، مصالحة الوالد الذي لم تكن علاقته به على ما يرام حين كان على قيد الحياة. وما كان يثيره أكثر في هذا المرسم احتفاء والده الكبير ب» ابن مقلة». هذا الخطاط الذي عاش حياة من البذخ والغنى والسلطة غير أن صروف الدهر انقلبت عليه وعاش محنا عجيبة، وقتل بطريقة بشعة بعد أن قطعت يده ولسانه...يقول عنه السارد: « تعجب من المصير الذي آل أليه الرجل. لم يكن يعرف أنه تعرض لتلك المحن والميتات العجيبة. فقد كان وزيرا لثلاثة من الخلفاء...ونفي ثلاث مرات ومات ثلاث ميتات، ودفن في ثلاثة قبور.»(الرواية ص241). محكي ابن مقلة ينضح بالكثير من المرارة والألم. وتوجد بين حكاية السارد وحكاية ابن مقلة الكثير من التواشجات لأن كلاهما اكتوى بغدر الزمن وتقلباته لذلك كان السارد يقف واجما أمام بعض أقواله المأثورة، كقوله: «فلا تأسفن على غدر الزمان فكم رقصت على جثث الأسود كلاب.»(الرواية 240).

لم يؤثر الزمن على الأشياء التي لها علاقة بالسارد فحسب، بل أثر، أيضا، على شخصيته التي أضحت ممزقة بين اثنين، ويعمل جاهدا على ترميم هويته الممزقة والمتشظية «صرت أسأل عن سر تواجدي، في الوقت نفسه، في مكانيين متباعدين أو مع امرأتين مختلفتين، مع أنني لست من أصحاب الخوارق.»(الرواية ص224). كما أن تركيزه على ضمير المخاطب أكثر من ضمير المتكلم يرجح هذا التناقض الذي كانت تعيشه أناه التي أصبحت تدرك، من حين لآخر، أن أحلامه، في هذه الحياة، قد انتهت، وأن جميع الأبواب التي كان يأمل عبورها قد أوصدت في وجهه إلى الأبد، لذلك نجده يتماهى مع شخصية النبي يونس الذي ابتلعه الحوت: « اسمي الأول...لنبي. لكنه نبي هامشي. لا أعرف ما هي رسالته. يقال أنه كان في «نينوى» يحاول هداية قومه الى الصراط المستقيم فلم يفلح. تركهم. هام على وجهه. ذهب إلى البحر ثم ابتلعه الحوت. (الرواية ص226).

منتج فيلم "حياة مجاورة للموت" في حوار لجريدة الطريق:

للجمهور المغربي الحق في مشاهدة الفيلم والكرة في ملعب التلفزيون

سبق ولقي فيلم «حياة مجاورة للموت» الحائز على ثلاثة جوائز في مهرجان العيون، متابعة إعلامية واسعة وتنويها من طرف النقاد والمتتبعين بعد العروض ما قبل الأولى وكذا في مهرجان طنجة، وهو ما أثار رغبة الجمهور المغربي في مشاهدة هذا العمل، والذي يعتبر وثيقة سينمائية تاريخية لامست تيمة معاناة ساكنة الصحراء بمخيم تندوف وقضية الصحراء المغربية، عن أسباب هذا التأخر وسر نجاح الفيلم وتفاصيل أخرى حول «جمهورية الصحراء حلم استعماري» يحدثنا المنتج وكاتب السيناريو عبد الواحد المهتاني من خلال هذا الحوار.

المخرج لحسن مجيد والمؤلف عبد الواحد المهتاني.

جريدة الطريق : لماذا لم تتح للجمهور المغربي مشاهدة فيلم «حياة مجاورة للموت» منذ عروضه الأولى بالبيضاء والرباط ومهرجاني طنجة والعيون، رغم أهميته البالغة كوثائقي نادر حول تيمة الصحراء وملابسات الاحتجاز بمخيمات تندوف ؟

المنتج عبد الواحد المهتاني : للحصول على تأشيرة العروض الثقافية أو التجارية يقتضي الأمر تزكية من لجنة الدعم، غير أن هاته الأخيرة كانت في حاجة إلى تعيين رسمي سيظل معلقا لأسباب ظلت مرتبطة بتأخر تشكيل حكومة العثماني، وحين عينت وجدت أمامها الكثير من الملفات، ولم تشاهد الفيلم وتزكيه إلا بعد وقت طويل، وهو ما أثر على ترويج الفيلم من خلال بعض المهرجانات الدولية، باستثناء مهرجان الشاشات السوداء بالكاميرون، حيث تم اختيار الفيلم للمسابقة الرسمية من طرف لجنة الانتقاء، لكن هاته الأخيرة وجدت صعوبة في التحصيل على تأشيرة وزارة الثقافة الكاميرونية، مخافة أن يثير لها الفيلم مشاكل دبلوماسية مع الجزائر، الإمكانية الثانية، هي المشاركة في سوق الفيلم بـ تينيريف بإسبانيا، هنا التقينا بالعديد من الموزعين ومديري القنوات التلفزيونية ومن ضمنهم مدير البرمجة بالقناة العمومية لجزر الكناري، والتي كانت لديها نية اقتناء الفيلم، لكن قبل اتخاذها للقرار ستحل لعنة كوفيد-19 على العالم، لتعيد كغيرها من القنوات ترتيب أولوياتها على مستوى الاقتناء، بعض القنوات الدولية اهتمت أيضا بالفيلم، لكن مدته الزمنية (96) دقيقة حالت دون ذلك، فما يتماشى مع برمجتهم يجب أن لا يتعدى 62 دقيقة كحد أقصى.

على المستوى المحلي قمنا بما

يتعين علينا بتوجيه نسخ من الفيلم لكل القنوات الوطنية، والآن الكرة في ملعبهم، نحن لا نبحث عن صدقة أو نرتزق باسم القضية الوطنية، يكفينا أننا أنتجنا عملا مشرفا بلغت كلفته الإنتاجية أكثر من ثلاثة أضعاف حجم المبلغ الإجمالي للدعم، ولا زالت الشركة مكبلة بالديون، وسوف لن نحرم الجمهور من مشاهدة الفيلم، سواء عبر ترويجه في مختلف المدن المغربية ولو بمقابل رمزي لتسديد جزء من الديون، وعبر منصة اليوتيوب. فنحن نسقط، ننهض، نتعثر، لكننا نواصل، شعارنا «تفاؤل الإرادة وتشاؤم العقل».

جريدة الطريق : اعتمدتم في الفيلم مقاربة تاريخية، سياسية، حقوقية، اجتماعية، فكيف استطعتم التحكم في مجرى السرد؟

المنتج عبد الواحد المهتاني : «جمهورية الصحراء حلم استعماري قديم»، ذلكم كان الخيط الناظم للبناء الدرامي للفيلم، وما ترتب عن هذا المشروع في مختلف مستوياته الاجتماعية والحقوقية والسياسية هو مجرد نتائج لتلك المقدمات، والتي أفرزت ما عاشته وتعيشه المنطقة من تداعيات، حاولنا تكثيفها واختزال العديد من تفاصيلها، كالمسك بقصيدة شعرية، يعتريها الوضوح، مسنودة بمعلومة دقيقة تفصح عنها وثائق رصينة، وضعت في سياق محكم و بجمالية، إلى جانب خرائط دينامية وثلاثية الأبعاد، وهنا يحضر عنصر الاستقصاء الصحفي، مع استثمار

العديد من التجارب الإنسانية ورصد معاناتها السيكولوجية والجسدية في أقوى لحظاتها خارج السياق العادي والمألوف بتوزيع الحالات حسب مجرى التاريخ الواقعي، مع إبراز ما وراء فعلها في حلبة الصراع، بتجسيده عبر مشاهد تمثيلية، تضع المشاهد في قلب أجواء روائية سينمائية. إنه عمل جماعي بامتياز، قاده المخرج لحسن مجيد بتعاون مع إدارة الفريق التقني والفني فضلا عن المنتج وكاتب السيناريو، ثم المشرف على المونتاج.

جريدة الطريق : هل هناك من إكراهات واجهتكم أو تفاصيل أخرى لم يتطرق لها الفيلم والمتعلقة بـ «جمهورية الصحراء حلم استعماري»؟

المنتج عبد الواحد المهتاني : نعم، يكفينا الإشارة إلى وثائق لها أهمية كبيرة لم نستطع العثور عليها، أو تجاهلت بعض المؤسسات الوطنية مراسلاتنا المتعددة حولها، وأخرى في حوزة الهيأة العليا للسمعي البصري بفرنسا تفحصناها وما كان بمقدورنا اقتناءها لكونها باهظة الثمن على مستوى الدقيقة الواحدة، وهناك إكراه يتعلق بكتابات مفكرين وسياسيين مغاربة لها قيمة سياسية بالغة، تعذر علينا توظيفها لصعوبة اختزالها، كنموذج على ذلك كتابات الشهيد عمر بن جلون في موضوع «جمهورية الصحراء حلم استعماري قديم»، حيث تحدث في إحداها حول موقف الجزائر من «تقرير المصير بين الأمس واليوم»، وكيف قامت فرنسا بين سنتي 1959 و1961 بإقامة كيان مصطنع في الصحراء الشرقية الجزائرية، على أساس «مبدأ حق تقرير المصير» و «وجود كيان عند الشعب الصحراوي»، بين فيه فشل هذه المحاولة بفضل موقف الشعوب المغاربية، ليشير بأن «المسؤولين الجزائريين، الذين عرفوا نفس المحاولة وعرفوا مراميها اختاروا بالنسبة للحالة المغربية الموقف الغريب المتحالف مع الاستعمار الاسباني»، وسيحيط بالأحداث التي رافقت مشروع بلقنة الجزائر الذي وظفت من أجله فرنسا شخصا يسمى حمزة بوبكر الذي جمع حوله 54 ممثلا عن المناطق الصحراوية، ثم استشهد بموقف الثورة الجزائرية من مفهوم مبدأ تقرير المصير، تبعا لهاته الحالة أورد بعض ما جاء في صحيفة المجاهد (عدد 79 المؤرخ ب -15 4 61.): «عندما قبلت الحكومة الجزائرية مبدأ حق تقرير المصير قبلته لكل التراب الجزائري بما فيه الصحراء الجزائرية، وليس فقط لـ 12 محافظة في الشمال». وأيضا ما أوردته مجلة المجاهد بتاريخ 19 أبريل 1961: «مبدأ وحدة التراب الوطني بالنسبة لنا أساسي، فبين مناطق شمال الجزائر وجنوبها علاقات بشرية واقتصادية وتاريخية لا يمكن الطعن فيها، فسكان ورغلة تميمون، الوادي، توكورت، عين صالح، اعتبروا باستمرار أنفسهم جزائريين وتصرفوا من هذا المنطلق». فما الذي تغير بالنسبة لحكام الجزائر كما يقول الشهيد، ف «عوض الصحراء الشرقية صارت الصحراء الغربية».

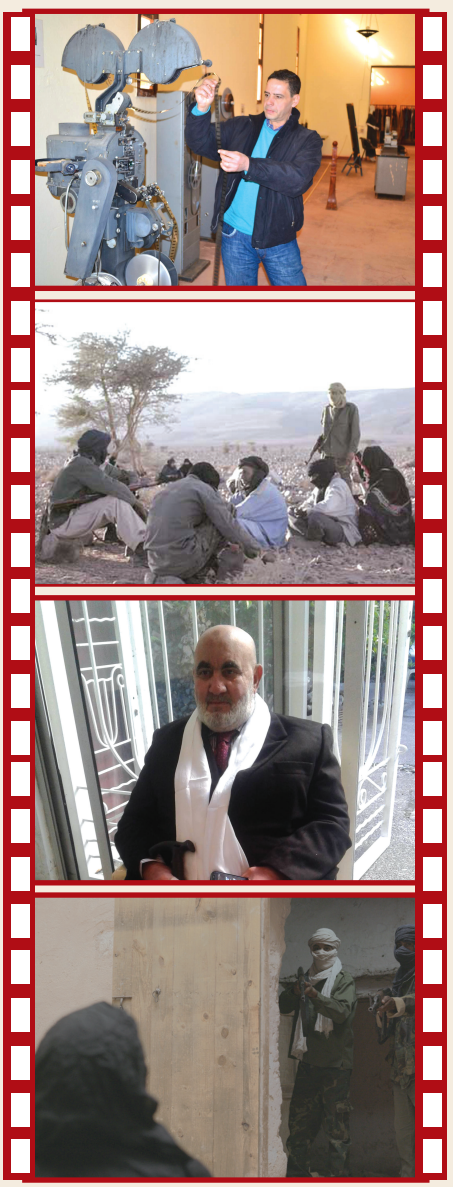

الطريق

• يوسف الطاهري ـ فرنسا

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة

ونحن نعيش الذكرى 55 لاختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة، ارتأينا إعادة تركيب تفاصيل الجريمة، من خلال تصريحات، وإفادات من عايشوا الجريمة، ومن خلال الاستنطاقات والاعترافات التي واكبت تلك المرحلة الحرجة جدا من تاريخ المغرب.

في أواسط شهر أبريل من سنة 1965 وصل رجل يدعى الشتوكي إلى باريس، ليبحث عن متعاونين من أجل التخطيط «للتقرب» من المهدي بنبركة. ولم كن يُعرَف عن هذا الاسم الذي جاء على لسان الشهود المتورطين في عملية الاختطاف الشيء الكثير غير أنه قائد مصلحة للمخابرات الأمنية المغربية.

في 17 ماي وبتوجيه من المخابرات الفرنسية سيسافر أنطوان لوبيز إلى المغرب ويلتقي بمحمد أوفقير ليعرف هل فعلا تم العفو عن بنبركة. بالموازاة سيبحث الشتوكي عن أشخاص يقربونه من نبركة وسيتصل بصديق المهدي، الصحافي فيليب بيرنيي Filipe Bernnier، وسيقترح عليه أموالا وصلت حد ثلاثين مليون فرنك فرنسي ليساعده في تحقيق المهمة.

ويصرح بيريني أنه أطلع عبد القادر بنبركة شقيق المهدي بالفخ الذي يخطط له الشتوكي من أجل الإيقاع بالمهدي. كانت للشتوكي علاقة مع أحد المنحرفين الذين لهم علاقة بشخصيات نافذة في المغرب. فيطلب منه البحث عن شخص قد يتمكن من تحقيق العملية، فيقترح بوشسيش على الشتوكي منحرفا آخر يدعى جورج فيغون. هذا الأخير سيقبل التعاون مع الشتوكي بمقابل مالي كبير، سيقترح على الشتوكي بأن يعمل على إغراء فيليب بيرنيي بإنجاز فيلم سياسي حول حركات التحرر يشارك في إعداده المهدي بنبركة ومن تم يمكن الإيقاع بالمهدي إلى باريس.

ذلك ما سيقع بالفعل ورحب بيرنيي بفكرة فيغون، واتفقا على أن يكون جورج فيغون هو منتج الفيلم، ويكون المخرج هو جورج فرانجو Georges Franju، وMarguerite Duras مارغريت دوراس كاتبة للسيناريو.

وبدأت علمية تنفيذ الفكرة بسفر بيرنيي وفيغون إلى القاهرة للقاء المهدي في بداية سبتمبر1965، وكان الشتوكي هو الآخر في القاهرة لمتابعة ما يجري بين المهدي وبيرنيي وفيغون وذلك باعتراف من أنطوان لوبيز.

رحب المهدي بالفكرة واقترح عنوان الفيلم باسطا Basta، وضرب معهما موعدا ومع طاقم الفيلم في مدينة جينيف. وبعد ثلاثة أسابيع كان موعد جينيف حيث غاب المخرج Georges Franju عن اللقاء، وهناك سيحدد بنبركة موعدا آخر وهذه المرة في باريس على الساعة الثانية عشرة والربع في مقهى ليب الكائن في شارع سان جرمان دي بري بالحي اللاتيني.

مشهد الاختطاف

في أجواء خريفية كئيبة متميزة بطقس بارد وشيوع ضباب كثيف وسقوط رذاذ مطر في باريس والنواحي، حطت طائرة في مطار أورلي حوالي الثامنة و خمسة وأربعين دقيقة من صباح يوم الجمعة 29 أكتوبر من سنة 1965. نزل منها رجل قصير القامة يرتدي معطفا جلديا ونظارة سوداء عريضة، وبينما كانت العيون تترقب خطواته وهو يمشي في المطار، كان آخرون يفتشون حقيبته بعيدا عن أنظار العيون.

كان بنبركة في جنيف قادما إليها من القاهرة حيث اكترى شقتين هناك وقد كان يشعر بأنه مهدد، وكان يفضل أحيانا أن يقطن في منازل بعض رفاقه. ومن عادته توخي الحذر، لكنه هذه المرة لم يكن حذرا كما من قبل. ربما لأنه مطمئن على حياته بعد أن حصل على ضمانات السلطات الفرنسية في شهر غشت الماضي على ألا يمسه سوء وهو مقيم بفرنسا.

تعرض بنبركة إلى محاولة اغتيال سابقة في المغرب ببوزنيقة، وكانت سيارة للأمن قد حاولت تجاوزه و ألقت سيارته في الوادي. وقد خلفت الحادثة رضوضا في عموده الفقري. وأياما قبل اختطافه، تعرض لمحاولة اغتيال في جنيف وهو يتجه نحو مرآب لصديق فنزويلي، وقد نجا بصعوبة. من مطار أورلي سيتصل هاتفيا بالشاب التهامي الزموري الطالب في شعبة

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة

التاريخ، وكان يعتزم تعريفه بطاقم الفيلم الذي يشكل موضوع موعد مقهى ليب. الفيلم اختير له موضوع المقاومة ضد الاستعمار في إفريقيا، وقرروا تسميته BASTA.

حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف حطت سيارة أجرة قريبا من مقهى ليب بشارع سان جيرمان دي بري، قادمة من جهة زنقة Rue de dragon، نزل منها المهدي والشاب التهامي الزموري، وبدأ المهدي يتصفح معرض الكتب في مكتبة La po-chade. آنذاك كانت سيارة من نوع بيجو 403 سوداء واقفة غير بعيد عن مقهى ليب. وعلى مقربة من المقهى، كان هناك رجل طويل القامة يضع نظارة سوداء و شاربا مثيرا يتنقل ذهابا و إيابا لأمتار معدودة وعيناه مصوبتان في اتجاه باب المقهى ويحاول التخفي حتى لا يراه المهدي.

إنه مدير محطة أورلي أنطوان لوبيز An-toine Lo-pez الإسباني الأصل، والذي عرف باسم «الصابونية» بحكم تملقه في علاقته بكبار الشخصيات ومن أجل تحقيق مصالح ذاتية، من حيث المناصب أو الأموال. وقد تدرج في مهنته واشتغل كمسؤول عن الخطوط الجوية الفرنسية في طنجة، وله علاقات قوية مع كبار الدولة المغربية. واعترف أنطوان لوبيز أنه قد تسلم منذ عشرة أيام قبل الحادث، النظارتين والطربوش والشارب المزور من الشرطيين فواتو Voito وشوسون Chosson.

فجأة تقدم شخصان بزي مدني إلى المهدي، وعرفا بهويتهما أنهما من الشرطة الفرنسية من خلال شارة التعريف، وطلبا منه بطاقة التعريف. وبعد أن اطلع عليها الشرطي شوسون أعادها إليه، ودعاه أن يتبعهما من أجل لقاء أحد المسؤولين في الدولة. لم يبدي المهدي أي رفض، ولم يعامله الشرطيين فواتو Voito وشوسون Chosson بأي

ارتياب.

اتجه الشاب الزموري راكضا وبسرعة وفي حالة هلع وذهول مما حصل، في اتجاه زنقة لاساربونت Rue la ser-pente، حيث مقر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب أو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية القريب من مقهى ليب، ولم يجد أحدا في المقر.

وللتذكير فلمقر زنقة لاساربونت Rue la serpente تاريخ طويل في ذاكرة اليسار، حيث احتضن في البدء منظمة طلبة مسلمي شمال إفريقيا، ثم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية ليصبح مقرا تاريخيا لجمعية المغاربة بفرنسا التي أنشأها المهدي سنة 1961، وبذلك كان محجا لعدد كبير من القوى اليسارية وحركات التحرر العالمية في إفريقيا وأميركا اللاتينية.

يقول أنطوان لوبيزَ Antoine Lopez إنه أثناء عملية توقيف المهدي بنبركة، كان كل من المجرمان باليس Palisse ودوباي Duail يقفان في رصيف غير بعيد عن المقهى، وقام جورج فيغون George Figon قبل أن يلتحق بالمخرج Georges Franju والصحافي Filipe Bernier في مقهى ليب بتعريف بنبركة للشرطيان اللذين أوقفا المهدي. و بينما يؤكد ذلك الشرطي Voito ينفي فيغون George Figon ذلك في تصريح لصحافيي مجلة الإكسبريس.

في الطريق إلى فيلا فونتناي لو فيكونت Fontenay –Le-Vi-comte

اتجهت السيارة نحو مطار أورلي جنوب باريس وهي سيارة للشرطة الفرنسية تحتوي هاتفا، حاول الشرطيين قبل ذلك تزوير اللوحة الحديدية لرقم السيارة إلى لوحة بلاستيكية لكن المجرم Le ney أخبرهما أنه من المستحيل فعل ذلك لأنه انتهى العمل باللوحة الحديدية منذ سنتين. وكان من وراءها سيارة أخرى يركبها كل من المجرمين باليس Palisse ودوباي Dubail وهم أعضاء سابقين في عصابة جو عطية.

يقول جورج فيغون لصحفي الإكسبريس، إن الشرطيان أخبراه أن بنبركة كان يظن أنهما سينقلانه إلى مطار أورلي، وطلب منهما السماح له بالعودة إلى مقر إقامته ليأخذ حقيبته إن كانا سينقلانه إلى مطار أورلي لمغادرة فرنسا.

في الطريق السيار الجنوبي ساد الصمت في السيارة، وعندما تجاوزت مطار أورلي ساور المهدي الشك وبدا قلقا شيئا ما. وأخبره الشرطيان أنهما سينقلانه إلى مكان من أجل لقاء أحد

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة

المسؤولين والذي يريد الحديث معه في موضوع ما. وظن المهدي أن المسؤول المقصود هو موظف كبير في الأمن الفرنسي، وقد يكون رئيس المخابرات DST مما جعله يقول: أنا على يقين بأني لم أقم بأي شيء ضد فرنسا. وقال إنه كان في ضيافة الرئيس شارل دوغول مؤخرا، وتحدث معه في مواضيع عديدة. آنذاك أخبراه الشرطيان أنهما يجهلان موضوع اللقاء، لكن المسؤول أصر على أن يكون اللقاء في منزل في نواحي باريس بعيدا عن الإعلام.

حطت سيارة بيجو 403 أمام فيلا في مدينة Fontenay-Le-Vicomte حيث استقبلهم المجرم جورج بوشسيش Georges Boucheseiche وطلبوا من بنبركة الصعود إلى غرفة في الطابق الأول.

في تصريحاته للقاضي Zollinger يقول لوبيز إنه بعد وضع المهدي في فيلا بوشسيش، رحل إلى باريس رفقة الشرطيان فواتو وشوسون. وبعدها حاول الاتصال بالجنرال محمد أوفقير ليخبره بأن العملية مرت على ما يرام. وأن محمد أوفقير هو الذي كان يوجه الشتوكي اللغز المحير في القضية.

تعذيب بشع للمهدي في منزلي بوشسيش ولوبيز

في المساء نام المهدي في الغرفة، وقامت العصابة بالاتصال بالدليمي وأفقير، وكانDubai هو الذي اتصل بالدليمي ليخبره بأن العملية قد تمت بسلام، و أخبرهم هذا الأخير بأنه قادم إلى باريس. بعدها صعد دبي Dubai إلى الغرفة ليخبر بنبركة بأن المسؤول لن يلتحق بالموعد قبل يوم السبت.

كان المهدي يكرر ل Dubai أن فرنسا صديقة للمغرب ويقول: «يوما ما قد أكون وزيرا أول في المغرب، وقتها يجب تغيير الكثير من الأشياء وخاصة البوليس. أتعلمون أن البوليس في بلادي فاسد هناك».

كما كان منتظرا في زوال يوم السبت سيصل الدليمي رفقة العشعاشي إلى fontenay-Le- vicompt في سيارة لوبيز. وملامح قلق تطبع وجهه، وأخبره Dubai عما قاله بنبركة عن البوليس المغربي. وبعد ضحكة هستيرية قال: هكذا إذن، يريد تنظيف الشرطة. طيب إنها فكرة جيدة. ثم جرى حوار بينهم ليقترح الدليمي تصفية المهدي ودفنه في أحد الحقول.

يقول فيغون، لا أحد كان يرغب في تصفية المهدي ويضيف اختليت ب Le Ney جانبا، وقلت له: لا تدعهم يفعلون ذلك، خاصة هنا في منزل بوشسيش. بعد 15 يوما سيعثرون على الجثة على بعد أمتار من المنزل، من الأفضل أن يتم ذلك في منزل أنطوان لوبيز، يجب توريط لوبيز.

يؤكد لوبيز أن أوفقير حضر إلى باريس يوم 30 أكتوبر وبرفقته أحمد الدليمي والممرض الحسوني، وقام لوبيز بنقل أوفقير إلى فيلا بوشسيش Georges Boucheseich، بينما تنقل الآخرون بوسائلهم الخاصة وسلم أوفقير مفتاح منزله الكائن بمدينة Ormoy، حيث أنه في العاشرة والنصف ليلا عاد إلى منزله وسيجد المغاربة الثلاث والذين كانوا غير راضين على وجوده، وبصحبتهم George Figon، بعد ذلك غادر أوفقير الفيلا مصحوبا بالدليمي.

يؤكد لوبيز مرات عديدة أن أفقير وصل مطار أورلي حوالي الخامسة مساء وغادر باريس على الساعة الخامسة صباحا من اليوم الموالي إلى جنيف. ثم عاد إليها بعد يومين حيث حضر حفل عشاء أقامته السفارة المغربية رفقة عدد من رجال الدولة الفرنسية.

طلب الدليمي من العصابة التقرير سريعا في ما سيفعلون، وأمر بأن يصعد واحد منهم لرؤية المهدي حتى لا يفاجَأ. وهم يستعدون لصعود الغرفة، اقترح فيغون George Figon أن يتم تنويم المهدي عبر وضع منوم في الشاي، وبما أنهم لا يملكون حبوبا منومة، قاموا بوضع دواء Phenergan في الشاي.

صعد في البداية المجرم Dubai يحمل كأس الشاي المصحوب بPhenergan وانتظرت العصابة ربع ساعة بعد ذلك. بعدها صعد جورج بوشسيش وبقية العصابة، وبمجرد ما رآهم المهدي ألقى بكتابه جانبا، ونهض من أريكته وصرخ: ما الذي يحدث؟ وقتها وجه له بوشسيش لكمة قوية لكنها لم تصبه. ثم هجم المجرمون الآخرون عليه وقاوم

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة

ضرباتهم بقوة، ويبدو أن المخدر كان له دور عكس ما كان منتظرا، بحيث جعله لا يشعر بآلام الضربات التي يتلقاها، يقاتل بشراسة بدون أن يقول كلمة واحدة. وكان دوي تكسير الرفوف وأواني الطبخ يسمع من تحت الطبقة الأولى حسب تصريح فيغون.

بعدما حاصروه في كرسي وهو مضرج بالدماء، ووجهه مشوه بفعل الضربات القوية التي تعرض لها، نزل الأربعة ليصعد الدليمي والعشعاشي وقاما بتكبيله بحبل أتى به Palisse .

في هذه اللحظة وصل أفقير وفي محياه وجه قاتل كبير، وخاطب فيغون: هل هو فوق؟ وأجابه الأخير بنعم، ثم أخذ خنجرا واتجه نحو سلم الصعود إلى الغرفة وعندما واجه المهدي قال: طيب إنه هنا.

واقترب من المهدي وبدأ يجرح عنقه ثم صدره بالخنجر. كان يتلذذ وهو يخز لحم المهدي كما يفعل جراح وهو يشرح جثة ليشرح لمتدربين كيف يقومون بعملية جراحية. ثم قال للمجرم شوسون: هيا بنا.

وصلوا إلى منزل أنطوان لوبيز، أنزلوا

المهدي من السيارة مغمى عليه ثم أدخلوه سرداب المنزل. وقام شخص مغربي لم يكن في فيلا بوشسيش بتكبيل المهدي مع مسخن المياه، بطريقة جعلت المهدي لا يستطيع التنفس. مما جعل Le Ney يقول للمكبل: دع له على الأقل فرصة للتنفس. ثم أجاب الأخير: لقد انتهى بنبركة...

بعدها صعد الجميع إلى الصالون، وجرى حوار بينهم واطلع أوفقير على الوثائق التي كانت بحوزة المهدي وقال: بالنسبة لي، لا يتعلق الأمر فقط بتصفية حساب مع عدو سياسي فحسب، بنبركة كان عدو فرنسا وعدو الإنسانية.

بعد الاختطاف

قلق كبير عم وسط عائلة بنبركة، أشعله تلقي زوجته مكالمة هاتفية حوالي الساعة الرابعة زوالا من نفس اليوم من أحد الطلبة يخبرها بأن زوجها قد تم توقيفه. وازداد القلق يتخذ حجما أوسع في المساء، عندما غاب المهدي عن العرض المسرحي الذي كان هو من طلب من أحد أصدقائه حجز تذاكره.

لقد حجز مقعدين في مسرح La gaîté Montparnasse، حيث سيلقى العرض المسرحي Le gouter des généraux. لكنه لم يحضر للعرض مما أثبت الشكوك لدى شقيقه عبد القادر.

لقد كانت عائلته قلقة على مصيره، رغم أنهم كانوا يدركون قدرته على توخي الحذر في تنقلاته. لكنهم كانوا كذلك يعلمون أن دائرة أعداءه قد اتسعت في السنوات الأخيرة، ولم تعد منحصرة في ذوي الجنسية المغربية من أجهزة المخابرات المغربية والقوى التقليدية المعادية للحرية والديمقراطية، خاصة بعد الحكم عليه بالإعدام مرتين. بل هناك جنسيات أخرى انضمت إلى كتلة الأعداء المحليين وتتضرر كثيرا من تحركاته ومواقفه على الصعيد الدولي ومنها خصوصا أمريكا وإسرائيل. خاصة في ظروف الصراع الدولي المتميز بالحرب الباردة والثورات التي تعرفها الشعوب المستعمرة، وكذا قدرته على تجميع القوى والدول المناهضة للإمبريالية وتقريب وجهات النظر بين الاتحاد السوفياتي والصين.

نشر الخبر من قبل لوموند يوم 30 أكتوبر وحصل ارتباك وسط الإدارة الأمنية الفرنسية، والتي أكدت أنها لا تملك معطيات تؤكد الخبر. وقام شقيق المهدي بوضع شكاية في الموضوع.

ظل المتهمون هاربين، وكان فيغون يتجول في باريس كما عادته، وأثناء محاولة إلقاء القبض عليه في منزله يوم الاثنين 17 يناير 1966، لقي حتفه بعد تلقي رصاصة في رأسه، وبذلك حرم القضاء من التحقيق مع رجل يعتبر مفتاحا لقضية اختطاف واغتيال بنبركة، وهذا الترتيب ليس مصادفة. أما المجرمون الآخرون فقد لقوا حتفهم في السجون المغربية وقيل أنهم انتحروا، وهذا ليس مصادفة أيضا.

في 5 سبتمبر 1966 بدأت محاكمة المتهمين في قضية اختطاف المهدي بنبركة، وستنتهي في خمسة يونيو من سنة 1967 بموازاة مع حرب الستة أيام بين الكيان الصهيوني ومصر جمال عبد الناصر وبذلك لم تشهد المحاكمة اهتماما إعلاميا كبيرا.

بعد استجواب 167 شاهد، تم الحكم على أنطوان لوبيز ب 8 سنوات سجنا نافذة والشرطي لويس سوشون ب 6 سنوات نافذة. أما الجنرال أوفقير وعصابة جورج بوشسيش والذي يقول عنه الكاتب دانييل غيران Daniel Guérin إنه هو من قتل بنبركة، فقد تم الحكم عليهم بالسجن المؤبد. أما أحمد الدليمي فقد حصل على البراءة.

ختاما، ظهرت معطيات جديدة بعد ذلك، ولا يتسع المقال لسردها، و ستبقى أسئلة عديدة مطروحة ومنها أين اختفت جثة المهدي؟ من المدبر الفعلي للجريمة؟ ولماذا يستمر إخفاء المعطيات والوثائق المتعلق بالقضية من قبل السلطات الفرنسية والمغربية؟

مراجع:

- مقالات جريدة لوموند الفرنسية.
- مقال لصحافي مجلة الإكسبريس جاك درجي وكان جون فرنسا. Le récit d'un témoin : J'ai vu tuer Ben Barka
- كتاب خفايا اغتيال بنبركة للكاتب جاك درجي.

الحسانية كمكون مغربي راقٍ..

إن مخيال المجموعات الإنسانية، يمتح من المحيط البيئي والطبيعي والثقافي والعلائق الاجتماعية التي تربط بين أفراد هاته الأصرة، لتصل لمرحلة الإبداع الأدبي والموسيقى، والثقافة الحسانية لا تشذ عن هاته القاعدة، باعتبار أن فضاء الصحراء والرمال وصفاء نجوم السماء، سمح بتفجر قريحة ساكنة الصحراء أنهارا من الشعر البليغ والموسيقى الشجية والغناء العذب، وهو ما جعل الموروث الشفهي الحساني من أغنى مكونات الفسيفساء الحضاري المغربي.

إن التعدد الثقافي واللغوي والموسيقي والإثني الذي يطبع المغرب، هو مرتكز قوة وغنى، من المهم دعم تلاقحه وتفاعله في النسيج المجتمعي الواحد، ونتذكر في هذا السياق ارتكاز أغاني ناس الغيوان وهي تنطلق من قلب الحي المحمدي على إيقاعات الموسيقى الحسانية، وكلمات من اللهجة الصحراوية الأصيلة "الخناك".. في نفس الاتجاه نجحت المغنية المغربية "أوم" في دمج اللون الحساني بالإيقاعات الإفريقية وبالآلات الحديثة في مكان ولادتها بالدار البيضاء، في مزيج راق لألوان غنائية وهرمونيا متعددة تمزج التراث الفني المحلي الحساني والصنهاجي بالعالمي.. فالموسيقى قادرة على تغذية النفس الوحدوي للعيش المشترك في حضن الوطن المتعدد الثقافات.

بجانب الموسيقى ونظم القوافي الشعرية في الثقافة الحسانية، تبقى الأمثال الشعبية من الجوانب المشرقة في ثقافة الصحراء، باعتبارها تكثيفا للحكمة وتوثيقا لمعيش الصحراويين، أفراحهم، نوادرهم، أحزانهم، قيمهم، مناجاتهم، عشقهم.. وهي المأثورات الشعبية التي تجدها بنفس المضمون، لكن بتحويرات مختلفة حسب اللهجات بين شمال المغرب وجنوبه، شرقه وغربه، ونستحضر في هذا الباب مثلا رائجا بين كثبان الصحراء ويقول : "حَظْرُوني أَنَكْسَمْ أَلْكُم"، بمعنى: دعوني أحضر معكم لأتكلف بالقسمة بينكم لآخذ حقي من القسمة، ويحيلنا هذا المثل بالضبط لرفض تدخل الأجنبي في اختلافات الأهل وتدبيرهم لتفاوت تقديراتهم، لأن الأجنبي في نهاية الأمر له مطامع في غنيمة القسمة.

إن المغرب وحدة موحدة بصحرائه كاملة، وبتنوعه الحضاري والثقافي الغني والمتكامل، ولا يمكن السماح بأي نزعة تقسيمية تكسر هرمونيا هذا العيش المشترك الحضاري الانسيابي منذ قرون عدة. ونورد هنا المؤامرة التي أقدمت عليها الجزائر سنة 2002، باقتراح يقضي باقتسام الإقليم الصحراوي بين المغرب وجبهة البوليساريو، وذلك عن طريق إعطاء المغرب إقليم الساقية الحمراء (ثلثي الصحراء) وإعطاء البوليساريو إقليم وادي الذهب (الثلث الباقي)، مقابل غنيمة الجزائر في القسمة بالنفاذ للمحيط الأطلسي.. إن الصحراء المغربية ليست غنيمة للقسمة، والصحراويات والصحراويون وحدة متكاملة مع بقية الأطياف الثقافية واللغوية والإثنية المغربية..ولاحق لأي أجنبي كيفما كان أن يجزئ لحمتنا.

تحف فنية....

لوحة الرجل الأزرق

لور آن باربيي
Laure-Anne Barbier

لوحة لور آن باربيي، مرسومة بالباستيل الجاف، وبدقة التحكم فيه بين الأصابع على اللوحة، مما يربط آصرة قوية بين الرسام وأصابعه واللوحة. لوحة الرجل الأزرق، تحفة جسدت ملامح ساكنة الصحراء، بزيها الأزرق المعتاد، والذي يغطي الوجه إلا العينين، اتقاء هبوب الريح ولفحات الشمس المحرقة.

صدر عن جريدة

الطريق

الثمن: 20 درهم